بسم ا الرحمن الرحيم

الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة

لابن حجر الهيتمي

/ المقدمـات / / المقدمة الأولى / . اعلم أن الحامل الداعي لي على التأليف في ذلك وإن كنت قاصراً عن حقائق ما هنالك ما أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع وغيره أنه قال (إذا ظهرت الفتن أو قال البدع وسبت أصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعـل ذلـك فعلـيه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين لا يقبل ا منه صرفاً ولا عدلاً) . و ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضـي ا تعالى عنهما أن النبي قال (ما ظهر أهل بدعة إلا أظهر ا فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه) . و أخرج أبـو نعـيم أهـل الـبدع شر الخلق والخليقة قيل هما مترادفان وقيل المراد بالأول البهائم وبالثاني الناس . و أخرج أبو حاتم الخزاعي في جزئه أصحاب البدع كلاب النار . و الرافعي عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة والطبراني من وقر صـاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . و البيهقي وابن أبي عاصم في السنة أبى ا أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعـته . و الخطيـب والديلمي إذا مات صاحب بدعة فقد فتح في الإسلام فتح . و الطبراني والبيهقي والضياء إن ا احتجز التوبة عن كل صاحب بدعة . و الطبراني إن الإسلام يشيع ثم يكون له فترة فمن كانت فترته إلى غلو وبدعة فأولئك أهل النار . و البيهقـي لا يقبل ا لصاحب بدعة صلاة ولا صوماً ولا صدقة ولا حجاً ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً يخرج مـن الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين وسيتلى عليك ما تعلم منه علماً قطعياً أن الرافضة والشيعة ونحوهما من أكابر أهل الـبدعة فيتـناولهم هذا الوعيد الذي في هذه الأحاديث على أنه ورد فيهم أحاديث بخصوصهم . و أخرج المحاملي والطبراني والحاكم عن عويم بن ساعدة أنه قال (إن ا اختارني واختار لي أصحاباً فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعلـيه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين لا يقبل ا منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً) . و الخطيب عن أنس إن ا اختارني واخـتار لي أصحاباً واختار لي منهم أصهاراً وأنصاراً فمن حفظني فيهم حفظه ا ومن آذاني فيهم آذاه ا . و أخرج العقيلي فـي الضـعفاء عـن أنـس إن ا اختارني واختار لي أصحاباً وأصهاراً وسيأتي قوم يسبونهم وينتقصونهم فلا تجالسوهم ولا تشاربوهم ولا تؤاكلوهم ولا تناكحوهم . و أخرج البغوي والطبراني وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر عن عياض الأنصاري احفظوني في أصحابي وأصهاري وأنصاري فمن حفظني فيهم حفظه ا في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى ا منه ومـن تخلى ا منه يوشك أن يأخذه . و أخرج أبو ذر الهروي نحوه عن جابر والحسن بن علي وابن عمر رضي ا عنهما . و أخـرج هـو والذهبي عن ابن عباس رضي ا عنهم مرفوعاً يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام فاقـتلوهم فإنهم مشركون وأخرج أيضاً عن إبراهيم بن حسن بن حسي بن علي عن أبيه عن جده رضي ا عنهم قال قال علي بـن أبـي طالب كرم ا وجهه قال رسول ا (يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام) . و أخرج الدارقطني عن علي عن النبي قال (سيأتي من بعدي قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون) قـال قلت يا رسول ا ما العلامة فيهم قال يقرظونك بما ليس فيك ويطعنون على السلف . و أخرجه عنه من طريق أخرى نحوه وكذلك من طريق أخرى وزاد عنه ينتحلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك وآية ذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر رضي ا

عـنهما . و أخـرج أيضـاً من طرق عن فاطمة الزهراء وعن أم سلمة رضي ا عنهما نحوه قال ولهذا الحديث عندنا طرق كثـيرة . وروى الطبراني عن ابن عباس من سب أصحابي فعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين وعن علي رضي ا عنه مـن سـب الأنبياء قتل ومن سب أصحابي جلد . و الديلمي عن أنس إذا أراد ا برجل من أمتي خيراً ألقى حب أصحابي في قلـبه . و الترمذي عن عبد ا بن مغفل ا ا في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن احبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضـي أبغضـهم ومن آذاهم فقد أذاني ومن آذاني فقد آذى ا ومن آذى ا يوشك أن يأخذه . و الخطيب عن ابن عمر إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة ا على شركم . و ابن عدي عن عائشة إن شرار أمتي أجرؤهم على أصحابي . وابن ماجـه عـن عمر احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ... الحديث . و الشيرازي في الألقاب عن أبي سعيد احفظوني في أصحابي فمن حفظني فيهم كان عليه من ا حافظ ومن لم يحفظني فيهم تخلى ا منه ومن تخلى ا منه يوشك أن يأخذه . و الخطيـب عـن جابر والدارقطني في الأفراد عن أبي هريرة إن الناس يكثرون وأصحابي يقلون فلا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعلـيه لعـنة ا . روى الحاكم عن أبي سعيد أما إنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم . و أخرج ابن عساكر عن الحسن مرسـلاً ما شأنكم وشأن أصحابي ذروا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مثل عمل أحدهم يوماً واحداً . و أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسـي بـيده لـو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه . و أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود لا يبلغنـي أحد عن أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر . و أحمد عن أنس دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بـيده لو أنفقتم مثل أحد ذهباً ما بلغتم أعمالهم . و الدارقطني من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في أصـحابي لـم يرد علي الحوض ولم يرني . و الطبراني والحاكم عن عبد ا بن بسر طوبى لمن رآني وآمن بي طوبى لمن رأى مـن رآني ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي طوبى لهم وحسن مآب وعبد بن حميد عن أبي سعيد وابن عساكر عن واثلـة طوبـى لمـن رآني ولمن رأى من رأى من رآني . و الطبراني عن ابن عمر لعن ا من سب أصحابي . و الترمذي والضـياء عـن بريدة ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بعث قائداً ونوراً لهم يوم القيامة . و أبو يعلى عن أنس مثل أصـحابي فـي أمتي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح . و أحمد ومسلم عن أبي موسى النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصـحابي أتـى أمتـي ما يوعدون . و الترمذي والضياء عن جابر لا تمس النار مسلماً رآني أو رأى من رآني . و الترمذي والحاكم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث . و الطبراني والحاكم عن جعدة بن هبيرة خير الناس قرني الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والآخرون أراذل . ومسلم عن أبي هريرة خير أمتي القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهـم ثم الذين يلونهم الحديث . و الحكيم الترمذي عن أبي الدرداء خير أمتي أولها وآخرها وفي وسطها الكدر . و أبو نعيم في الحلية مرسلاً خير هذه الأمة أولها وآخرها أولها فيهم رسول ا وآخرها فيهم عيسى ابن مريم وبين ذلك نهج أعوج ليسوا منـي ولست منهم . و الطبراني عن ابن مسعود خير الناس قرني ثم الثاني ثم الثالث ثم يجيء قوم لا خير فيهم . و ابن ماجه عن أنس أمتي على خمس طبقات فأربعون سنة أهل بر وتقوى ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة أهل تواصل وتراحم ثم الذين يلونهـم إلى ستين ومائة أهل تدابر وتقاطع ثم الهرج والمرج النجا النجا . و له عنه أيضاً كل طبقة أربعون فأما طبقتي وطبقة أصحابي فأهل علم وإيمان وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين فأهل بر وتقوى ثم ذكر نحوه . و الحسن بن سفيان وابن منده وأبو نعيم في المعرفة عن دارم التميمي الطبقة الأولى أنا ومن معي أهل علم ويقين إلى الأربعين والطبقة الثانية أهل بـر وتقوى إلى الثمانين والطبقة الثالثة أهل تراحم وتواصل إلى العشرين ومائة والطبقة الرابعة أهل تقاطع وتظالم إلى الستين ومائة والطبقة الخامسة أهل هرج ومرج إلى المائتين ولابن عساكر مثله إلا أنه قال فطبقتي وطبقة أصحابي أهل العلم والإيمان وقـال بدل المرج الحروب . و كفى فخراً لهم أن ا تبارك وتعالى شهد لهم بأنهم خير الناس حيث قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجـت للـناس) فـإنهم أول داخل في هذا الخطاب كذلك شهد لهم رسول ا بقوله في الحديث المتفق على صحته (خير

القـرون قرنـي) ولا مقـام أعظم من مقام قوم ارتضاهم ا عز وجل لصحبة نبيه ونصرته وقال تعالى (محمد رسول ا والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآية وقال تعالى (و السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسـان رضـي ا عنهم ورضوا عنه) . فتأمل ذلك فإنك تنجو من قبيح ما اختلقته الرافضة عليهم مما هم بريئون منه كما سـيأتي بسط ذلك وإيضاحه فالحذر الحذر من اعتقاد أدنى شائبة من شوائب النقص فيهم معاذ ا لم يختر ا لأكمل أنبيائه إلا أكمـل من عداهم من بقية الأمم كما أعلمنا ذلك بقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس) . ومما يرشدك إلى أن ما نسبوه إليهم كـذب مخـتلق علـيهم أنهم لم ينقلوا شيئاً منه بإسناد عرفت رجاله ولا عدلت نقلته وإنما هو شيء من إفكهم وحمقهم وجهلهم وافـترائهم على ا سبحانه وتعالى فإياك أن تدع الصحيح وتتبع السقيم ميلاً إلى الهوى والعصبية وسيتلى عليك عن علي كرم ا وجهـه وعن أكابر أهل بيته من تعظيم الصحابة سيما الشيخان وعثمان وبقية العشرة المبشرين بالجنة ما فيه مقنع لمن الهم رشـده . و كيف يسوغ لمن هو من العترة النبوية أو من المتمسكين بحبلهم أن يعدل عما تواتر عن إمامهم علي رضي ا عنه مـن قوله إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وزعم الرافضة لعنهم ا أن ذلك تقية سيتكرر عليك رده وبيان بطلانه وأن ذلـك أدى ببعـض الرافضـة إلى أن كفر عليا قال لأنه أعان الكفار على كفرهم فقاتلهم ا ما أحمقهم وأجهلهم . وروى الطبرانـي وغيره عن علي رضي ا عنه ا في أصحاب نبيكم فإنه أوصى بهم خيراً / المقدمة الثانية / . اعلم أيضاً أن الصـحابة رضـوان ا تعـالى علـيهم أجمعين أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب بل جعلوه أهم الواجـبات حيـث اشـتغلوا به عن دفن رسول ا واختلافهم في التعيين لا يقدح في الإجماع المذكور ولتلك الأهمية لما توفي رسول ا قام أبو بكر رضي ا عنه خطيباً كما سيأتي فقال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد ا فـإن ا حـي لا يموت ولا بد لهذا الأمر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم فقالوا صدقت ننظر فيه . ثم ذلك الوجوب عـندنا معشر أهل السنة والجماعة وعند أكثر المعتزلة بالسمع أي من جهة التواتر والإجماع المذكور وقال كثير بالعقل ووجه ذلك الوجوب أنه أمر بإقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش للجهاد وحفظ بيضة الإسلام وما لا يتم الواجب المطلق إلا به وإن كـان مقدوراً فهو واجب ولأن في نصبه جلب منافع لا تحصى ودفع مضار لا تستقصى وكل ما كان كذلك يكون واجباً . أمـا الصـغرى على ما في شرح المقاصد فتكاد تلحق بالضروريات بل بالمشاهدات بشهادة ما نراه من الفتن والفساد وانفصام أمـور العباد بمجرد موت الإمام وإن لم يكن على ما ينبغي من الصلاح والسداد . و أما الكبرى فبالإجماع عندنا وبالضرورة عـند من قال بالوجوب عقلاً من المعتزلة كابي الحسين والجاحظ والخياط والكعبي وأما مخالفة الخوارج ونحوهم في الوجوب فلا يعتد بها لأن مخالفتهم كسائر المبتدعة لا تقدح في الإجماع ولا تخل بما يفيده من القطع بالحكم المجمع عليه ودعوى أن في نصـبه ضرراً من حيث إن إلزام من هو مثله بامتثال أوامره فيه إضرار به فيؤدي إلى الفتنة ومن حيث إنه غير معصوم من نحـو الكفـر والفسوق فإن لم يعتزل أضر بالناس وإن عزل أدى إلى محاربته وفيها ضرر أي ضرر باطلة لا ينظر إليها لأن الإضرار اللازم من ترك نصبه أعظم وأقبح بل لا نسبة بينهما ودفع الضرر الأعظم عند التعارض واجب وفرض انتظام حال الـناس بـدون إمام محال عادة كما هو مشاهد / المقدمة الثالثة / . الإمامة تثبت إما بنص من الإمام على استخلاف واحد من أهلها وإما بعقدها من أهل الحل والعقد لمن عقدت له من أهلها كما سيأتي بيان ذلك في الأبواب وإما بغير ذلك كما هو مبين في محلـه مـن كتب الفقهاء وغيرهم . و اعلم أنه يجوز نصب المفضول مع وجود من هو افضل منه لإجماع العلماء بعد الخلفاء الراشدين على إمامة بعض من قريش مع وجود افضل منهم ولأن عمر رضي ا عنه جعل الخلافة بين ستة من العشرة منهم عـثمان وعلي رضي ا تعالى عنهما وهما افضل أهل زمانهما بعد عمر فلو تعين الأفضل لعين عمر عثمان فدل عدم تعيينه أنه يجوز نصب غير عثمان وعلي مع وجودهما والمعنى في ذلك أن غير الأفضل قد يكون أقدر منه على القيام بمصالح الدين وأعـرف بتدبـير الملك وأوفق لانتظام حال الرعية وأوثق في اندفاع الفتنة واشتراط العصمة في الإمام وكونه هاشمياً وظهور معجزة على يديه يعلم بها صدقه من خرافات نحو الشيعة وجهالاتهم لما سيأتي بيانه وإيضاحه من حقية خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي ا عنهم مع انتفاء ذلك فيهم . و من جهالاتهم أيضاً قولهم إن غير المعصوم يسمى ظالماً فيتناوله قوله تعالى (

لا يـنال عهدي الظالمين) . و ليس كما زعموا إذ الظالم لغة من يضع الشيء في غير محله وشرعاً العاصي وغير المعصوم قد يكون محفوظاً فلا يصدر عنه ذنب أو يصدر عنه ويتوب منه حالاً توبة نصوحاً فالآية لا تتناوله وإنما تتناول العاصي على أن العهـد في الآية كما يحتمل أن يراد به الإمامة العظمى يحتمل أيضاً أن المراد به النبوة أو الإمامة في الدين أو نحوهما من مراتـب الكمـال وهـذه الجهالة منهم إنما اخترعوها ليبنوا عليها بطلان خلافة غير علي وسيأتي ما يرد عليهم ويبين عنادهم وجهلهم وضلالهم نعوذ با من الفتن والمحن آمين

الـباب الأول فـي بيان كيفية خلافة الصديق رضي ا عنه والاستدلال على حقيتها بالأدلة النقلية والعقلية وما يتبع ذلك وفيه فصول

/ الفصل الأول في بيان كيفيتها / . روى الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع مـن يعتد به أن عمر رضي ا عنه خطب الناس مرجعه من الحج فقال في خطبته قد بلغني أن قائلاً منكم يقول لو مات عمر بايعـت فلانـاً فلا يغترن امرؤ أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ألا وإنها كذلك إلا أن ا وقى شرها وليس فيكم اليوم من تقطـع إليه الأعناق مثل أبي بكر وإنه كان من خيارنا حين توفي رسول ا إن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا في بيت فاطمة وتخلفـت الأنصار عنا بأجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت له يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا مـن الأنصـار فانطلقـنا نؤمهم أي نقصدهم حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذي صنع القوم قالا أين تريدون يا معشر المهاجريـن فقلنا نريد إخواننا من الأنصار فقالا لا عليكم أن لا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين فقلت وا لنأتينهم فانطلقـا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ما له قالوا وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على ا بما هو أهله وقال أما بعد فنحن أنصار ا وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشـر المهاجريـن رهـط منا وقد دفت دافة منكم أي دب قوم منكم بالاستعلاء والترفع علينا تريدون أن تخذلونا من أصلنا وتحضـنونا مـن الأمر أي تنحونا منه وتستبدون به دوننا فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقولهـا بيـن يـدي أبي بكر وقد كنت أداري منه بعض الحد وهو كان أحلم مني وأوقر فقال أبو بكر على رسلك فكرهت أن أغضـبه وكـان أعلم مني وا ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته وافضل حتى سكت فقال أما بعد فما ذكـرتم من خير فأنتم أهله ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحـد هذيـن الرجلين فبايعوا أيهما شئتم وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح فلم أكره ما قال غيرها ولأن وا أقدم فتضرب عنقـي لا يقربنـي ذلـك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر فقال قائل من الأنصار أي هو الحباب بمهملة مضمومة فموحدة ابن المنذر أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أي أنا الذي يشتفى برأيي وتدبيري وأمنع بجلادتي ولحمتي كل نائـبة تـنوبهم كمـا دل على ذلك ما في كلامه من الاستعارة بالكناية المخيل لها بذكر ما يلائم المشبه به إذ موضوع الجذيل المحكـك وهو بجيم فمعجمة تصغير جذل عود ينصب في العطن لتحتك به الإبل الجرباء والتصغير للتعظيم والعذق بفتح العين الـنخلة بحملهـا فاستعارها لما ذكرناه والمرجب بالجيم وغلط من قال بالحاء من قولهم نخلة رجبية وترجيبها ضم أعذاقها إلى سـعفاتها وشـدها بـالخوص لئلا ينفضها الريح أو يصل إليها آكل منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته ثم بايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار أما وا ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أوفق من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فإما أن نبايعهم علـى مـا لا نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد وفي رواية أن أبا بكر احتج على الأنصار بخبر الأئمة من قريش وهو /حديـث صحيح /ورد من طرق عن نحو أربعين صحابياً . و أخرج النسائي وأبو يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال لمـا قـبض رسـول ا قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير فأتاهم عمر بن الخطاب فقال يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول ا قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس وأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر فقال الأنصار نعوذ با أن نتقدم أبا بكر . و أخرج ابن سعد والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري أنهم لما اجتمعوا بالسقيفة بدار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر رضي ا

عـنهما قام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول يا معشر المهاجرين إن رسول ا كان إذا استعمل الرجل منكم يقرن معه رجلاً منا فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان منا ومنكم فتتابعت خطباؤهم على ذلك فقام زيد بن ثابت فقال أتعلمون أن رسول ا كـان مـن المهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول ا فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ثم أخذ بيد أبي بكـر فقال هذا صاحبكم فبايعه عمر ثم بايعه المهاجرون والأنصار وصعد أبو بكر المنبر ونظر في وجوه القوم فلم ير الزبير فدعـا بـه فجاء فقال قلت ابن عمة رسول ا وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول ا فقام فـبايعه ثـم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول ا وختنه على بنته أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول ا فبايعه . وروى ابن إسحاق عن أنس أنه لما بويع في السقيفة جلس الغد على المنبر فقـام عمر فتكلم قبله فحمد ا وأثنى عليه ثم قال إن ا قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول ا وثاني اثنين إذ هما في الغـار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد ا وأثنى عليه ما هو أهله ثم قال أمـا بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء ا والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء ا تعالى لا يدع قـوم الجهـاد فـي سـبيل ا إلا ضربهم ا بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم ا بالبلاء أطيعوني ما أطعت ا ورسـوله فـإذا عصيت ا ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم ا . وأخرج موسى بن عقبة في مغازية والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي ا عنه قال خطب أبو بكر رضي ا عنه فقال وا ما كنت حريصا على الإمـارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغباً فيها ولا سألتها ا في سر ولا علانية ولكني أشفقت من الفتنة ومالي في الإمارة من راحة لقد قلدت أمراً عظيماً مالي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية ا فقال علي والزبير ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة وإنا نـرى أبـا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول ا بالصلاة بالناس وهو حي . و أخرج ابن سعد عن إبراهيم التيمي أن عمر أتى أبا عبيدة أولاً ليبايعه وقال إنك أمين هذه الأمة على لسان رسول ا فقال له ما رأيت لك فهة أي ضعف رأي قبلها منذ أسلمت أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين . و أخرج أيضاً أن أبا بكر قال لعمر ابسط يدك لأبايعك فقال له أنت أفضل مني فأجابه بأنت أقوى مني ثم كرر ذلك فقال عمر فإن قوتي لك مع فضلك فبايعه . و أخرج أحمد أن أبا بكر لما خطب يوم السقيفة لم يترك شيئاً أنزل في الأنصار وذكره رسول ا في شأنهم إلا ذكره وقال لقد علمتم أن رسـول ا قـال (لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً لسلكت وادي الأنصار) ولقد علمت يا سعد أن رسول ا قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم فقال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء . و يؤخـذ منه ضعف ما حكاه ابن عبد البر أن سعداً أبى أن يبايع أبا بكر حتى لقي ا . و أخرج أحمد عن أبي بكر أنه اعتذر عـن قبولـه البيعة خشية فتنة يكون بعدها ردة وفي رواية عند ابن إسحاق وغيره أن سائله قال له ما حملك على أن تلي أمر الناس وقد نهيتني أن أتأمر على اثنين فقال لم أجد من ذلك بداً خشيت على أمة محمد الفرقة . و أخرج أحمد أنه بعد شهر نادى فـي الناس الصلاة جامعة وهي أول صلاة نادى لها بذلك ثم خطب فقال أيها الناس وددت أن هذا كفانيه غيري ولئن أخذتموني بسـنة نبيكم ما أطيقها إنه كان لمعصوماً من الشيطان وإنه كان لينزل عليه الوحي من السماء . و في رواية لابن سعد أما بعد فإنـي قد وليت هذا الأمر وأنا له كاره ووا لوددت أن بعضكم كفانيه ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول ا لـم أقـم بـه كـان رسول ا عبداً أكرمه ا بالوحي وعصمه به ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحدكم فراعوني فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني وإذا رأيتموني زغت فقوموني واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم . و في أخرى لابن سعد والخطيب أنه قال أما بعد فإني قد وليت أمركم ولست بخيركم ولكنه نزل القـرآن وسـن النبي السنن فعلمنا فاعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقى وأعجز العجز الفجور وأن أقواكم عندي الضعيف حـتى آخذ له بحقه وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإذا أحسنت فأعينوني وإذا أنا زغت فقوموني قال مالك لا يكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط . و أخرج الحاكم أن أبا قحافة لما سمع بولاية ابنه

قال هل رضي بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة قالوا نعم قال لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت . و أخرج الواقدي من طرق أنه بويع يوم مات رسول ا . و الطبراني عن ابن عمر أنه لم يجلس مجلس النبي من المنبر ولا جلس عمر مجلس أبي بكـر ولا جلـس عثمان مجلس عمر / الفصل الثاني في بيان انعقاد الإجماع على ولا يته رضي ا عنه / تنبيه . قد علم مما قدمـناه أن الصـحابة رضـوان ا عليهم أجمعوا على ذلك وأن ما حكي من تخلف سعد بن عبادة عن البيعة مردود . و مما يصرح بذلك أيضاً ما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال ما رآه المسلمون حسناً فهو عند ا حسن وما رآه المسلمون سـيئا فهـو عند ا سيء . و قد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلف أبو بكر فانظر إلى ما صح عن ابن مسعود وهو من أكابر الصـحابة وفقهائهم ومتقدميهم من حكاية الإجماع من الصحابة جميعاً على خلافة أبي بكر ولذلك كان هو الأحق بالخلافة عند جميع أهل السنة والجماعة في كل عصر منا إلى الصحابة رضوان ا عليهم أجمعين وكذلك عند جميع المعتزلة وأكثر الفرق وإجمـاعهم على خلافته قاض بإجماعهم على أنه أهل لها مع أنها من الظهور بحيث لا تخفى . فلا يقال إنها واقعة يحتمل أنها لم تبلغ بعضهم ولو بلغت الكل لربما أظهر بعضهم خلافاً على أن هذا إنما يتوهم أن لو لم يصح عن بعض الصحابة المشاهدين لذلك الأمر من أوله إلى آخره حكاية الإجماع وأما بعد أن صح عن مثل ابن مسعود حكاية إجماعهم كلهم فلا يتوهم ذلك أصلاً سيما وعلي كرم ا وجهه ممن حكى الإجماع على ذلك أيضاً كما سيأتي عند أنه ما قدم البصرة سئل عن مسيره هل هو بعهد مـن النبـي فذكر مبايعته هو وبقية الصحابة لأبي بكر وأنه لم يختلف عليه منهم اثنان . و أخرج البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي يقول أجمع الناس على خلافة أبي بكر رضي ا عنه وذلك أنه اضطراب الناس بعد رسول ا فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر فولوه رقابهم . و أخرج أسد السنة عن معاوية بن قرة قال ما كان أصحاب رسول ا يشكون أن أبا بكر خليفة رسول ا وما كانوا يسمونه إلا خليفة رسول ا وما كانوا يجتمعون على خطا ولا ضلالة وأيضاً فالأمة أجمعت علـى حقـية إمامة أحد الثلاثة ابي بكر وعلي والعباس رضي ا عنهم ثم إنهما لم ينازعاه بل بايعاه فتم بذلك الإجماع له على إمامته دونهما إذ لو لم يكن على حق لنازعاه كما نازع علي معاوية مع قوة شوكة معاوية عدة وعدداً على شوكة أبي بكر فإذا لـم يـبال علي بها ونازعه فكانت منازعته لأبي بكر أولى وأحرى فحيث لم ينازعه دل على اعترافه بحقية خلافته ولقد سأله العـباس في أن يبايعه فلم يقبل ولو علم نصاً عليه لقبل سيما ومعه الزبير مع شجاعته وبنو هاشم وغيرهم . و مر أن الأنصار كـرهوا بيعة أبي بكر وقالوا منا أمير ومنكم أمير فدفعهم ابو بكر بخبر الأئمة من قريش فانقادوا له وأطاعوه وعلي أقوى منهم شـوكة وعدة وعدداً وشجاعة فلو كان معه نص لكان أحرى بالمنازعة وأحق بالإجابة ولا يقدح في حكاية الإجماع تأخر علي والزبـير والعباس وطلحة مدة لأمور منها أنهم رأوا أن الأمر تم بمن تيسر حضوره حينئذ من أهل الحل والعقد ومنها أنهم لما جاءوا وبايعوا اعتذروا كما مر عن الأولين من طرق بأنهم أخروا عن المشورة مع أن لهم فيها حقاً لا للقدح في خلافة الصديق هذا مع الاحتياج في هذا الأمر لخطره إلى الشورى التامة ولهذا مر عن عمر بسند صحيح أن تلك البيعة كانت فلتة ولكن وقى ا شـرها . و يوافق ما مر عن الأولين من الاعتذار ما أخرجه الدراقطني من طرق كثيرة أنهما قالا عند مبايعتهما لأبي بكر إلا أنا أخرنا عن المشورة وإنا لنرى أن أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وثاني اثنين وإنا لنعرف له شرفه وخيره وفي آخـرها أنه اعتذر إليهم فقال وا ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً قط ولا ليلة ولا كنت فيها راغباً ولا سألتها ا عز وجل فـي سر ولا علانية ولكني أشفقت من الفتنة ومالي في الإمارة من راحة ولقد قلدت أمراً عظيماً إلى آخر ما مر فقبلوا منه ذلك وما اعتذر به . و أخرج الدارقطني أيضاً عن عائشة أن علياً بعث لأبي بكر رضي ا عنهما أن ائتنا فاتاهم أبو بكر رضي ا تعـالى عنه وقد اجتمعت بنو هاشم إلى علي فخطب ومدح أبا بكر ثم اعتذر عن تخلفه عن البيعة بأنه كان له حق في المشاورة ولـم يشاوروه فلما فرغ من خطبته خطب أبو بكر واعتذر بنحو ما تقدم ثم بعد ذلك بايعه علي في يومه فرأى المسلمون أنه قد أصاب وفي /الحديث المتفق على صحته/ التصريح بهذه القصة بأبسط من هذا . روى البخاري عن عائشة رضي ا عنها أن فاطمـة رضـي ا عنها أرسلت إلى أبي بكر رضي ا عنه تسأله عن ميراثها من النبي مما أفاء ا على رسوله من المدينة وفـدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر إن رسول ا قال (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل

محمـد من هذا المال) وإني وا لا أغير شيئاً من صدقة رسول ا عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول ا ولأعمان فـيها بما عمل رسول ا فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر فأرسل إلى أبـي بكر أن ائتنا ولا يأتينا معك أحد كراهية ليحضر عمر فقال عمر لا وا ما تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر وما عسيتهم أن يفعلـوا بي وا لآتينهم فدخل عليهم أبو بكر رضي ا عنه فتشهد علي فقال إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك ا ولم ننفس عليك خيراً ساقه ا إليك ولكنك استبددت علينا الأمر وكنا نرى لقرابتنا من رسول ا لنا نصيبا حتى فاضت عينا أبي بكر فلما تكلـم أبـو بكـر قـال والذي نفسي بيده لقرابة رسول ا أحب إلي أن أصل من قرابتي وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأمـوال فإني لم آل فيه عن الخير ولم أترك أمراً رأيت رسول ا يصنعه فيها إلا صنعته فقال علي لأبي بكر موعدك العشية للبـيعة فلمـا صلى أبو بكر الظهر رقى المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليهم ثم استغفر وتشهد علي فعظم حق أبي بكر وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكاراً للذي فضله ا به ولكنا كنا نرى لنا في هذا الأمر أي المشورة كما يدل عليه بقية الروايات نصيباً فاستبد علينا فوجدنا في أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا أصـبت وكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر بالمعروف . فتأمل عذره وقوله لم ننفس على أبي بكر خيراً ساقه ا إليه وأنه لا ينكر ما فضله ا به وغير ذلك مما اشتمل عليه هذا الحديث تجده بريئاً مما نسبه إليه الرافضة ونحوهم فقاتلهم ا مـا أجهلهـم وأحمقهـم . ثم هذا الحديث فيه التصريح بتأخر بيعة علي إلى موت فاطمة فينافي ما تقدم عن أبي سعيد أن علياً والزبـير بايعا من أول الأمر لكن هذا الذي مر عن أبي سعيد من تأخر بيعته هو الذي صححه ابن حبان وغيره . قال البيهقي وأما ما وقع في صحيح مسلم عن أبي سعيد من تأخر بيعته هو وغيره من بني هاشم إلى موت فاطمة رضي ا عنها فضعيف فـإن الزهـري لم يسنده وأيضاً فالرواية الأولى عن أبي سعيد هي الموصولة فتكون أصح . و عليه فبينه وبين خبر البخاري المار عن عائشة تناف لكن جمع بعضهم بأن علياً بايع أولاً ثم انقطع عن أبي بكر لما وقع بينه وبين فاطمة رضي ا عنها ما وقـع في مخلفه ثم بعد موتها بايعه مبايعة أخرى فتوهم من ذلك بعض من لا يعرف باطن الأمر أن تخلفه إنما هو لعدم رضاه ببيعته فأطلق ذلك من أطلق ومن ثم أظهر علي مبايعته لأبي بكر ثانياً بعد موتها على المنبر لإزالة هذه الشبهة على أنه سيأتي فـي الفصـل الرابع من فضائل علي أنه لما أبطأ عن البيعة لقيه أبو بكر فقال له أكرهت إمارتي فقال لا ولكن آليت لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن فزعموا أنه كتبه على تنزيله . فانظر إلى هذا العذر الواضح منه رضي ا عنه تعلم ممـا قـررناه إجماع الصحابة ومن بعدهم على حقية خلافة الصديق وأنه أهل لها وذلك كاف لو لم يرد نص عليه بل الإجماع أقـوى مـن النصوص التي لم تتواتر لأن مفاده قطعي ومفادها ظني كما سيأتي . و حكى النووي بأسانيد صحيحة عن سفيان الـثوري أن من قال إن علياً كان أحق بالولاية فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلـى السماء وأخرج الدارقطني عن عمار بن ياسر نحوه / الفصل الثالث في النصوص السمعية الدالة على خلافته رضي ا عنه من القرآن والسنة / . أما النصوص القرآنية . فمنها قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي ا بقـوم يحـبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل ا ولا يخافون لومة لا ئم ذلك فضل ا يؤتيه من يشاء وا واسع عليم) . أخرج البيهقي عن الحسن البصري أنه قال هو وا أبو بكر لما ارتدت العرب جاهدهم أبو بكـر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام وأخرج يونس بن بكير عن قتادة قال لما توفي النبي ارتدت العرب فذكر قتال أبي بكر لهـم إلـى أن قال فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه (فسوف يأتي ا بقوم يحبهم ويحبونه) وشرح هذه القصة ما أخرجه الذهبي أن وفاة النبي لما اشتهرت بالنواحي ارتد طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة فنهض أبـو بكر لقتالهم فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم فقال وا لو منعوني عقالاً أو عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول ا لقاتلـتهم علـى منعها فقال عمر وكيف تقاتل الناس وقد قال رسول ا (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا ا وأن

محمـداً رسول ا   فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على ا) فقال أبو بكر وا   لأقاتلن من فرق بين الصلاة والـزكاة فإن الزكاة حق المال وقد قال إلا بحقها قال عمر فوا   ما هو إلا أن رأيت ا   شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحـق وفـي رواية أنه لما خرج أبو بكر لقتالهم وبلغ قريب نجد هربت الأعراب فكلمه الناس يؤمر عليهم رجلاً ويرجع فأمر خـالداً ورجع . و أخرج الدارقطني عن ابن عمر قال لما برز أبو بكر واستوى على راحلته أخذ علي بزمامها وقال إلى أين يا خليفة رسول ا   أقول لك ما قال لك رسول ا   يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فوا   لئن فجعنا بك لا يكـون للإسـلام نظام أبداً . و بعث خالداً إلى بني أسد وغطفان فقتل من قتل وأسر من أسر ورجع الباقون إلى الإسلام ثم إلى الـيمامة إلـى قتال مسيلمة الكذاب فالتقى الجمعان ودام الحصار أياماً ثم قتل الكذاب لعنه ا   قتله وحشي قاتل حمزة . ثم في السنة الثانية من خلافته بعث العلاء ابن الحضرمي إلى البحرين وكانوا قد ارتدوا فالتقوا بجواثا فنصر المسلمون وبعث عكرمة بـن أبي جهل إلى عمان وكانوا قد ارتدوا وبعث المهاجر بن أمية إلى طائفة من المرتدين وزياد ابن لبيد الأنصاري إلى طائفة أخرى ومن ثم أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي ا   عنه قال وا   الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف مـا عـبد ا   ثم قال الثانية ثم قال الثالثة فقيل له مه يا أبا هريرة فقال إن رسول ا   وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام فلمـا نـزل بذي خشب قبض النبي وارتدت العرب حول المدينة واجتمع إليه أصحاب النبي فقالوا رد هؤلاء توجه هؤلاء إلى الـروم وقـد ارتدت العرب حول المدينة فقال والذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي ما رددت جيشاً وجهه رسول ا   ولا حللت لواءً عقده فوجه أسامة لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عـندهم ولكـن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام . قال النووي في تهذيبه واسـتدل أصـحابنا على عظم علم الصديق بقوله في الحديث السابق في الصحيحين وا   لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة وا   لـو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى النبي لقاتلتهم على منعه واستدل الشيخ أبو إسحاق بهذا وغيره في طبقاته على أن أبا بكـر أعلم الصحابة لأنهم كلهم وقفوا على فهم الحكم في المسألة إلا هو ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب فرجعوا إلـيه . قـال أعني النووي وروينا عن ابن عمر أنه سئل من كان يفتي الناس في زمن رسول ا   فقال أبو بكر وعمر ما أعلم غيرهما لكن أخرج ابن سعد عن القاسم بن محمد قال كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتون على عهد رسول ا   . ثم استدل على أعلميته بالخبر الرابع من الأخبار الدالة على خلافته . و قال ابن كثير كان الصديق أقرأ الصحابة أي أعلمهم بالقرآن لأنه قدمـه إمامـاً للصلاة بالصحابة مع قوله (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب ا   ) وسيأتي خبر (لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر ان يؤمهم غـيره) وكـان مـع ذلـك أعلمهـم بالسنة كلما رجع إليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي يحفظها ويستحضـرها عند الحاجة إليها ليست عندهم وكيف لا يكون كذلك وقد واظب صحبة رسول ا   من أول البعثة إلى الوفاة وهو مـع ذلـك من أزكى عباد ا   وأفضلهم وإنما لم يروعنه من الأحاديث إلا القليل لقصر مدته وسرعة وفاته بعد النبي وإلا فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه جداً ولم يترك الناقلون عنه حديثاً إلا نقلوه ولكن كان الذي في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم . و أخرج أبو القاسم البغوي عن ميمون بن مهران قـال كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب ا   فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به وإن لم يكن في الكتاب وعلم مـن رسـول ا   فـي ذلك الأمر سنة قضى بها فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول ا   قضـى في ذلك بقضاء فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول ا   فيه قضاء فيقول ابو بكر الحمد   الذي جعل فينا من يحفـظ عن نبينا فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول ا   جمع رؤوس الناس وخيارهم واستشارهم فإن أجمع أمرهم على رأي قضـى بـه وكان عمر يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد في القرآن أو السنة نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء فإن وجد أبا بكر قد قضـى فيه بقضاء قضى به وإلا دعا رؤوس المسلمين فإذا اجتمعوا على أمر قضى به . و من الآيات الدالة على خلافته أيضاً قولـه تعـالى (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي باس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم ا   أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً) . أخرج ابن أبي حاتم عن جويبر أن هؤلاء القوم هم بنو حنيفة ومن ثم

قـال ابـن أبي حاتم وابن قتيبة وغيرهما هذه الآية حجة على خلافة الصديق لأنه الذي دعا إلى قتالهم . قال الشيخ أبو الحسن الأشـعري رحمه ا إمام أهل السنة سمعت الإمام أبا العباس بن سريج يقول خلافة الصديق في القرآن في هذه الآية قال لأن أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا إليه إلا دعاء أبي بكر لهم وللناس إلى قتال أهل الردة ومن منع الزكاة قـال فـدل ذلك على وجوب خلافة أبي بكر وافتراض طاعته إذ أخبر ا أن المتولي عن ذلك يعذب عذاباً أليماً قال ابن كثير ومـن فسر القوم بأنهم فارس والروم فالصديق هو الذي جهز الجيوش إليهم وتمام أمرهم كان على يد عمر وعثمان وهما فرعا الصـديق . فإن قلت يمكن أن يراد بالداعي في الآية النبي أو علي رضي ا عنه . قلت لا يمكن ذلك مع قوله تعالى (قل لن تتبعونا) ومن ثم لم يدعوا إلى محاربة في حياته إجماعاً كما مر وأما علي فلم يتفق له في خلافته قتال لطلب الإسلام أصلاً بل لطلـب الإمامـة ورعايـة حقوقها وأما من بعده فهم عندنا ظلمة وعندهم كفار فتعين أن ذلك الداعي الذي يجب باتباعه الأجر الحسـن وبعصـيانه العـذاب الأليم أحد الخلفاء الثلاثة وحينئذ فيلزم عليه حقية خلافة أبي بكر على كل تقدير لأن حقية خلافة الآخريـن فرع عن حقية خلافته إذ هما فرعاها الناشئان عنها والمترتبان عليها . و من تلك الآيات أيضاً قوله تعالى (و عد ا الذيـن آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهـم وليبدلـنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) . قال ابن كثير هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق . و أخـرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الرحمن بن عبد الحميد المهري قال إن ولاية أبي بكر وعمر في كتاب ا يقول ا تعـالى (وعـد ا الذيـن آمـنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) الآية ٣ . و منها قوله تعالى (للفقراء المهاجريـن) إلـى قوله (أولئك هم الصادقون) . وجه الدلالة أن ا تعالى سماهم صادقين ومن شهد له ا سبحانه وتعالى بالصـدق لا يكذب فلزم أن ما أطبقوا عليه من قولهم لأبي بكر يا خليفة رسول ا صادقون فيه فحينئذ كانت الآية ناصة على خلافـته أخـرجه الخطيب عن أبي بكر بن عياش وهو استنباط حسن كما قاله ابن كثير . و منها قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) . قال الفخر الرازي هذه الآية تدل على إمامة أبي بكر رضي ا تعالى عنه لأنه ذكر أن تقديـر الآيـة اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم وا تعالى قد بين في الآية الأخرى أن الذين أنعم عليهم من هم بقوله تعالى (فأولـئك مـع الذين أنعم ا عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) ولا شك أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر رضـي ا عنه فكان معنى الآية أن ا تعالى أمر أن نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر وسائر الصديقين ولو كان أبو بكر رضـي ا عنه ظالماً لما جاز الاقتداء به فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الآية على إمامة أبي بكر الصديق رضي ا عنه . و أما النصـوص الواردة عنه المصرحة بخلافته والمشيرة إليها فكثيرة جداً الأول أخرج الشيخان عن جبير بن مطعم قال أتت امرأة إلـى النبـي فأمرها أن ترجع إليه فقالت أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال (إن لم تجديني فأت أبا بكر) . و أخـرج ابن عساكر عن ابن عباس قال جاءت امرأة إلى النبي تسأله شيئاً فقال لها (تعودين) فقالت يا رسول ا إن عدت فلم أجـدك تعرض بالموت فقال (إن جئت فلم تجديني فأت أبا بكر فإنه الخليفة من بعدي) . الثاني أخرج أبو القاسم البغوي بسند حسـن عـن عبد ا بن عمر رضي ا عنهما قال سمعت رسول ا يقول (يكون خلفي اثنا عشر خليفة أبو بكر لا يلبث إلا قلـيلاً) قـال الأئمة صدر هذا الحديث مجمع على صحته وأورد من طرق عدة أخرجه الشيخان وغيرهما فمن تلك الطرق لا يـزال هـذا الأمر عزيزاً ينصرون على من ناوأهم عليه إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش) رواه عبد ا بن أحمد بسند صـحيح . و مـنها لا يـزال هذا الأمر صالحاً . و منها لا يزال هذا الأمر ماضياً رواهما أحمد . و منها لا يزال أمر الناس ماضـياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً . ومنها إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة . و منها لا يزال الإسلام عزيـزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة رواها مسلم . و منها للبزار لا يزال أمر أمتي قائماً حتى يمضي اثنا عشر خليفة كلهم من قـريش زاد أبو داود فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا ثم يكون ماذا قال ثم يكون الهرج . و منها لأبي داود لا يزال هذا الديـن قائمـاً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة . و عن ابن مسعود بسند حسن أنه سئل كم يملك هذه الأمة من خليفة فقال سألنا عنها رسول ا فقال (اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل) . قال القاضي عياض لعل المراد بالاثني

عشـر فـي هذه الأحاديث وما شابهها أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والإجماع على من يقوم بالخلافة وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني أمية ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد فاتصلت تلـك الفتن بينهم إلى أن قامت الدولة العباسية فاستأصلوا أمرهم . قال شيخ الإسلام في فتح الباري كلام القاضي هذا أحسن ما قيل في هذا الحديث وأرجحه لتأييده بقوله في بعض طرقه الصحيحة كلهم يجتمع عليه الناس والمراد باجتماعهم انقيادهم لبيعته والذي اجتمعوا عليه الخلفاء الثلاثة ثم علي إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة ثم اجتمعوا عليه عـند صلح الحسن ثم على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك ثم لما مات يزيد اختلفوا إلى أن اجتمعوا على عبد الملـك بعـد قتل ابن الزبير ثم على أولاده الأربعة الوليد فسليمان فيزيد فهشام وتخال بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز فهـؤلاء سـبعة بعد الخلفاء الراشدين والثاني عشر الوليد ابن يزيد بن عبد الملك اجتمعوا عليه لما مات عمه هشام فولي نحو أربـع سـنين ثـم قاموا عليه فقتلوه وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك لوقـوع الفتن بين من بقي من بني أمية ولخروج المغرب الأقصى عن العباسيين بتغلب المروانيين على الأندلس إلى أن تسموا بالخلافة وانفرط الأمر إلى أن لم يبق في الخلافة إلا الاسم بعد أن كان يخطب لعبد الملك في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً يميـناً وشمالاً مما غاب عليه المسلمون ولا يتولى أحد في بلد إمارة في شيء إلا بأمر الخليفة . و قيل المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى القيامة يعملون بالحق وإن لم يتوالوا ويؤيده قول أبي الجلد كلهم يعمل بالهدى ودين الحق منهم رجلان من أهل بيت محمد فعليه المراد بالهرج الفتن الكبار كالدجال وما بعده وبالاثني عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابـن الزبـير وعمر بن عبد العزيز قيل ويحتمل أن يضم إليهم المهدي العباسي لأنه في العباسيين كعمر بن عبد العزيز في الأمويـين والطاهـر العباسي أيضاً لما أوتيه من العدل ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من آل بيت محمد وحمل بعض المحدثين الحديث السابق على ما يأتي بعد المهدي لرواية ثم يلي الأمر بعده اثنا عشر رجلاً ستة من ولد الحسن وخمسة مـن ولـد الحسين وآخر من غيرهم لكن سيأتي في الكلام على الآية الثانية عشرة من فضائل أهل البيت أن هذه الرواية واهية جداً فلا يعول عليها . الثالث أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن حذيفة قال قال رسول ا (اقتدوا باللذيـن مـن بعدي أبي بكر وعمر) وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء والحاكم من حديث ابن مسعود . و روى أحمد والـترمذي وابـن ماجه وابن حبان في صحيحه عن حذيفة إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وتمسكوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوا . و الترمذي عن ابن مسعود والروياني عن حذيفة وابن عدي عن أنـس اقـتدوا باللذيـن من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود . الرابع أخرج الشـيخان عـن أبي سعيد الخدري قال خطب رسول ا الناس وقال (إن ا تبارك وتعالى خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند ا) فبكى أبو بكر وقال بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول ا عن عبد خيره ا فكـان رسـول ا هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول ا إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين باب إلا سد إلا باب أبي بكر . و في لفظ لهما لا يبقين في المسجد غير خوخة إلا خوخة أبي بكر . وفي آخر لعبد ا بن أحمد أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار سدوا كل خوخـة في المسجد غير خوخة أبي بكر . و في آخر للبخاري ليس في الناس أحد أمن علي في نفسي ومالي من أبي بكر بن أبـي قحافـة ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام افضل سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر . و في آخر لابن عدي سدوا هذه الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب أبي بكر وطرقه كثيرة منها عن حذيفة وأنـس وعائشـة وابن عباس ومعاوية بن أبي سفيان رضي ا تعالى عنهم . قال العلماء في هذه الأحاديث إشارة إلى خلافة الصديق رضي ا تعالى عنه وكرم وجهه لأن الخليفة يحتاج إلى القرب من المسجد لشدة احتياج الناس إلى ملازمته له للصلاة بهـم وغيرها . الخامس أخرج الحاكم وصححه عن أنس قال بعثني بنو المصطلق إلى رسول ا أن سله إلى من ندفع صدقاتنا بعـدك فأتيته فسألته فقال إلى أبي بكر ومن لازم دفع الصدقة إليه كونه خليفة إذ هو المتولي قبض الصدقات . السادس أخرج

مسـلم عن عائشة قالت قال لي رسول في مرضه الذي مات فيه (ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمـن ويقـول قائل أنا أولى ويأبى ا والمؤمنون إلا أبا بكر) . و أخرجه أحمد وغيره من طرق عنها وفي بعضها قال لي رسـول ا في مرضه الذي مات فيه ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه أحد ثم قال دعيه معاذ ا أن يختلف المؤمنون في أبي بكر . و في رواية عن عبد ا بن أحمد أبى ا والمؤمنون أن يختلف عليك يا أبا بكر . السـابع أخـرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي ا عنه قال مرض النبي فاشتد مرضه فقال (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت عائشة يا رسول ا إنه رجل رقيق القلب إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس فقال (مري أبا بكر فليصل بالناس) فعادت فقال (مري أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف) فأتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول ا . وفـي رواية أنها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولي له يأمر عمر فقالت له فأبى حتى غضب وقال (أنتن أو إنكن أو لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر) . اعلم أن هذا الحديث متواتر فإنه ورد من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبد ا بن زمعة وأبي سعيد وعلي بن أبي طالب وحفصة وفي بعض طرقه عن عائشة لقد راجعت رسول ا في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به فأردت أن يعدل ذلك رسول ا عن أبي بكر . وفي حديث ابن زمعة أن رسول ا بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فصلى فقال رسول ا لا لا يأبى ا والمسلمون إلا أبا بكر فيصلي بالناس أبو بكر . و في رواية عنه أنه قـال له (أخرج وقل لأبي بكر يصلي بالناس) فخرج فلم يجد على الباب إلا عمر في جماعة ليس فيهم أبو بكر فقال يا عمر صـل بالناس فلما كبر وكان صيتاً وسمع صوته قال (يأبى ا والمسلمون إلا أبا بكر يأبى ا والمسلمون إلا أبا بكر يأبى ا والمسلمون إلا أبا بكر) وفي حديث ابن عمر كبر عمر فسمع رسول ا تكبيره فأطلع رأسه مغضباً فقال (أين ابن أبي قحافة) . قال العلماء في هذا الحديث أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالإمامة . قـال الأشـعري قد علم بالضرورة أن رسول ا أمر الصديق أن يصلي بالناس مع حضور المهاجرين والأنصار مع قوله (يـؤم القوم أقرؤهم لكتاب ا) فدل على أنه كان أقرأهم أي أعلمهم بالقرآن انتهى . و قد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على أنه أحـق بالخلافة منهم عمر ومر كلامه في فصل المبايعة ومنهم علي فقد أخرج ابن عساكر عنه لقد أمر النبي أبا بكر أن يصلي بالـناس وإنـي لشاهد وما أنا بغائب وما بي مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي لديننا . قال العلماء وقد كان معروفاً بأهلية الإمامـة في زمان النبي . و أخرج أحمد وأبو داود وغيرهما عن سهل بن سعد قال كان قتال بين بني عمرو وبني عوف فبلغ النبـي فأتـاهم بعد الظهر ليصلح بينهم فقال (يا بلال إن حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس) فلما حضرت صـلاة العصر أقام بلال الصلاة ثم أمر أبا بكر فصلى . ووجه ما تقرر من أن الأمر بتقديمه للصلاة كما ذكر فيه الإشارة أو التصـريح بأحقيته بالخلافة إذ القصد الذاتي من نصب الإمام العالم إقامة شعائر الدين على الوجه المأمور به من أداء الواجبات وتـرك المحرمات وإحياء السنن وإماتة البدع وأما الأمور الدنيوية وتدبيرها كاستيفاء الأموال من وجوهها وإيصالها لمستحقها ودفـع الظلـم ونحو ذلك فليس مقصوداً بالذات بل ليتفرغ الناس لأمور دينهم إذ لا يتم تفرغهم له إلا إذا انتظمت أمور معاشهم بـنحو الأمن على الأنفس والأموال ووصول كل ذي حق إلى حقه فلذلك رضي النبي لأمر الدين وهو الإمامة العظمى أبا بكر بـتقديمه للإمامة في الصلاة كما ذكرنا ومن ثم أجمعوا على ذلك كما مر . و أخرج ابن عدي عن أبي بكر بن عياش قال قال لـي الرشـيد يـا أبا بكر كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق رضي ا عنه قلت يا أمير المؤمنين سكت ا وسكت رسوله وسكت المؤمنون قال وا ما زدتني إلا عماء قلت يا أمير المؤمنين مرض النبي ثمانية أيام فدخل عليه بلال فقال يا رسول ا مـن يصـلي بالناس قال (مر أبا بكر فليصل بالناس) فصلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل عليه فسكت رسول ا لسكوت ا وسكت المؤمنون لسكوت رسول ا فأعجبه فقال بارك ا فيك . الثامن أخرج ابن حبان عن سفينة لما بنى رسول ا المسـجد وضـع في البناء حجراً وقال لأبي بكر (ضع حجرك إلى جنب حجري) ثم قال لعمر (ضع حجرك إلى جنب حجـر أبي بكر) ثم قال لعثمان (ضع حجرك إلى جنب حجر عمر) ثم قال (هؤلاء الخلفاء بعدي) قال أبو زرعة إسناده لا

بـأس به وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في الدلائل وغيرهما وقوله لعثمان ما ذكر يرد على من زعم أن هـذا إشـارة إلى قبورهم على أن قوله آخر الحديث هؤلاء الخلفاء بعدي صريح فيما أفاده الترتيب الأول أن المراد به ترتيب الخلافة . التاسع أخرج الشيخان عن ابن عمر رضي ا تعالى عنهما أن النبي قال (رأيت كأني أنزع بدلو بكرة بسكون الكاف على قليب أي بئر لم تطو فجاء ابو بكر فنزع ذنوباً أي بفتح المعجمة دلواً ممتلئة ماء أو قريبة من ملئه أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً وا يغفر له ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غرباً أي دلواً عظيماً فلم أر عبقرياً أي رجلاً قوياً شديداً من الناس يفري فريه أي يعمل عمله حتى روي الناس وضربوا بعطن) والعطن ما تناخ فيه الإبل إذا رويت . و في رواية لهما بينا أنا نائم رأيتني على قليـب عليها دلو فنزعت منها ما شاء ا ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف وا يغفر له ضعفه ثـم استحالت غرباً فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن . و في أخرى لهما بيـنا أنا على بئر أنزع منها إذ جاءني أبو بكر وعمر فأخذ أبو بكر الدلو فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف يغفر ا له ضعـفه ثـم أخـذ ابن الخطاب من يد أبي بكر فاستحالت في يده غرباً فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن وفي رواية فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر وفي رواية فأتاني أبو بكر فأخذ الدلو من يدي ليريحني وفي روايـة رأيـت الـناس اجتمعوا فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف إلى آخره . قال النووي في تهذيبه قال العلمـاء هذا إشارة إلى خلافة أبي بكر وعمر رضي ا عنهما وكثرة الفتوح وظهور الإسلام في زمن عمر . وقال في غيره هـذا المـنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك مأخوذ من النبي لأنه صاحب الأمر فقام به أكمل مقام وقرر قواعد الدين ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فاتسع الإسلام في زمنه فشبه أمر المسلمين بقليب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحهم وأميرهم بالمستسقي منها لهم وفي قوله (أخذ أي أبو بكر الدلو مـن يـدي ليريحني) إشارة إلى خلافة أبي بكر بعد موته لأن الموت راحة من كد الدنيا وتعبها فقام أبو بكر بتدبير أمر الأمة ومعانـاة أحوالهـم وأما قوله (و في نزعه ضعف) فهو إخبار عن حاله في قصر مدة ولايته وأما ولاية عمر فإنها لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دائرة الإسلام بكثرة الفتوح وتمصير الأمصار وتدوين الدواوين وليس في قوله (و يغفر ا له) نقـص ولا إشارة إلى أنه وقع في ذنب وإنما هي كلمة كانوا يقولونها عند الاعتناء بالأمر . و أخرج أحمد وأبو داود عن سمرة بـن جندب أن رجلاً قال يا رسول ا رأيت كأن دلواً دلي من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بها فشرب شرباً ضعيفاً ثم جاء عمر فـأخذ بهـا وشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فأخذ بها فشرب حتى تضلع ثم جاء علي فانتشطت أي اجتذبت ورفعت وانتضح علـيه منها شيء . العاشر أخرج أبو بكر الشافعي في الغيلانيات وابن عساكر عن حفصة أنها قالت لرسول ا إذا أنت ترمت قدمـت أبـا بكـر قال (لست أنا أقدمه ولكن ا قدمه) . الحادي عشر أخرج أحمد عن سفينة وأخرجه أيضاً أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره قال سمعت النبي يقول (الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك) . و في رواية الخلافة بعدي ثلاثـون سـنة ثـم تصير ملكاً عضوضاً أي يصيب الرعية فيه عنف وظلم كأنهم يعضون فيه عضاً . قال العلماء لم يكن في الثلاثيـن بعـده إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن ووجه الدلالة منه أنه حكم بحقية الخلافة عنه في أمر الدين هذه المدة دون ما بعدهـا وحينئذ فيكون هذا دليلاً واضحاً في حقية خلافة كل من الخلفاء الأربعة . و قيل لسعيد بن جمهان إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك . فإن قلت ينافي هذا خبر الاثني عشر خليفة السابق . قلت لا ينافيه لأن أل هنا للكمال فيكون المراد هنا الخلافة الكاملة ثلاثون سنة وهي منحصرة في الخلفاء الأربعة والحسن لأن مدته هـي المكملة للثلاثين والمراد ثم مطلق الخلافة التي فيها كمال وغيره لما مر أن من جملتهم نحو يزيد بن معاوية وعلى القول الثانـي السابق ثم فليس الخلفاء المذكورون على هذا القول حاوين من الكمال ما حواه الخمسة . الثاني عشر أخرج الدارقطني والخطيـب وابـن عساكر عن علي قال قال لي رسول ا (سألت ا أن يقدمك ثلاثاً فأبى علي إلا تقديم أبي بكر) . الثالث عشـر أخرج ابن سعد عن الحسن قال قال أبو بكر يا رسول ا ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس قال (لتكونن من الناس بسـبيل) قـال ورأيت في صدري كالرقمتين قال (سنتين) . الرابع عشر أخرج البزار بسند حسن عن أبي عبيدة بن الجراح

أميـن هذه الأمة أنه قال قال رسول ا (إن أول دينكم بدء بنبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكاً وجبرية) وجه الدلالـة منه أنه اثبت لخلافة أبي بكر أنها خلافة ورحمة إذ هي التي وليت مدة النبوة والرحمة وحينئذ فيلزم حقيتها ويلزم من حقيـتها حقية خلافة بقية الخلفاء الراشدين رضي ا عنهم . و اخرج ابن عساكر عن أبي بكرة قال أتيت عمر وبين يديه قوم يـأكلون فرمى ببصره في مؤخر القوم إلى رجل فقال ما تجد فيما يقرأ قبلك من الكتب قال خليفة النبي صديقه . و أخرج ابن عسـاكر عن محمد بن الزبير قال أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري أسأله عن أشياء فجئته فقلت له أشفني فيما اخـتلف فيه الناس هل كان رسول ا استخلف أبا بكر فاستوى الحسن قاعداً فقال أو في شك هو لا أبا لك أي وا الذي لا إله إلا هـو لقد استخلفه ولهو كان أعلم با وأتقى له وأشهد له مخافة من أن يموت عليها لو لم يؤمره الخامس عشر أخرج البزار عـن عائشة رضي ا عنها أن رسول ا لما اشتد به وجعه قال (ائتوني بداوة وكتف أو قرطاس أكتب لأبي بكر كتاباً أن لا يخـتلف الـناس علـيه) ثم قال (معاذ ا أن يختلف الناس على أبي بكر) . فهذا نص صريح كما قاله بعض المحققين على خلافة ابي بكر وأنه إنما ترك معولاً كتابه على أنه لا يقع إلا كذلك وبهذا يبطل قول من ظن أنه إنما أراد أن يكتب كتاباً بزيادة أحكـام خشـي عمر عجز الناس عنها بل الصواب أنه إنما أراد أن يكتب في ذلك الكتاب النص على خلافة أبي بكر لكن لما تـنازعوا واشـتد مرضه عدل عن ذلك معولاً على ما هو الأصل في ذلك من استخلافه على الصلاة . وفي مسلم عن عائشة رضـي ا عـنها أنـه قـال (ادعـي لي أباك وأخاك أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى ا والمؤمـنون إلا أبا بكر) / الفصل الرابع في بيان أن النبي هل نص على خلافة أبي بكر رضي ا عنه / . اعلم أنهم اختلفوا في ذلك ومن تأمل الأحاديث التي قدمناها علم من أكثرها أنه نص عليها نصاً ظاهراً وعلى ذلك جماعة من المحققين وهو الحق وقال جمهور أهل السنة والمعتزلة والخوارج لم ينص على أحد . و يؤيدهم ما أخرجه البزار في مسنده عن حذيفة قال قالوا يا رسول ا ألا تستخلف علينا قال (إني إن استخلف عليكم فتعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب) وأخرجه الحاكم في المستدرك لكـن فـي /سنده ضعف/ . و ما أخرجه الشيخان عن عمر رضي ا عنه أنه قال حين طعن إن أستخلف فقد استخلف من هو خـير منـي يعني أبا بكر وإن أتركك فقد ترككم من هو خير مني رسول ا . و ما أخرجه أحمد والبيهقي /بسند حسن / عن علي رضي ا عنه أنه لما ظهر علي يوم الجمل قال أيها الناس إن رسول ا لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الـرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر فأقام واستقام حتى ضـرب الديـن بجـرانه ثم إن أقواماً طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي ا فيها . و الجران بكسر الجيم باطن عنق البعير يقال ضـرب بجرانه الشيء أي استقر وثبت . و أخرج الحاكم وصححه أنه قيل لعلي ألا تستخلف علينا فقال ما استخلف رسول ا فأسـتخلف ولكـن إن يرد ا بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم . و ما أخرجه ابن سـعد عـن علي أيضاً قال قال علي لما قبض النبي نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي لديننا فقدمنا أبا بكر وقول البخاري في تاريخه روي عن ابن جمهان عن سفينة أن النبي لأبي بكر وعمر وعثمان (هؤلاء الخلفاء بعدي) قال البخاري ولم يتابع على هذا لأن عمر وعلياً وعثمان قالوا لم يستخلف النبي انتهى . و مر أن هذا الحديـث أعني قوله هؤلاء الخلفاء بعدي صحيح ولا منافاة بين القول بالاستخلاف والقول بعدمه لأن مراد من نفاه أنه لم ينص عـند الموت على استخلاف أحد بعينه ومراد من أثبته أنه نص عليه وأشار إليه قبل ذلك ولا شك أن النص على ذلك قبل قرب الوفـاة يتطرق إليه الاحتمال وإن بعد بخلافه عند الموت فلذلك نفى الجمهور كعلي وعمر وعثمان الاستخلاف ويؤيد ذلك قول بعـض المحققيـن من متأخري الأصوليين معنى لم ينص عليها لأحد لم يأمر بها لأحد على أنه قد يؤخذ مما في البخاري عن عـثمان أن خلافـة أبـي بكر منصوص عليها والذي فيه في هجرة الحبشة عنه من جملة حديث أنه قال وصحبت رسول ا وبايعته ووا ما عصيته ولا غششته حتى توفاه ا ثم استخلف ا أبا بكر فوا ما عصيته ولا غششته ثم استخلف عمر فوا ما عصيته ولا غششته الحديث . فتأمل قوله في أبي بكر ثم استخلف ا أبا بكر وفي عمر ثم استخلف عمر تعلم دلالته على ما ذكـرته من النص على خلافة أبي بكر وإذا أفهم كلامه هذا ذلك مع ما مر عنه من أنها غير منصوص عليها تعين الجمع بين

كلاميه بما ذكرناه وكان اشتمال كلاميه على ذينك مؤيداً للجمع الذي قدمناه وعلى كل فهو كان يعلم لمن هي بعده بإعلام ا له ومع ذلك فلم يؤمر بتبليغ الأمة النص على واحد بعينه عند الموت وإنما وردت عنه ظواهر تدل على أنه علم بإعلام ا له أنها لأبـي بكر فأخبر بذلك كما مر وإذا أعلمها فأما أن يعلمها علماً واقعاً موافقاً للحق في نفس الأمر أو أمراً واقعاً مخالفاً له وعلى كـل حال لو وجب على الأمة مبايعة غير أبي بكر لبالغ رسول ا في تبليغ ذلك الواجب إليهم بأن ينص عليه نصاً جلياً ينقل مشـتهراً حـتى يبلغ الأمة ما لزمهم ولما لم ينقل كذلك مع توفر الدواعي على نقله دل على أنه لا نص وتوهم أن عدم تبليغه لعلمه بأنهم لا يأتمرون بأمره فلا فائدة فيه باطل فإن ذلك غير مسقط لوجوب التبليغ عليه ألا ترى أنه بلغ سائر التكاليف للآحاد مـع الذيـن علم منهم أنهم لا يأتمرون فلم يسقط العلم بعدم ائتمارهم التبليغ عنه واحتمال أنه بلغ أمر الإمامة سراً واحداً واثنين ونقل كذلك لا يفيد لأن سبيل مثله الشهرة لصيرورته بتعدد التبليغ وكثرة المبلغين أمراً مشهوراً إذ هو من أهم الأمور لما يتعلق به من مصالح الدين والدنيا كما مر مع ما فيه من دفع ما قد يتوهم من إثارة فتنة . و احتمال أنه بلغه مشتهراً ولم ينقل أو نقل ولـم يشـتهر فيما بعد عصره باطل أيضاً إذ لو اشتهر لكان سبيله أن ينقل نقل الفرائض لتوفر الدواعي على نقل مهمات الدين فالشهرة هنا لازمة لوجود النص فحيث لا شهرة لا نص بالمعنى المتقدم لا لعلي ولا لغيره فلزم من ذلك بطلان ما نقله الشيعة وغـيرهم مـن الأكاذيب وسودوا به أوراقهم من نحو خبر أنت الخليفة من بعدي وخبر سلموا على علي بإمرة المؤمنين وغير ذلك مما يأتي إذ لا وجود لما نقلوه فضلاً عن اشتهاره كيف وما نقلوه لم يبلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها إذ لم يصل علمه لأئمة الحديث المثابرين على التنقيب عنه كما اتصل بهم كثير مما ضعفوه وكيف يجوز في العادة أن ينفرد هؤلاء أن بعلم صحة تلك الآحـاد مـع أنهـم لم يتصفوا قط برواية ولا بصحبة محدث ويجهل تلك الآحاد مهرة الحديث وسباقه الذين افنوا أعمارهم في الـرحلات والأسـفار البعيدة وبذلوا جهدهم في طلبه وفي السعي إلى كل من ظنوا عنده قليلاً منه فلذلك قضت العادة المطردة القاطـعة بكذبهم واختلافهم فيما زعموه من نص على علي صح آحاداً عندهم دون غيرهم مع عدم اتصافهم برواية حديث ولا صـحبة لمحـدث كما تقرر . نعم روي آحاداً خبر أنت مني بمنزلة هارون من موسى وخبر من كنت مولاه فعلي مولاه . و سـيأتي الجـواب عـنهما واضحاً مبسوطاً وأنه لا دلالة لواحد منهما على خلافة علي لا نصاً ولا إشارة وإلا لزم نسبة جميع الصـحابة إلى الخطأ وهو باطل لعصمتهم من أن يجتمعوا على ضلالة فإجماعهم على خلاف ما زعمه أولئك المبتدعة الجهال قـاطع بأن ما توهموه من هذين الحديثين غير مراد إذ لو فرض احتمالهما لما قالوه فكيف وهما لا يحتملانه كما يأتي فظهر أن ما سودوا به أوراقهم من تلك الآحاد لا تدل لما زعموه . و احتمال أن ثم نصاً غير ما زعموه يعلمه علي أو أحد المهاجرين أو الأنصار باطل أيضاً وإلا لأورده العالم به يوم السقيفة حين تكلموا في الخلافة أو فيما بعده لوجوب إيراده حينئذ . و قوله ترك علـي إيراده مع علمه به تقية باطل إذ لا خوف يتوهمه من له أدنى مسكة وإحاطة بعلم أحوالهم في مجرد ذكره لهم ومنازعته فـي الإمامـة به كيف وقد نازع من هو أضعف منه وأقل شوكة ومنعة من غير أن يقيم دليلاً على ما يقوله ومع ذلك فلم يؤذ بكلمـة فضلاً عن أن يقتل فبان بطلان هذه التقية المشؤومة عليهم سيما وعلي قد علم بواقعة الحباب وبعدم إيذائه بقول أو فعل مـع أن دعواه لا دليل عليها ومع ضعفه وضعف قومه بالنسبة لعلي وقومه . و أيضاً فيمتنع عادة من مثلهم أنه يذكره لهم ولا يرجعون إليه كيف وهم أطوع وأعمل بالوقوف عند حدوده وابعد عن اتباع حظوظ النفس لعصمتهم السابقة وللخبر الصحيح خير القرون قرني ثم الذين يلونهم . و أيضاً ففيهم العشرة المبشرون بالجنة ومنهم أبو عبيدة أمين هذه الأمة كما صح من طرق فلا يتوهم فيهم وهم بهذه الأوصاف الجليلة أنهم يتركون العمل بما يرويه لهم من تقبل روايته بلا دليل أرجح يعولون عليه معاذ ا أن يجوز ذلك عليهم شرعاً أو عادة إذ هو خيانة في الدين وإلا لارتفع الأمان في كل ما نقلوه عنه من القرآن والأحكام ولم يجـزم بشـيء من أمور الدين مع أنه بجميع أصوله وفروعه إنما أخذ منهم على أن في نسبة علي إلى الكتم غاية نقص له لما يلـزم عليه من نسبته وهو أشجع الناس إلى الجبن والظلم ولهذا التوهم كفره بعض الملحدين كما يأتي فعلم مما تقرر جميعه أنه لا نص على إمامة علي حتى ولا بالإشارة وأما أبو بكر فقد علمت من النصوص السابقة المصرحة بخلافته وعلى فرض أن لا نـص عليه أيضاً ففي إجماع الصحابة عليها غنى عن النص إذ هو أقوى منه لأن مدلوله قطعي ومدلول خبر الواحد ظني . و

أمـا تخلـف جمع كعلي والعباس والزبير والمقداد عن البيعة وقت عقدها فمر الجواب عنه مستوفى وحاصله مع الزيادة أن أبا بكـر أرسـل إليهم بعد فجاؤوا فقال للصحابة هذا علي ولا بيعة لي في عنقه وهو بالخيار في أمره ألا فأنتم بالخيار جميعاً في بيعـتكم إيـاي فإن رأيتم لها غيري فأنا أول من يبايعه فقال علي لا نرى لها أحداً غيرك فبايعه هو وسائر المتخلفين / الفصل الخـامس في ذكر شبه الشيعة والرافضة ونحوهما وبيان بطلانها بأوضح الأدلة وأظهرها / . الشبهة الأولى زعموا أنه لم يول أبـا بكـر عملاً يقيم فيه قوانين الشرع والسياسة فدل ذلك على أنه لا يحسنهما وإذا لم يحسنهما لم تصح إمامته لأن من شروط الإمـام أن يكون شجاعاً . و الجواب عن ذلك بطلان ما زعموه من أنه لم يوله عملاً ففي البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي ا عنه غزوت مع رسول ا سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات مرة علينا أبو بكر ومرة علينا أسامة . وولاه الحـج بالناس سنة تسع . و ما زعموه من أنه لا يحسن ذلك باطل أيضاً كيف وعلي كرم ا وجهه معترف بأنه أشجع الصـحابة فقـد أخرج البزار في مسنده عن علي أنه قال أخبروني من أشجع الناس قالوا أنت قال أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول ا عريشاً فقلنا من يكون مع رسول ا لئلا يهوي إليه أحد من المشركين فوا ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول ا لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس قال علي ولقد رأيت رسول ا وأخذته قريش فهذا يجؤه وهذا يتلتله وهم يقولون أنـت الـذي جعلـت الآلهة إلهاً واحداً قال فوا ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجؤ هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقـتلون رجلاً أن يقول ربي ا ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكـر فسكت القوم فقال ألا تجيبوني فوا لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذلك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه . و أخرج البخاري عن عروة بن الزبير سألت عبد ا بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول ا قـال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه وقال أتقتلون رجلاً أن يقول ربي ا وقد جاءكم بالبينات من ربكم . و أخرج ابن عساكر عن علي رضي ا عنه قال لما اسـلم أبـو بكر أظهر إسلامه ودعا إلى ا وإلى رسوله . و أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال تباشرت الملائكة يوم بدر فقالوا أما ترون أن أبا بكر الصديق مع رسول ا في العريش . و أخرج أحمد وأبو يعلى والحاكم عن علي قال قال لي رسول ا يـوم بـدر ولأبـي بكر مع أحد كما جبريل ومع الآخر ميكائيل . قال بعضهم ومن الدليل على أنه أشجع من علي أن علياً أخبره النبي بقتله على يد ابن ملجم فكان إذا لقي ابن ملجم يقول له متى تخضب هذه من هذه وكان يقول إنه قاتلي كما يأتي في أواخـر ترجمته فحينئذ كان إذا دخل الحرب ولاقى الخصم يعلم أنه لا قدرة له على قتله فهو معه كأنه نائم على فراش وأما أبو بكـر فلم يخبر بقاتله فكان إذا دخل الحرب لا يدري هل يقتل أم لا فمن يدخل الحرب وهو لا يدري ذلك يقاسي من الكر والفر والجـزع والفـزع ما يقاسي بخلاف من يدخلها كأنه نائم على فراشه . و من باهر شجاعته ما وقع له في قتال أهل الردة فقد أخرج الإسماعيلي عن عمر رضي ا عنه لما قبض رسول ا ارتد من ارتد من العرب وقالوا لا نصلي ولا نزكي فأتيت أبا بكـر فقلـت يا خليفة رسول ا تألف الناس وارفق بهم فإنهم بمنزلة الوحش فقال رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك جبار في الجاهلـية خـوار في الإسلام بماذا شئت أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفترى هيهات هيهات مضى النبي وانقطع الوحي وا لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالاً قال عمر فوجدته في ذلك أمضى مني وأحزم وأدب الناس على أمور هانـت علـي كثـيراً من مؤنتهم حين وليتهم . فعلم بما تقرر عظم شجاعته ولقد كان عنده وكذلك الصحابة من العلم بشجاعته وثـباته في الأمر ما أوجب لهم تقديمه للإمامة العظمى إذ هذان الوصفان هما الأهمان في أمر الإمامة لا سيما في ذلك الوقت المحتاج فيه إلى قتال أهل الردة وغيرهم . و من الدليل على اتصافه بهما أيضاً قوله كما في الصحيح في صلح الحديبية لعروة بـن مسعود الثقفي حين قال للنبي كأني بك وقد فر عنك هؤلاء امصص بظر اللات أنحن نفر عنه أو ندعه استبعاد أن يقع ذلك . قـال العلماء وهذا مبالغة من أبي بكر رضي ا عنه في سب عروة فإنه أقام معبود عروة وهو صنمه مقام أمته وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبته إلى الفرار والبظر بموحدة مفتوحة فمعجمة ساكنة قطعة تبقى بفرج المرأة بعد الختان واللات اسم

صـنم والعـرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم . فانظر كيف نطق لهذا الكافر الشديد القوة والمنعة حينئذ بهذا السب الذي لا سب فوقه عند العرب ولم يخش شوكته مع قوتها بحيث صدوا النبي عن دخول مكة ذلك العام ووقع الصلح على أن يدخلها من العـام القابل ولم يجسر أحد من الصحابة غير الصديق على أن يتفوه لعروة بكلمة مع أنه نسبهم أجمعين إلى الفرار وإنما أجابه الصـديق فقط فدل ذلك على أنه أشجعهم كما مر عن علي . ومن شجاعته العظمى قتاله لمانعي الزكاة وعزمه عليه ولو لوحده كما قدمته مبسوطاً أول الفصل الثالث ومختصراً آنفاً فراجعه . ومن ذلك أيضاً قتاله مسيلمة اللعين وقومه بني حنيفة مع أن ا وصـفهم بـأنهم أولو باس شديد بناء على أن الآية نزلت فيهم كما قاله جمع من المفسرين منهم الزهري والكلبي . و من ذلك أيضاً ثباته عند مصادمة المصائب المدهشة التي تذهل الحليم لعظمها كثباته حين دهش الناس لموت رسول ا فإنهم ذهلوا حتى عمـر وهو من هو في الثبات فجزم بأنه لم يمت وقال من زعم ذلك ضربت عنقه حتى قدم أبو بكر من مسكنه بالعوالي فدخل على النبي وكشف عن وجهه فعرف أنه قد مات فأكب عليه يقبله ويبكي ثم خرج إليهم فاستسكت عمر عن قوله ما مر فأبى لما هو فيه من الدهش فتركه وتكلم فانحازوا إليه لعلمهم بعلو شأنه وتقدمه فخطبهم فقال أما بعد فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مـات ومن كان يعبد ا فإن ا حي لا يموت ثم قرأ (و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علـى أعقـابكم) الآية رواه البخاري وغيره فحينئذ صدقوا بوفاته وكرروا هذه الآية كأنهم لم يسمعوها قبل لعظيم ما استولى عليهم من الدهش ومن ثم كان أسد الصحابة رأياً وأكملهم عقلاً فقد أخرج تمام وابن عساكر أتاني جبريل فقال إن ا يأمرك أن تستشير أبا بكر . و الطبراني وأبو نعيم وغيرهما أنه لما أراد أن يسرح معاذاً إلى اليمن استشار ناساً من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وأسيد بن حضير فتكلم القوم كل إنسان برأيه فقال (ما ترى يا معاذ) فقلت أرى ما قال أبو بكر فقال (إن ا يكره أن يخطئ أبو بكر) . و أخرج الطبراني بسند رجاله ثقات إن ا يكره أن يخطأ أبو بكر فهذا دليل أي دلـيل على أنه أكملهم عقلاً ورأياً وعلى أنه أعلمهم ولا مرية في ذلك . فثبت بهذه الأدلة عظم شجاعته وثباته وكمال عقله ورأيـه وعلمه ومن ثم قال العلماء إنه صحب النبي من حين أسلم إلى أن توفي لم يفارقه سفراً ولا حضراً إلا فيما أذن له في الخروج فيه من حج أو غزو وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في ا ورسوله وقام بنصرته في غير موضع وله الآثار الحميدة في المشاهد وثبت يوم أحد ويوم حنين وقد فر الناس فكيف مع ذلك كله ينسب إليه عدم شجاعة أو عدم ثبات في الأمر كلا بل له فيهما الغاية القصوى والآثار الحميدة التي لا تستقصى فرضي ا تعالى عنه وكرم ا وجهه . الشـبهة الثانية زعموا أيضاً أنه لما ولاه قراءة براءة على الناس بمكة عزله وولى علياً فدل ذلك على عدم أهليته . و جوابها بطلان ما زعموه هنا أيضاً وإنما أتبعه علياً لقراءة براءة لأن عادة العرب في أخذ العهد ونبذه أن يتولاه الرجل أو أحد من بني عمه ولذلك لم يعزل أبا بكر عن إمرة الحج بل أبقاه أميراً وعلياً مأموراً له فيما عدا القراءة على أن علياً لم ينفرد بالأذان بذلك ففي صحيح البخاري أن أبا هريرة قال بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال حميد بن عبد الرحمن ثم أردف رسول ا بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فتأمله تجد علياً إنمـا أذن مـع مؤذنـي أبي بكر ومما يصرح بما ذكرناه أن أبا بكر لما جاء علي لم يعزل مؤذنيه فعدم عزله له وجعله إياهم شـركاء لعلي صريح في أن علياً إنما جاء وفاءً بعادة العرب التي قلناها لا لعزل أبي بكر وإلا لم يسع أبا بكر أن يبقي مؤذنيه يؤذنـون مـع علي فاتضح بذلك ما قلناه وأنه لا دلالة لهم في ذلك بوجه من الوجوه غير ما يفترونه من الكذب وينتحلونه من العـناد والجهـل . الشبهة الثالثة زعموا أن النبي لما ولاه الصلاة أيام مرضه عزله عنها . و جوابها أن ذلك من قبائح كذبهم وافـترائهم فقـبحهم ا وخذلهم كيف وقد قدمنا في سابع الأحاديث الدالة على خلافته من الأحاديث الصحيحة المتواترة ما هو صريح في بقائه إماماً يصلي إلى أن توفي رسول ا . و في البخاري عن أنس قال إن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يـوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول ا قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول ا يريد أن يخرج إلى الصلاة قال أنس وهم المسلمون

أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً بالنبي فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر ثم قبض وقت الضحى من ذلـك اليوم . فتأمل عظيم افترائهم وحمقهم على أن صلاته بالناس خلافة عنه متفق عليها ومجمع منا ومنهم على وقوعها فمن ادعـى انعزاله عنها فعليه البيان ولا بيان عندهم وإنما الذي انطووا عليه خبائث الافتراء والبهتان . و عن ابن عباس وغيره لم يصل النبي خاف أحد من أمته إلا خاف أبي بكر . و أما عبد الرحمن بن عوف فصلى خلفه ركعة واحدة في سفر ولم يقل أحد قـط إنه صلى خاف علي فهذه منقبة لأبي بكر أي منقبة وخصوصية أي خصوصية . الشبهة الرابعة زعموا أنه أحرق من قال أنا مسلم وقطع يد السارق اليسرى وتوقف في ميراث الجدة حتى روي له أن لها السدس وأن ذلك قادح في خلافته . و جوابها بطلان زعمهم قدح ذلك في خلافته وبيانه أن ذلك لا يقدح إلا إذا ثبت أنه ليس فيه أهلية للاجتهاد وليس كذلك بل هو من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق للأدلة الواضحة على ذلك . منها ما أخرجه البخاري وغيره أن عمر رضي ا عنه في صلح الحديبية سأل رسول ا عن ذلك الصلح قال علام نعطي الدنية في ديننا فأجابه النبي ثم ذهب إلى أبي بكر فسأله عمـا سأل عنه رسول ا من غير أن يعلم بجواب النبي فأجابه بمثل ذلك الجواب سواء بسواء . و منها ما أخرجه أبو القاسم الـبغوي وأبو بكر الشافعي في فوائده وابن عساكر عن عائشة قالت لما توفي رسول ا أشرأب النفاق أي رفع رأسه وارتدت العـرب وانحازت الأنصار فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها أي فتتها فما اختلفوا في لفظة إلا طار أبي بعبائها وفصـلها قالوا أين ندفن رسول ا فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبو بكر سمعت رسول ا يقول (ما من نبي يقبض إلا دفـن تحـت مضجعه الذي مات فيه) واختلفوا في ميراثه فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً فقال أبو بكر سمعت رسول ا يقول (إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) قال بعضهم وهذا أول اختلاف وقع بين الصحابة فقال بعضهم ندفنه بمكة مولده ومنشئه وبعضهم بمسجده وبعضهم بالبقيع وبعضهم ببيت المقدس مدفن الأنبياء حتى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم . قـال ابن زنجويه وهذه سنة تفرد بها الصديق من بين المهاجرين والأنصار ورجعوا إليه فيها ومر آنفاً خبر أتاني جبريل فقال إن ا يأمـرك أن تستشير أبا بكر وخبر إن ا يكره أن يخطئ أبو بكر /سنده صحيح / وخبر لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهـم غـيره ومـر أول الفصل الثالث خبر أنه وعمر كانا يفتيان الناس في زمن النبي . و عن تهذيب النووي أن أصحابنا اسـتدلوا علـى عظيم علمه بقوله وا لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة إلى آخره وأن الشيخ أبا إسحاق استدل به على أنه أعلم الصحابة بأنهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسألة إلا هو ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب فرجعوا إليه . و لا يقـال بـل علي أعلم منه للخبر الآتي في فضائله أنا مدينة العلم وعلي بابها لأنا نقول سيأتي أن ذلك الحديث مطعون فيه وعلـى تسـليم صحته أو حسنه فأبو بكر محرابها ورواية فمن أراد العم فليأت الباب لا تقتضي الأعلمية فقد يكون غير الأعلم يقصد لما عنده من زيادة الإيضاح والبيان والتفرغ للناس بخلاف الأعلم على أن تلك الرواية معارضة بخبر الفردوس أنا مدينة العلـم وابـو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابها فهذه صريحة في أن أبا بكر أعلمهم وحينئذ فالأمر بقصد الباب إنما هو لنحو ما قلناه لا لزيادة شرفه على ما قبله لما هو معلوم ضرورة أن كلاً من الأساس والحيطان والسقف أعلى من الـباب وشذ بعضهم فأجاب بأن معنى وعلي بابها أي من العلو على حد قراءة (هذا صراط علي مستقيم) برفع على وتنوينه كما قرأ به يعقوب . وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين وهو المقدم في علم تعبير الرؤيا بالاتفاق أنه قال كان أبو بكر أعبر هـذه الأمـة بعد النبي . و أخرج الديلمي وابن عساكر أمرت أن أولي الرؤيا أبا بكر ومن ثم كان يعبر الرؤيا في زمن النبي وبحضـرته فقـد أخرج ابن سعد عن ابن شهاب قال رأى رسول ا رؤيا فقصها على أبي بكر فقال (رأيت كأني استبقت أنا وأنـت ودرجـة فسبقتك بمرقاتين ونصف) قال يا رسول ا يقبضك ا إلى مغفرة ورحمة وأعيش بعدك سنتين ونصفاً وكان كمـا عـبر فقد عاش بعده سنتين وسبعة اشهر أخرجه الحاكم عن ابن عمر رضي ا عنهما . و أخرج سعيد بن منصور عن عمـرو بن شرحبيل قال قال رسول ا (رأيتني في غنم سود ثم أردفتها غنم بيض حتى ما ترى السود فيها) فقال أبو بكر يا رسول ا أما الغنم السود فإنها العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الأعاجم يسلمون على يدي العرب حتى لا يرى العرب فـيهم مـن كثرتهم فقال رسول ا (كذلك عبرها الملك سحيراً) . فثبت بجميع ما قررناه أنه من أكابر المجتهدين بل أكبرهم

علـى الإطلاق وإذا ثبت أنه مجتهد فلا عتب عليه في التحريق لأن ذلك الرجل كان زنديقاً وفي قبول توبته خلاف وأما النهي عن التحريق فيحتمل أنه لم يبلغه ويحتمل أنه بلغه وتأوله على غير نحو الزنديق وكم من أدلة تبلغ المجتهدين ويؤولونها لما قام عـندهم لا يـنكر ذلك إلا جاهل بالشريعة وحامليها . و أما قطعه يسار السارق فيحتمل أنه خطأ من الجلاد ويحتمل أنه لسرقة ثالـثة مـن أيـن لهم أنها السرقة الأولى وأنه قال للجلاد اقطع يساره وعلى التنزل فالآية شاملة لما فعله فيحتمل أنه كان يرى بقاءهـا علـى إطلاقهـا وإن قطعه اليمنى في الأولى ليس على الحتم بل الإمام مخير في ذلك وعلى فرض إجماع في المسألة فيحـتمل أنهـم أجمعـوا على ذلك بعده بناء على انعقاد الإجماع في مثل ذلك وفيه خلاف محله كتب الأصول وقراءة أيمانهما يحـتمل أنها لم تبلغه فعلى كل تقدير لا يتوجه عليه في ذلك عتب ولا اعتراض بوجه من الوجوه . ثم رأيت ان الاحتمال الأول هـو الحق الواقع فقد أخرج مالك رضي ا عنه عن القاسم بن محمد أن رجلاً من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم فنزل على أبـي بكـر فشكا إليه أن عامل اليمن ظلمه فكان يصلي من الليل فيقول أبو بكر وأبيك ما ليلك بليل سارق ثم إنهم افتقدوا حلياً لأسـماء بنت عميس امرأة أبي بكر فجعل يطوف معهم ويقول اللهم عليك بمن بيت أهل هذا البيت الصالح فوجدوا الحلي عند صـائغ زعم أن الأقطع جاءه به فاعترف الأقطع أو شهد عليه وأمر به أبو بكر فقطعت يده اليسرى وقال أبو بكر وا لدعاؤه على نفسه أشد عندي من سرقته فاتضح الأمر وبطلت شبهة المعاندين . و أما توقفه في مسألة الجدة إلى أن بلغه الخبر فينبغي سياق حديثه فإن فيه أبلغ رد على المعترضين . أخرج أصحاب السنن الأربعة ومالك عن قبيصة قال جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها قال ما لك في كتاب ا وما علمت لك في سنة نبي ا شيئاً فارجعي حتى أسأل الناس فسأل الناس فقال المغـيرة بـن شـعبة حضرت رسول ا أعطاها السدس فقال أبو بكر هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغـيرة فأنفذه لها أبو بكر . فتأمل هذا السياق تجده قاضياً بالكمال الأسنى لأبي بكر فإنه نظر أولاً في القرآن وفي محفوظاته مـن السنة فلم يجد لها شيئاً ثم استشار المسلمين ليستخرج ما عندهم من شيء حفظوه من السنة فأخرج له المغيرة وابن مسلمة مـا حفظـاه فقضى به وطلبه انضمام آخر إلى المغيرة احتياط فقط إذ الرواية لا يشترط فيها تعدد وهذا يؤيد ما قدمناه عنه أنه كـان إذا جـاءه الخصـم نظر في القرآن ثم فيما يحفظه من السنة يشاور فيه وهذا هو شأن المجتهدين على أنه غير بدع من المجـتهد أن يبحث عن مدارك الأحكام . و أخرج الدارقطني عن القاسم بن محمد أن جدتين أتتا أبا بكر تطلبان ميراثهما أم أم وأم أب فـأعطى المـيراث أم الأم فقال له عبد الرحمن بن سهل الأنصاري البدري أعطيت التي لو أنها ماتت لم يرثها فقسمه بينهما فتأمل رجوعه مع كماله إلى الحق لما رآه مع أصغر منه . الشبهة الخامسة زعموا أن عمر ذمه والمذموم من مثل عمر لا يصلح للخلافة . و جوابها أن هذا من كذبهم وافترائهم أيضاً ولم يقع من عمر ذم له قط وإنما الواقع منه في حقه غاية الثناء علـيه واعـتقاد أنه أكمل الصحابة علماً ورأياً وشجاعة كما يعلم مما قدمناه عنه في قصة المبايعة وغيرها على أن إمامة عمر إنمـا هي بعهد أبي بكر إليه فلو قدح فيه لكان قادحاً في نفسه وإمامته . و أما إنكاره على أبي بكر كونه لم يقتل خالد بن الوليد لقتله مالك بن نويرة وهو مسلم ولتزوجه امرأته من ليلته ودخل بها فلا يستلزم ذماً له ولا إلحاق نقص به لأن ذلك إنما هو من إنكـار بعـض المجتهدين على بعض في الفروع الاجتهادية وهذا كان شأن السلف كانوا لا يرون فيه نقصاً وإنما يرونه غاية الكمـال علـى أن الحق عدم قتل خالد لأن مالكاً ارتد ورد على قومه صدقاتهم لما بلغه وفاة رسول ا كما فعل أهل الردة وقد اعـترف أخو مالك لعمر بذلك وتزوجه امرأته لعله لانقضاء عدتها بالوضع عقب موته أو يحتمل أنها كانت محبوسة عنده بعد انقضاء عدتها عن الأزواج على عادة الجاهلية وعلى كل حال فخالد أتقى من أن يظن به مثل هذه الرذالة التي لا تصدر من أدنـى المؤمنيـن فكـيف بسيف ا المسلول على أعدائه فالحق ما فعله أبو بكر لا ما اعترض به عليه عمر رضي ا تعالى عنهما ويؤيد ذلك أن عمر لما أفضت إليه الخلافة لم يتعرض لخالد ولم يعاتبه ولا تنقصه بكلمة في هذا الأمر قط فعلم أنه ظهر لـه حقـية ما فعله أبو بكر فرجع عن اعتراضه وإلا لم يتركه عند استقلاله بالأمر لأنه كان أتقى من أن يداهن في دين ا أحداً . الشبهة السادسة زعموا أن قول عمر إن بيعة أبي بكر كانت فلتة لكن وقى ا شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه قادح في حقيـتها . و جوابهـا أن هذه من غباوتهم وجهالتهم إذ لا دلالة في ذلك لما زعموه لأن معناه أن الإقدام على مثل ذلك من غير

مشورة الغير وحصول الاتفاق منه مظنة الفتنة فلا يقدمن أحد على ذلك على أني أقدمت عليه فسلمت على خلاف العادة ببركة صـحة النـية وخوف الفتنة لو حصل توان في هذا الأمر كما مر مبسوطاً في فصل المبايعة . الشبهة السابعة زعموا أنه ظالم لفاطمة بمنعه إياها من مخاف أبيها وأنه لا دليل له في الخبر الذي رواه نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة لأن فيه احـتجاجاً بخبر الواحد مع معارضته لآية المواريث وفيه ما هو مشهور عند الأصوليين . و زعموا أيضاً أن فاطمة معصومة بـنص (إنمـا يـريد ا ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وخبر فاطمة بضعة مني وهو معصوم فتكون معصومة وحينئذ فيلزم صدق دعواها الإرث . و جوابها أما عن الأول فهو لم يحكم بخبر الواحد الذي هو محل الخلاف وإنما حكـم بمـا سمعه من رسول ا وهو عنده قطعي فساوى آية المواريث في قطيعة المتن وأما حمله على ما فهمه منه فلانتفاء الاحـتمالات التـي يمكن تطرقها إليه عنه بقرينة الحال فصار عنده دليلاً قطعياً مخصصاً لعموم تلك الآيات . و أما عن الثاني فمـن أهل البيت أزواجه على ما يأتي في فضائل أهل البيت ولسن بمعصومات اتفاقاً فكذلك بقية أهل البيت . و أما بضعة مني فمجـاز قطعـاً فلم يستلزم عصمتها وأيضاً فلا يلزم مساواة البعض للجملة في جميع الأحكام بل الظاهر أن المراد أنها كبضعة منـي فيما يرجع للخير والشفقة . و دعواها أنه نحلها فدك لم تأت عليها ببينة إلا بعلي وأم أيمن فلم يكمل نصاب البينة على أن في قبول شهادة الزوج لزوجته خلافاً بين العلماء وعدم حكمه بشاهد ويمين وإما لعلة كونه ممن لا يراه ككثيرين من العلماء أو أنها لم تطلب الحلف مع من شهد لها . و زعمهم أن الحسن والحسين وأم كلثوم شهدوا لها باطل على أن شهادة الفرع والصغير غير مقبولة وسيأتي عن الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي ا عنهم أنه صوب ما فعله أبو بكر وقال لو كنت مكانه لحكمت بمثل ما حكم به وفي رواية تأتي في الباب الثاني أن أبا بكر كان رحيماً وكان يكره أن يغير شيئاً تركه رسول ا فأتته فاطمة فقالت إن رسول ا أعطاني فدكاً فقال هل لك بينة فشهد لها علي وأم أيمن فقال لها فبرجل وامرأة تستحقيها ثم قال زيد وا لو رفع الأمر فيها إلي لقضيت بقضاء أبي بكر رضي ا عنه . و عن أخيه الباقر أنه قيل له أظلمكم الشيخان من حقكم شيئاً فقال لا ومنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ما ظلمانا من حقنا ما يزن حبة خردلة . و اخرج الدارقطني أنه سئل ما كان يعمل علي في سهم ذوي القربى قال عمل فيه بما عمل به أبو بكر وعمر وكان يكره أن يخالفهما . و أما عذر فاطمة في طلبها مـع روايته لها الحديث فيحتمل أنه لكونها رأت أن خبر الواحد لا يخصص القرآن كما قيل به فاتضح عذره في المنع وعذرها فـي الطلب فلا يشكل عليك ذلك وتأمله فإنه مهم . و يوضح ما قررناه في هذا المحل حديث البخاري فإنه مشتمل على نفائس تـزيل ما في نفوس القاصرين من شبه وهو عن الزهري قال أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان النضري أن عمر بن الخطاب دعـاه إذ جاءه حاجبه يرفأ فقال هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فأدخلهم فلبث قليلاً ثـم جـاء فقـال هـل لك في عباس وعلي يستأذنان قال نعم فلما دخلا قال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا وهما يختصـمان في الذي أفاء ا على رسوله من بني النضير فاستب علي وعباس فقال الرهط يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهمـا من الآخر فقال عمر اتئدوا أنشدكم با الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول ا قال (لا نورث ما تركـناه صدقة) يريد بذلك نفسه قالوا قد قال ذلك فأقبل عمر على علي وعباس فقال أنشدكما با هل تعلمان أن رسول ا قد قـال ذلك قالا نعم قال فإني أحدثكم عن هذا الأمر إن ا كان خص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره فقال (و مـا أفاء ا على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) إلى قوله (قدير) فكانت هذه خالصة لرسول ا ثم وا مـا اختارها دونكم ولا استأثر بها عليكم لقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال منها فكان رسول ا ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال ا فعمل بذلك رسول ا حياته ثم توفي النبي فقال أبو بكر رضي ا عـنه فأنا ولي رسول ا فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل فيه رسول ا وأنتم حينئذ حاضرون وأقبل على علي والعباس وقـال تذكران أن ابا بكر كان فيه كما تقولان وا يعلم إنه فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى ا أبا بكر فقلت أنا ولي رسول ا وأبي بكر فقبضته سنتين من إمارتي أعمل فيه بما عمل فيه رسول ا وأبو بكر وا يعلم إني في لصادق بار راشد تـابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فجئتني يعني عباساً فقلت لكما إن رسول ا قال (لا نورث ما

تركناه صدقة) فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت إن شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد ا وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسـول ا وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت وإلا فلا تكلماني فقلتما ادفعه إلينا بذلك فدفعته إليكما أفتلتمسان مني قضاء غير ذلـك فوا الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنه فادفعاه إلي فأنا أكفـيكماه قال فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير فقال صدق مالك ابن أوس أنا سمعت عائشة زوج النبي تقول أرسل أزواج النبـي عثمان إلى أبي بكر يسألنه ثمنهن مما أفاء ا على رسوله فكنت أنا أردهن فقلت لهن ألا تتقين ا ألم تعلمن أن رسول ا كـان يقـول (لا نـورث ما تركناه صدقة) يريد بذلك نفسه إنما يأكل آل محمد في هذا المال فانتهى أزواج النبي إلى ما أخبرتهـن قـال فكانت هذه الصدقة بيد علي منعها علي عباساً فغلبه عليها ثم كانت بيد الحسن بن علي رضي ا عنهما ثم بيد الحسـين بـن علـي ثم بيد علي بن الحسين وحسن بن حسن كلاهما كانا يتداولانها ثم بيد زيد بن حسن رضي ا عنهم وهي صـدقة رسـول ا حقاً . ثم ذكر البخاري بسنده أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما أرضه من فدك وسهمه من خيـبر فقال أبو بكر سمعت رسول ا يقول (لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال) وا لقرابة رسول ا أحـب إلي أن أصل من قرابتي . فتأمل ما في حديث عائشة والذي قبله تعلم حقية ما عليه أبو بكر رضي ا عنه وذلك أن استباب علي والعباس صريح في أنهما متفقان على أنه غير إرث وإلا لكان للعباس سهمه ولعلي سهم زوجته ولم يكن للخصام بينهما وجه فخصامهما إنما هو لكونه صدقة وكل منهما يريد أن يتولاها فأصلح بينهما عمر رضي ا عنه وأعطه لهما بعد أن بيـن لهما وللحاضرين السابقين وهم من أكابر العشرة المبشرين بالجنة أن النبي قال (لا نورث ما تركناه صدقة) وكلهم حتى علي والعباس أخبر بأنه يعلم أن النبي قال ذلك فحينئذ اثبت عمر أنه غير إرث ثم دفعه إليهما ليعملا فيه بسنة رسول ا وبسنة أبـي بكـر فأخذاه على ذلك وبين لهما أن ما فعله أبو بكر فيه كان فيه صدقاً باراً راشداً تابعاً للحق فصدقاه على ذلك فهل بقي لمعاند بعد ذلك من شبهة فإن زعم بقاء شبهة قلنا يلزمك أن تغلب علياً على الجميع وأخذه من العباس ظلم لأنه يلزم على قولكم بـالإرث أن لعباس فيه حصة فكيف مع ذلك ساغ لعلي أن يتغلب على الجميع ويأخذه من العباس ثم كان في يد بنيه وبنيهم من بعـده ولـم يكن منه شيء في يد بني العباس فهل هذا من علي وذريته إلا صريح الاعتراف بأنه صدقة وليس بإرث وإلا لزم علـيه عصيان علي وبنيه وظلمهم وفسقهم وحاشاهم ا من ذلك بل هم معصومون عند الرافضة ونحوهم فلا يتصور لهم ذنب فإذا استبدوا بذلك جميعه دون العباس وبنيه علمنا بأنهم قائلون بأنه صدقة وليس بإرث وهذا عين مدعانا وتأمل أيضاً أن أبا بكر رضـي ا عنه منع أزواج النبي من ثمنهن أيضاً فلم يخص المنع بفاطمة والعباس ولو كان مداره على محاباة لكان أولى من يحابـيه ولده فلما لم يحاب عائشة ولم يعطها شيئاً علمنا أنه على الحق المر الذي لا يخشى فيه لومة لائم . و تأمل أيضاً تقرير عمـر رضي ا عنه للحاضرين ولعلي والعباس رضي ا عنهما بحديث لا نورث وتقرير عائشة لأمهات المؤمنين به أيضاً وقـول كـل مـنهما ألم تعلموا يظهر لك من ذلك أن أبا بكر لم ينفرد برواية هذا الحديث وأن أمهات المؤمنين وعلياً والعباس وعـثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعداً كلهم كانوا يعلمون أن النبي قال ذلك وأن أبا بكر إنما انفرد باستحضاره أولاً ثـم استحضره الباقون وعلموا أنهم سمعوه منه فالصحابة رضوان ا عليهم لم يعملوا برواية أبي بكر وحدها وإن كانت كافية أي كفاية في ذلك وإنما عملوا بها وبما انضم إليها من علم أفاضلهم الذين ذكرناهم بها أيضاً فبان بذلك اتضاح ما فعله أبو بكر رضـي ا عـنه وأنه لا شبهة فيه بوجه من الوجوه وأنه الحق الصدق الذي لا يشوبه أدنى شائبة تعصب ولا حمية وأن من خـالف في ذلك فهو كاذب جاهل أحمق معاند لا يعبأ ا به ولا بقوله ولا يبالي به في أي واد هلك نسأل ا السلامة في العقل والديـن . و لا يقال أقر أبو بكر أمهات المؤمنين في حجرهن وكان يتعين صرفها للفقراء كما فعل في فدك وكيف استجاز هو وعمـر أن يدفـنا معه مع قوله تعالى (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) ولم دفع لعلي بغلة رسول ا وسيفه وهو لا تحـل له الصدقة ولم كان أبو بكر وعمر يعطيان عائشة في كل سنة عشرة آلاف درهم وهل هذه إلا محاباة إذ هو فاضل عن نفقـتها المرتبة في تركة رسول ا من فدك وغيرها لأنا نقول . الجواب عن الأول أن الحجر ملكهن واختصاصهن بدليل (و قـرن فـي بيوتكن) إذ يحتمل أنه قسمها بينهن في حياته فلم يجز إخراجهن منها كما لم تخرج فاطمة من حجرتها أو أنه رأى

الصـلاح في إقرارها بأيديهن كيد فاطمة على حجرتها ولأنهن في حكم المعتدات لبقاء تحريمهن ولهذا قال (ما تركت بعد نفقة نسـائي ومؤنـة عيالـي فهـو صـدقة) فاستثناء نفقتهن صريح فيما قلناه . و عن الثاني أنه بان أن حجرة عائشة ملكها أو اختصاصها ولم يدفنا إلا بإذنها ولهذا استأذنها عمر في ذلك ثم أوصى أن تستأذن بعد موته خوفاً أنها لم تأذن أولاً إلا حياء منه . وأيضـاً فالرأي في الحجر كما كان له في حياته يكون لخليفته بعده فيحتمل أنهما أرادا ذلك لمصلحة رأياها كدفن ظالم ثم أو أنه أذن لهما في ذلك في حياته أو أشار إليه كما في قصة بئر اريس ووضع أحجار مسجد قباء وغيرهما وقد أشار إليه بكونهما كانا أقرب الناس مكاناً له وأكثر ملازمة ومن ثم قال علي لما دخل على عمر حين وضع على سريره رضي ا عنهما يرحمك ا إن كنت لأرجو أن يجعلك ا مع صاحبيك لأني كثيراً ما كنت اسمع رسول ا يقول (كنت أنا وأبا بكر وعمر وفعلت أنا وأبا بكر وعمر وانطلقنا أنا وأبو بكر وعمر وإني كنت لأرجو ا أن يجعلك معهما وقد أوصى الحسن رضي ا عنه أن يدفن معهم فمنعه من ذلك مروان وغيره فما أجابوا به عنه كان جوابنا . و عن الثالث أنه لم يدفع ذلك لعلي ميراثاً ولا صدقة لما مر بـل بطريق الوصية منه إليه على ما ورد وعلى فرض عدم الوصية فيحتمل أنه دفعهما إليه عارية أو نحوها ليستعين بهما في الجهاد ولتميزه عن غيره بالشجاعة العظمى أوثر بذلك ويحتمل أن غيره اشترى ذلك ودفعه إليه والصدقة لا تحرم عليه نفلها . و أمـا الـبردة التـي كانت بيد الخلفاء فليست من مخلفه وإنما هي التي كساها كعب بن زهير لما أنشده بانت سعاد فاشتراها معاويـة منه واستمر الخلفاء يتوارثونها . و عن الرابع أن بر أمهات المؤمنين واجب على كل أحد والإمام أولى بذلك على أنه إنما يتوجه أن لو خصا عائشة وحفصة بذلك وليس كذلك بل أعطياه لكل منهن على أن علياً كان يفعله فإن توجه إليهما به عتب توجـه إلـيه كعثمان بل استزادت عائشة علياً فمنعها بقوله لا أزيدها على ما كان يدفع إليها عمر . و أدل دليل وأقواه على أن علـياً لم يكن معتقداً أن رسول ا يورث وأن الشيخان ظلما أنه لما ولي وصار مخاف رسول ا بيده لم يغير شيئاً مما فعلاه ولم يقسم لبني العباس ولا لأمهات المؤمنين منها ولا لأولاده من فاطمة نصيبهم منها مما ورثته فدل ذلك دلالة قطعية على أن اعتقاده موافق لاعتقادهما كبقية الصحابة رضوان ا عليهم أجمعين . تنبيه لا يعارض قوله (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) قولـه تعالى (وورث سليمان داود) لأن المراد ليس وراثة المال بل النبوة والملك ونحوهما بدليل اختصاص سليمان بالإرث مع أن له تسعة عشر أخاً فلو كان المراد المال لم يختص به سليمان وسياق (علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء) قاض بما ذكرناه . ووراثة العلم قد وقعت في آيات منها (ثم أورثنا الكتاب) (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب) وقوله تعالى (فهـب لي من لدنك ولياً يرثني) لأن المراد ذلك فيها أيضاً بدليل (و إني خفت الموالي من ورائي) أي أن يضيعوا العلم والديـن وبدلـيل (من آل يعقوب) وهم أولاده الأنبياء على أن زكريا لم يحك أحد أنه كان له مال حتى يطلب ولداً يرثه ولو سـلم فمقام النبي يأبى طلب ذلك إذ القصد بالولد إحياء ذكر الأب والدعاء له وتكثير سواد الأمة فمن طلبه لغير ذلك كان ملوماً سـيما إن قصد به حرمان عصبته من إرثه لو لم يوجد له ولد . الشبهة الثامنة زعموا أن النبي نص على الخلافة لعلي إجمالاً قالوا لأنا نعلم قطعاً وجود نص جلي وإن لم يبلغنا لأن عادته في حياته قاضية بالاستخلاف على المدينة عند غيبته عنها حتى لا يتركهم فوضى أي متساوين لا رئيس لهم فإذا لم يخل بذلك في حياته فبعد وفاته أولى . و جوابها مر مبسوطاً في الفصل الرابع بأدلـته ومنه إنما ترك ذلك لعلمه بأن الصحابة يقومون به ويبادرون إليه لعصمتهم عن الخطأ اللازم لتركهم لهومن ثم لم ينص على كثير من الأحكام بل وكلها إلى آراء مجتهديهم . على أنا نقول انتفاء النص الجلي معلوم قطعاً وإلا لم يمكن ستره عادة إذ هـو ممـا تـتوفر الدواعي على نقله وأيضاً لو وجد نص لعلي لمنع به غيره كما منع أبو بكر مع أنه أضعف من علي عندهم الأنصـار بخبر الأئمة من قريش فأطاعوه مع كونه خبر واحد وتركوا الإمامة وادعاءها لأجله فكيف حينئذ يتصور وجود نص جلـي بتعين علي وهو بين قوم لا يعصون خبر الواحد في أمر الإمامة وهم من الصلابة في الدين بالمحل الأعلى بشهادة بذلهم الأنفس والأموال ومهاجرتهم الأهل والوطن وقتلهم الأولاد والآباء في نصرة الدين ثم لا يحتج علي عليهم بذلك النص الجلي بل ولا قـال أحـد منهم عند طول النزاع في أمر الإمامة ما لكم تتنازعون فيها والنص الجلي قد عين فلاناً لها فإن زعم زاعم أن علـياً قال لهم ذلك فلم يطيعوه كان جاهلاً ضالاً مفترياً منكراً للضروريات فلا يلتفت إليه وأما الخبر الآتي في فضائل علي أنه

قـام فحمـد ا   وأثنى عليه ثم قال أنشد ا   من شهد يوم غدير خم إلا قام ولا يقوم رجل يقول نبئت أو بلغني إلا رجل سمعت أذنـاه ووعاه قلبه فقام سبعة عشر صحابياً وفي رواية ثلاثون فقال هاتوا ما سمعتم فذكروا الحديث الآتي ومن جملته من كنت مـولاه فعلي مولاه فقال صدقتم وأنا على ذلك من الشاهدين فإنما قال ذلك علي بعد أن آلت إليه الخلافة لقول أبي الطفيل راويه كمـا ثبت عند أحمد والبزار جمع علي الناس بالرحبة يعني بالعراق ثم قال لهم أنشد ا   من شهد يوم غدير خم إلى آخر ما مر فـأراد بـه حثهم على التمسك به والنصرة   له حينئذ . الشبهة التاسعة زعموا وجود نص على الخلافة لعلي تفصيلاً وهو قوله تعالى (و أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) وهي تعم الخلافة وعلي من أولي الأرحام دون أبي بكر . و جوابها منع عموم الآيـة بـل هي مطلقة فلا تكون نصاً في الخلافة فرق ظاهر بين المطلق والعام إذ عموم الأول بدلي والثاني شمولي . الشبهة العاشـرة زعموا أن من النص التفصيلي المصرح بخلافة علي قوله تعالى (إنما وليكم ا   ورسوله والذين آمنوا) الآية قالوا والوالـي إمـا الأحق والأولى بالتصرف كولي الصبي وإما المحب والناصر وليس له في اللغة معنى ثالث والناصر غير مراد لعمـوم النصـرة لكـل المؤمنين بنص قوله تعالى (و المؤمنون المؤمنات بعضهم أولياء بعض) فلم يصح الحصر بإنما في المؤمنيـن الموصـوفين بمـا في الآية فتعين أنه في الآية المتصرف وهو الإمام وقد أجمع أهل التفسير على أن المراد بالذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون علي إذ سبب نزولها أنه سئل وهو راكع فأعطى خاتمه وأجمعوا أن غيره كأبي بكر غـير مراد فتعين أنه المراد في الآية فكانت نصاً في إمامته . و جوابها منع جميع ما قالوه إذ هو حزر وتخمين من غير إقامة دلـيل يـدل   له بل الولي فيها بمعنى الناصر ويلزم على ما زعموه أن علياً أولى بالتصرف حال حياة رسول ا   ولا شبهة في بطلانـه وزعمهـم الإجمـاع على إرادة علي دون أبي بكر كذب قبيح لأن أبا بكر داخل في جملة الذين آمنوا والذين يقيمون الصلاة الخ لتكرر صيغة الجمع فيه فكيف يحمل على الواحد ونزولها في حق علي لا ينافي شمولها لغيره ممن يجوز اشتراكه معه في تلك الصفة وكذلك زعمهم الإجماع على نزولها في علي باطل أيضاً فقد قال الحسن وناهيك به جلالة وإمامة إنها عامة فـي سـائر المؤمنيـن ويوافقه أن الباقر وهو من هو سئل عمن نزلت فيه هذه الآية أهو علي فقال علي من المؤمنين ولبعض المفسـرين قوله (إن الذين آمنوا) ابن سلام وأصحابه ولبعض آخر منهم قول إنه عبادة بن الصامت لما تبرأ من حلفائه من الـيهود وقال عكرمة وناهيك به حفظاً لعلوم مولاه ترجمان القرآن عبد ا   بن عباس رضي ا   عنهما إنها نزلت في أبي بكر فـبطل ما زعموه . و أيضاً فحمل الولي على ما زعموه لا يناسب ما قبلها وهو (لا تتخذوا اليهود) إلخ إذ الولي فيها بمعنى الناصـر جـزماً ولا مـا بعدها وهو من يتول ا   ورسوله الخ إذ التولي هنا بمعنى النصرة فوجب حمل ما بينهما عليها أيضاً لتـتلاءم أجزاء الكلام . الشبهة الحادية عشرة زعموا أن من النص التفصيلي المصرح بخلافة علي قوله يوم غدير خم موضع بالجحفـة مـرجعه مـن حجـة الـوداع بعد أن جمع الصحابة وكرر عليهم (الست أولى بكم من أنفسكم) ثلاثاً وهم يجيبون بالتصـديق والاعتراف ثم رفع يد علي وقال (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من ابغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار) قالوا فمعنى المولى الأولى أي فلعلي عليهم مـن الـولاء ماله عليهم منه بدليل قوله (ألست أولى بكم) لا الناصر وإلا لما احتاج إلى جمعهم كذلك مع الدعاء   له لأن ذلك يعرفه كل أحد قالوا ولا يكون هذا الدعاء إلا لإمام معصوم مفترض الطاعة قالوا فهذا نص صريح صحيح على خلافته انتهى . و جـواب هذه الشبهة التي هي أقوى شبههم يحتاج إلى مقدمة وهي بيان الحديث ومخرجيه وبيانه أنه /حديث صحيح/ لا مرية فيه وقد /أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد /و طرقه كثيرة جداً ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته كما مر وسيأتي وكثير من أسانيدها صحاح وحسان ولا الـتفات لمـن قدح في صحته ولا لمن رده بأن علياً كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي وقول بعضهم إن زيادة اللهم وال من والاه الخ موضوعة مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيراً منها . و بالجملة فما زعموه مردود من وجوه نتلوها عليك وإن طالت لمسيس الحاجة إليها فأحذر أن تسأمها أو تغفل عن تأملها . أحدها أن فرق الشيعة اتفقوا على اعتـبار الـتواتر فيما يستدل به على الإمامة وقد علم نفيه لما مر من الخلاف في صحة هذا الحديث بل الطاعنون في صحته

جماعـة من أئمة الحديث وعدوله المرجوع إليهم فيه كأبي داود السجستاني وأبي حاتم الرازي وغيرهم فهذا الحديث مع كونه آحـاداً مخـتلف في صحته فكيف ساغ لهم أن يخالفوا ما اتفقوا عليه من اشتراط التواتر في أحاديث الإمامة ويحتجون بذلك ما هـذا إلا تـناقض قبيح وتحكم لا يعتضد بشيء من أسباب الترجيح . ثانيها لا نسلم أن معنى الولي ما ذكروه بل معناه الناصر لأنـه مشـترك بيـن معان كالمعتق والعتيق والمتصرف في الأمر والناصر والمحبوب وهو حقيقة في كل منها وتعيين بعض معانـي المشترك من غير دليل يقتضيه تحكم لا يعتد به وتعميمه في معانيه كلها لا يسوغ لأنه إن كان مشتركاً لفظياً بأن تعدد وضعه بحسب تعدد معانيه كان فيه خلاف والذي عليه جمهور الأصوليين وعلماء البيان واقتضاه استعمالات الفصحاء للمشترك أنه لا يعم جميع معانيه على أنا لو قلنا بتعميمه على القول الآخر أو بناء على أنه مشترك معنوي بأن وضع وضعاً واحداً للقدر المشـترك وهـو القـرب المعنوي من الولي بفتح فسكون لصدقه بكل ما مر فلا يأتي تعميمه هنا لامتناع إرادة كل من المعتق والعتـيق فتعيـن إرادة البعض ونحن وهم متفقون على صحة إرادة الحب بالكسر وعلي رضي الله عنه سيدنا وحبيبنا على أن كـون المولـى بمعنى الإمام لم يعهد لغة ولا شرعاً أما الثاني فواضح وأما الأول فلأن أحداً من أئمة العربية لم يذكر أن مفعلاً يأتـي بمعنى افعل وقوله تعالى (مأواكم النار هي مولاكم) أي مقركم أو ناصرتكم مبالغة في نفي النصرة كقولهم الجوع زاد مـن لا زاد له وأيضـاً فالاستعمال يمنع من أن مفعلاً بمعنى افعل إذ يقال هو أولى من كذا دون مولى من كذا وأولى الرجلين دون مولاهـا وحينئذ فإنما جعلنا من معانيه المتصرف في الأمور نظراً للرواية الآتية من كنت وليه فالغرض من التنصيص علـى موالاته اجتناب بغضه لأن التنصيص عليه أوفى بمزيد شرفه وصدره الست أولى بكم من أنفسكم ثلاثاً ليكون ابعث على قبولهم وكذا بالدعاء لأجل ذاك أيضاً ويرشد لما ذكرناه حثه في هذه الخطبة على أهل بيته عموماً وعلى علي خصوصاً ويرشد إلـيه أيضاً ما ابتدئ به هذا الحديث ولفظه عند الطبراني وغيره / بسند صحيح /أنه خطب بغدير خم تحت شجرات فقال (أيها الـناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله وإني لأظن أني يوشك أن أدعى فأجيب وإنـي مسـؤول وإنكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون) قالوا نشهد إنك قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً فقال (أليس تشـهدون أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) قالوا بلى نشهد بذلك قال (اللهم اشهد) ثم قال (يا أيها الناس إن الله مـولاي وأنـا مولى المؤمنين وأنا أولى لبم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه يعني علياً اللهم وال من وإلاه وعاد من عـاداه) ثم قال (يا أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سـبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضـيا حتى يردا علي الحوض) . و أيضاً فسبب ذلك كما نقله الحافظ شمس الدين الجزري عن ابن إسحاق أن علياً تكلم فيه بعـض مـن كـان معـه في اليمن فلما قضى رسول الله حجه خطبها تنبيهاً على قدره ورداً على من تكلم فيه كبريدة كما في الـبخاري أنـه كـان يبغضه وسبب ذلك ما صححه الذهبي أنه خرج معه إلى اليمن فرأى منه جفوة فنقصه للنبي فجعل يتغير وجهـه ويقول (يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قلت بلى يا رسول الله قال (من كنت مولاه فعلي مولاه) . و أما روايـة ابـن بريدة عنه لا تقع يا بريدة في علي فإن علياً مني وأنا منه وهو وليكم بعدي ففي سندها الأجلح وهو وإن وثقه ابن معيـن لكـن ضـعفه غيره على أنه شيعي وعلى تقدير الصحة فيحتمل أنه رواه بالمعنى بحسب عقيدته وعلى فرض أنه رواه بلفظـه فيتعين تأويله على ولاية خاصة نظير قوله (أقضاكم علي) على أنه وإن لم يحتمل التأويل فالإجماع على حقية ولاية أبي بكر وفرعيها قاض بالقطع بحقيتها لأبي بكر وبطلانهما لعلي لأن مفاد الإجماع قطعي ومفاد خبر الواحد ظني ولا تعارض بيـن ظني وقطعي بل يعمل بالقطعي ويلغى الظني على أن الظني لا عبرة به فيها عند الشيعة كما مر . ثالثها سلمنا أنه أولى لكـن لا نسلم أن المراد أنه الأولى بالإمامة بل بالاتباع والقرب منه فهو كقوله تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) ولا قـاطع بل ولا ظاهرعلى نفي هذا الاحتمال بل هو الواقع إذ هو الذي فهمه أبو بكر وعمر وناهيك بهما من الحديث فإنهما

لما سمعاه قالا له أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة /أخرجه الدارقطني /و أخرج أيضاً أنه قيل لعمر إنك تصنع بعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي فقال إنه مولاي . رابعها سلمنا أنه أولى بالإمامة فالمراد المآل وإلا كان هو الإمام مـع وجـوده ولا تعرض فيه لوقت المآل فكان المراد حين يوجد عقد البيعة له فلا ينافي حينئذ تقديم الأئمة الثلاثة عليه لانعقاد الإجماع حتى من علي عليه كما مر وللأخبار السابقة المصرحة بإمامة أبي بكر وأيضاً فلا يلزم من أفضلية علي على معتقدهم بطـلان تولـية غـيره لما مر أن أهل السنة أجمعوا على صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل بدليل إجماعهم على صحة خلافـة عـثمان واخـتلافهم في أفضليته على علي وإن كان أكثرهم على أن عثمان أفضل منه كما يأتي وقد صح عن سفيان الـثوري رضي ا تعالى عنه أنه قال من زعم أن علياً كان أحق بالولاية من الشيخين فقد خطأهما والمهاجرين والأنصار وما أراه يرفع له عمل مع هذا إلى السماء نقل ذلك النووي عنه كما مر ثم قال هذا كلامه وقد كان حسن اعتقاده في علي رضي ا تعالى عنه بالمحل المعروف انتهى . و ما أشار إليه من حسن اعتقاده في علي مشهور بل أخرج أبو نعيم عن زيد ابن الحباب أنـه كان يرى رأي أصحابه الكوفيين يفضل علياً على أبي بكر وعمر رضي ا عنهما فلما صار إلى البصرة رجع إلى القول بتفضـيلهما عليه . خامسها كيف يكون ذلك نصاً على إمامته ولم يحتج به هو ولا العباس رضي ا تعالى عنهما ولا غيرهما وقـت الحاجة إليه وإنما احتج به علي في خلافته كما مر في الجواب على الثامنة من الشبه فسكوته عن الاحتجاج به إلى أيام خلافته قاض على من عنده أدنى فهم وعقل بأنه علم منه أنه لا نص فيه على خلافته عقب وفاة النبي على أن علياً نفسه صرح بأنـه لـم ينص عليه ولا على غيره كما سيأتي عنه . و في البخاري وغيره حديث خروج علي والعباس من عند النبي بطوله وهـو صريح فيما ذكره من أنه لم ينص عند موته على أحد وكل عاقل يجزم بأن حديث من كنت مولاه فعلي مولاه ليس نصاً فـي إمامة علي وإلا لم يحتج هو والعباس إلى مراجعته المذكورة في حديث البخاري ولما قال العباس فإن كان هذا الأمر فينا علمـناه مع قرب العهد جداً بيوم الغدير إذ بينهما نحو الشهرين وتجويز النسيان على سائر الصحابة السامعين لخبر يوم الغدير مـع قـرب العهد وهم من هم في الحفظ والذكاء والفطنة وعدم التفريط والغفلة فيما سمعوه منه محال غير عادي يجزم العاقل بأدنى بديهته بأنه لم يقع منهم نسيان ولا تفريط وأنهم حال بيعتهم لأبي بكر كانوا متذكرين لذلك الحديث عالمين به وبمعناه على أنـه خطب بعد يوم الغدير وأعلن بحق أبي بكر للحديث الثالث بعد المائة التي في فضائله فانظره ثم وسيأتي في الآية الرابعة في فضائل أهل البيت أحاديث أنه في مرض موته وإنما حث على مودتهم ومحبتهم واتباعهم وفي بعضها آخر ما تكلم به النبي (اخلفونـي في أهل بيتي) فتلك وصية بهم وشتان ما بينهما وبين مقام الخلافة . و زعم الشيعة والرافضة بأن الصحابة علموا هذا النص ولم ينقادوا له عناد ومكابرة بالباطل كما مر وقوله إنما تركها على تقية كذب وافتراء أيضاً لما تلوناه عليك مبسوطاً فيما مر ومنه أنه كان في منعه من قومه مع كثرتهم وشجاعتهم ولذا احتج أبو بكر رضي ا تعالى عنه على الأنصار لما قالوا منا أمير ومنكم أمير بخبر الأئمة من قريش فكيف سلموا له هذا الاستدلال ولأي شيء لم يقولوا له ورد النص على إمامة علي فكـيف تحتج بمثل هذا العموم . و قد أخرج البيهقي عن أبي حنيفة رضي ا عنه أنه قال أصل عقيدة الشيعة تضليل الصحابة رضـوان ا علـيهم أجمعين . و إنما نبه رحمه ا على الشيعة لأنهم أقل فحشاً في عقائدهم من الرافضة وذلك لأن الرافضة يقولـون بتكفـير الصحابة لأنهم عاندوا بترك النص على إمامة علي بل زاد أبو كامل من رؤوسهم فكفر علياً زاعماً أنه أعان الكفـار على كفرهم وأيدهم على الكتمان وعلى ستر ما لا يتم الدين إلا به أي لأنه لم يرد عنه قط أنه احتج بالنص على إمامته بـل تواتـر عنه أن أفضل الأمة أبو بكر وعمر وقبل من عمر إدخاله إياه في الشورى وقد اتخذ الملحدون كلام هؤلاء السفلة الكذبة ذريعة لطعنهم في الدين والقرآن وقد تصدى بعض الأئمة للرد على الملحدين المحتجين بكلام الرافضة . و من جملة ما قالـه أولـئك الملحـدون كـيف يقول ا (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقد ارتدوا بعد وفاة نبيهم إلا نحو ستة أنفس منهم لامتناعهم من تقديم أبي بكر على علي المرتضى الموصى به فانظر إلى حجة هذا الملحد تجدها عين حجة الرافضة قاتلهم ا أنـى يؤفكون بل هم أشد ضرراً على الدين من اليهود والنصارى وسائر فرق الضلال كما صرح به علي رضي ا عنه بقوله تفـترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا ووجهه ما اشتملوا عليه من افترائهم من قبائح

البـدع وغايات العناد والكذب حتى تسلطت الملاحدة بسبب ذلك على الطعن في الدين وأئمة المسلمين بل قال القاضي أبو بكر الباقلانـي إن فيما ذهبت إليه الرافضة مما ذكر إبطالاً للإسلام راساً لأنه إذا أمكن اجتماعهم على الكتم للنصوص وأمكن فيهم نقل الكذب والتواطؤ عليه لغرض فيمكن أن سائر ما نقلوه من الأحاديث زور ويمكن أن القرآن عورض بما هو أفصح منه كما تدعـيه اليهود والنصارى فكتمه الصحابة وكذا ما نقله سائر الأمم عن جميع الرسل يجوز الكذب فيه والزور والبهتان لأنهم إذا ادعـوا ذلك في هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس فادعاؤهم إياه في باقي الأمم أحرى وأولى فتأمل هذه المفاسد التي ترتبت على ما اصله هؤلاء وقد أخرج البيهقي عن الشافعي رضي ا عنه ما من أهل الأهواء أشهد بالزور من الرافضة وكان إذا ذكـرهم عابهم أشد العيب . سادسها ما المانع من قوله في خطبته السابقة يوم الغدير هذا الخليفة بعدي فعدوله إلى ما سبق من قوله من كنت مولاه إلخ ظاهر في عدم إرادة ذلك بل ورد بسند رواته مقبولون كما قاله الذهبي وله طرق عن علي رضي ا تعالى عنه قال قيل يا رسول ا من نؤمر بعدك فقال إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة وإن تؤمـروا عمـر تجـدوه قوياً أميناً لا يخاف في ا لومة لائم وإن تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطـريق المسـتقيم ورواه البزار بسند رجاله ثقات أيضاً كما قال البيهقي . فهو يدل على أن أمر الإمام موكول إلى من يؤمره المسلمون بالبيعة وعلى عدم النص بها لعلي . و قد أخرج جمع كالبزار /بسند حسن /و الإمام أحمد وغيرهما /بسند قوي /كما قاله الذهبي عن علي أنهم لما قالوا له استخلف علينا قال لا ولكن أتركككم كما ترككم رسول ا . و أخرج البزار ورجاله رجال الصـحيح مـا استخلف رسول ا فأستخلف عليكم /و أخرجه الدارقطني /أيضاً وفي بعض طرقه زيادة دخلنا على رسول ا فقلنا يا رسول ا استخلف علينا قال (لا إن يعلم ا فيكم خيراً يول عليكم خيركم) قال علي رضي ا عنه فعلم ا فينا خيراً فولـى عليـنا ابا بكر فقد ثبت بذلك أنه صرح بأن النبي لم يستخلف . و أخرج مسلم أنه قال من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كـتاب ا وهـذه الصحيفة فيها أسنان الإبل وشيء من الجراحات فقد كذب . و أخرج جمع كالداقطني وابن عساكر والذهبي وغـيرهم إن علياً لما قام بالبصرة قام إليه رجلان فقالا له أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه لتستولي على الأمراء وعلى الأمـة تضـرب بعضهم ببعض أعهد من رسول ا عهده إليك فحدثنا فأنت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال أما أن يكون عندي عهد من النبي عهده إلي في ذلك فلا وا لئن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عندي مـنه عهد في ذلك ما تركت أخا بني تميم بن مرة وعمر بن الخطاب يثوبان على منبره ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد إلا بردتي هذه ولكن رسول ا لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة مكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذن أو بلال يؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر ليصـلي بالناس وهو يرى مكاني ولقد أرادت امرأة من نسائه تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال (أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس) فلما قبض رسول ا نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول ا لديننا وكانت الصلاة عظم الإسلام وقوام الدين فبايعنا أبا بكر رضي ا تعالى عنه وكان لذلك أهلاً لم يختلف عليه منا اثنان . و في رواية فأقام بين أظهـرنا الكلمة واحدة والأمر واحد لا يختلف عليه منا اثنان . و في رواية فاخترنا لدنيانا من اختاره لديننا فأديت إلى أبي بكر حقـه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض ولاها عمر فأخذها بسنة صاحبه وما يعرف من أمره فبايعنا عمر لم يختلف عليه منا اثنان فأديت له حقه وعرفت له طاعـته وغـزوت معـه في جيوشه وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده شيئاً إلا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة لآثر ولده بها وبرئ منها لرهط أنا أحدهم وظننت أن لا يعدلوا بي فأخذ عبد الرحمن بـن عوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه ا أمرنا ثم بايع عثمان فنظرت فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما أصيب نظرت فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول ا إليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الـذي أخذ له ميثاقي قد أصيب فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين أي الكوفة والبصرة فوثب فيها من ليس مثلي ولا

قرابـته كقرابتـي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه يعني معاوية . و أخرجه أيضاً هؤلاء وإسحاق بن راهويـة من طرق أخرى قال الذهبي وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً قال وأصحها ما رواه إسماعيل بن علية وذكره وفيه أنه لما قيل لعلي أخبرنا عن مسيرك هذا أعهد عهده إليك أم رأي رأيته فقال بل رأى رأيته وأخرج أحمد عنه أنه قال يوم الجمل لم يعهـد إليـنا رسول ا عهداً نأخذ به في الإمارة ولكن شيء رأيناه من قبل أنفسنا . و أخرج الهروي والدارقطني نحوه بزيادة فهذه الطرق كلها عن علي متفقة على نفي النص بإمامته ووافقه على ذلك علماء أهل بيته فقد أخرج أبو نعيم عن الحسن المثنى بـن الحسن السبط أنه لما قيل له ذلك أي أن خبر من كنت مولاه فعلي مولاه نص في إمامة علي فقال أما وا لو يعني النبي بذلـك الإمارة والسلطان لأفصح لهم به فإن رسول ا كان أنصح الناس للمسلمين ولقال لهم ايها الناس هذا ولي أمري والقائم علـيكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا ما كان من هذا شيء فوا لئن كان ا ورسوله اختارا علياً لهذا الأمر والقيام به للمسلمين من بعده ثم ترك علي أمر ا ورسوله أن يقوم به أو يعذر فيه إلى المسلمين إن كان أعظم الناس خطيئة لعلي إذ ترك أمر ا ورسـوله ا وحاشـاه من ذلك وفي رواية ولو كان هذا الأمر كما تقول وأن ا اختار عليا للقيام على الناس لكان علي أعظم الناس خطيئة أن ترك أمر رسول ا ولم يقم به فقال الرجل ألم يقل رسول ا من كنت مولاه فعلي مولاه فقال الحسن أما وا لـو عـنى به القيام على الناس والإمرة لأفصح به وافصح عنه كما افصح عن الصلاة والزكاة ولقال أيها الناس إن علياً ولي أمـركم مـن بعدي والقائم في الناس بأمري فلا تعصوا أمره . و أخرج الدارقطني عن أبي حنيفة أنه لما قدم المدينة سال أبا جعفـر الـباقر عـن أبي بكر وعمر فترحم عليهما فقال له أبو حنيفة إنهم يقولون عندنا بالعراق إنك تتبرأ منهما فقال معاذ ا كذبـوا ورب الكعبة ثم ذكر لأبي حنيفة تزويج علي بنته أم كلثوم بنت فاطمة من عمر وأنه لو لم يكن لها لهلاً ما زوجه إياها فقـال له أبو حنيفة لو كتبت إليهم فقال لا يطيعوني بالكتب وتزويجه إياها يقطع ببطلان ما زعمه الرافضة وإلا لكان قد تعاطى تزويج بنته من كافر على زعمهم الفاسد قبحهم ا . سابعها قولهم هذا الدعاء وهو قوله (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) لا يكـون إلا لإمـام معصوم دعوى لا دليل عليها إذ يجوز الدعاء بذلك لأدنى المؤمنين فضلاً عن أخصائهم شرعاً وعقلاً فلا يسـتلزم كونـه إماماً معصوماً . و أخرج أبو ذر الهروي أن رسول ا قال (عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيـث كـان) ولا قيل بدلالته على إمامة عمر عقب وفاة النبي ولا على عصمته ثم إن أرادوا بالعصمة ما ثبت للأنبياء قطعاً فباطل أو الحفظ فهذا يجوز لدون علي من المؤمنين . و دعواهم وجوب عصمة الإمام مبني على تحكيمهم العقل وهو وما بني علـيه بـاطل لأمـور بينها القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه في الإمامة أتم بيان وأوفى تحرير وقد أخرج الحاكم وصححه وحسنه غيره عن علي أنه قال يهلك في محب مفرط يقرظني بما ليس في ومبغض مفتر يحمله شنآني على أن يبهتني بما ليس في ثم قال وما أمرتكم بمعصية فلا طاعة لأحد في معصية ا تعالى فعلم به أنه لم يثبت لنفسه العصمة . ثامنها أنهم اشترطوا فـي الإمـام أن يكون افضل الأمة وقد ثبت بشهادة علي الواجب العصمة عندهم أن أفضلها أبو بكر ثم عمر رضي ا عنهما فوجبت صحة إمامتهما كما انعقد عليه الإجماع السابق . الشبهة الثانية عشرة زعموا أنه من النص التفصيلي على علي قوله له لمـا خرج إلى تبوك واستخلفه على المدينة (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) قالوا ففيه دليل على أن جمـيع المنازل الثابتة لهارون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلي من النبي وإلا لما صح الاستثناء ومما ثبت لهارون من موسى اسـتحقاقه الخلافـة عنه لو عاش بعده إذ كان خليفته في حياته فلو لم يخلفه بعد مماته لو عاش بعده لكان لنقص فيه وهو غير جائـز علـى الأنبـياء وأيضاً فمن جملة منازله منه أنه كان شريكاً له في الرسالة ومن لازم ذلك وجوب الطاعة لو بقي بعده فوجـب ثبوت ذلك لعلي إلا أن الشركة في الرسالة ممتنعة في حق علي فوجب أن يبقى مفترض الطاعة على الأمة بعد النبي عملاً بالدليل بأقصى ما يمكن . و جوابها أن الحديث إن كان غير صحيح كما يقوله الآمدي فظاهر وإن كان صحيحاً كما يقوله أئمـة الحديث والمعول في ذلك ليس إلا عليهم كيف وهو في الصحيح فهو من قبيل الآحاد وهم لا يرونه حجة في الإمامة . و علـى التنزل فلا عموم له في المنازل بل المراد ما دل عليه ظاهر الحديث أن علياً خليفة عن النبي مدة غيبته بتبوك كما كان هـارون خليفة عن موسى عليه السلام في قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة وقوله عليه السلام اخلفني في قومي لا عموم له حتى

يقتضـي الخلافة عنه في كل زمن حياته وزمن موته بل المتبادر منه ما مر أنه خليفته مدة غيبته فقط وحينئذ فعدم شموله لما بعد وفاة موسى عليه السلام إنما هو لقصور اللفظ عنه لا لعزله كما لو صرح باستخلافه في زمن معين . و لو سلمنا تناوله لما بعد الموت وأن عدم بقاء خلافته بعده عزل له لم يستلزم نقصاً يلحقه بل إنما يستلزم كمالاً له أي كمال لأنه يصير بعده مستقلاً بالرسالة والتصرف من ا تعالى وذلك أعلى من كونه خليفة وشريكاً في الرسالة . سلمنا أن الحديث يعم المنازل كلها لكنه عام مخصوص إذ من منازل هارون كونه أخاً نبياً والعام المخصوص غير حجة في الباقي أو حجة ضعيفة على الخلاف فيه ثم نفاذ أمـر هـارون بعد وفاة موسى لو فرض إنما هو للنبوة لا للخلافة عنه وقد نفيت النبوة هنا لاستحالة كون علي نبياً فيلزم نفس مسـببه الذي هو افتراض الطاعة ونفاذ الأمر . فعلم مما تقرر أنه ليس المراد من الحديث مع كونه آحاداً لا يقاوم الإجماع إلا إثـبات بعـض المنازل الكائنة لهارون من موسى وسياق الحديث وسببه يبينان ذلك البعض لما مر أنه قاله لعلي حين استخلفه فقـال علـي كما في الصحيح أتخلفني في النساء والصبيان كأنه استنقص تركه وراءه فقال له ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى يعني حيث استخلفه عند توجهه إلى الطور إذ قال اخلفني في قومي وأصلح وأيضاً فاستخلافه على المدينة لا يسـتلزم أولويته بالخلافة بعده من كل معاصريه افتراضاً ولا ندباً بل كونه أهلاً لها في الجملة وبه نقول وقد استخلف في مرار أخـرى غـير علي كابن أم مكتوم ولم يلزم منه بسبب ذلك أنه أولى بالخلافة بعده . الشبهة الثالثة عشرة زعموا أيضاً أن من النصـوص التفصيلية الدالة على خلافة علي قوله لعلي (أنت أخي ووصيي وخليفتي وقاضي ديني) أي بكسر الدال وقوله (أنـت سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين) وقوله (سلموا على علي بإمرة الناس) . و جوابها مر مبسوطاً قبيل الفصـل الخـامس ومـنه أن هذه الأحاديث كذب باطلة موضوعة مفتراة عليه ألا لعنة ا على الكاذبين ولم يقل أحد من أئمة الحديـث أن شـيئاً من هذه الأكاذيب بلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها بل كلهم مجمعون على أنها محض كذب وافتراء فإن زعم هـؤلاء الجهلة الكذبة على ا ورسوله وعلى أئمة الإسلام ومصابيح الظلام أن هذه الأحاديث صحت عندهم قلنا لهم هذا محال فـي العادة إذ كيف تتفردون بعلم صحة تلك مع أنكم لم تتصفوا قط برواية ولا صحبة محدث ويجهل ذلك مهرة الحديث وسباقه الذيـن أفـنوا أعمارهم في الأسفار البعيدة لتحصيله وبذلوا جهدهم في طلبه وفي السعي إلى كل من ظنوا عنده شيئاً منه حتى جمعـوا الأحاديـث ونقبوا عنها وعلموا صحيحها من سقيمها ودونوها في كتبهم على غاية من الاستيعاب ونهاية من التحرير وكـيف والأحاديـث الموضـوعة جـاوزت مئات الألوف وهم مع ذلك يعرفون واضع كل حديث منها وسبب وضعه الحامل لواضـعه علـى الكـذب والافـتراء علـى نبيه فجزاهم ا خير الجزاء وأكمله إذ لولا حسن صنيعهم هذا لاستولى المبطلون والمـتمردة على المفسدون الدين وغيروا معالمه وخلطوا الحق بكذبهم حتى لم يتميز عنه فضلوا وأضلوا ضلالاً مبيناً لكن لما حفـظ ا على نبيه شريعته من الزيغ والتبديل بل والتحريف وجعل من أكابر أمته في كل عصر طائفة على الحق لا يضرهم مـن خذلهم لم يبال الدين بهؤلاء الكذبة المبطلة الجهلة ومن ثم قال تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يـزيغ عنها بعدي إلا هالك . و من عجيب أمر هؤلاء الجهلة أنا إذا استدللنا عليهم بالأحاديث الصحيحة الدالة صريحاً على خلافـة أبـي بكر كخبر اقتدوا باللذين من بعدي وغيره من الأخبار الناصة على خلافته التي قدمتها مستوفاة في الفصل الثالث قـالوا هـذا خبر واحد فلا يغني فيما يطلب فيه التعيين وإذا أرادوا أن يستدلوا على ما زعموه من النص على خلافة علي أتوا بأخـبار تـدل لـزعمهم كخبر من كنت مولاه وخبر أنت مني بمنزلة هارون من موسى مع أنها آحاد وإما بأخبار باطلة كاذبة متيقنة البطلان واضحة الوضع والبهتان لا تصل إلى درجة الأحاديث الضعيفة التي هي أدنى مراتب الآحاد فتأمل هذا التناقض الصريح والجهل القبيح لكنهم لفرط جهلهم وعنادهم وميلهم عن الحق يزعمون التواتر فيما يوافق مذهبهم الفاسد وإن أجمع أهل الحديـث والأثـر علـى أنه كذب موضوع مختلق ويزعمون فيما يخالف مذهبهم أنه آحاد وإن اتفق أولئك على صحته وتواتر رواته تحكماً وعناداً وزيغاً عن الحق فقاتلهم ا ما أجهلهم وأحمقهم . الشبهة الرابعة عشرة زعموا أنه لو كان أهلاً للخلافة لما قال لهم أقيلوني أقيلوني لأن الإنسان لا يستقيل من الشيء إلا إذا لم يكن أهلاً له . و جوابها منع الحصر فيما عللوا به فهو من مفـترياتهم وكم وقع للسلف والخلف التورع عن أمور هم لها أهل وزيادة بل لا تكمل حقيقة الورع والزهد إلا بالإعراض عما

تأهل له المعرض وأما مع عدم التأهل فالإعراض واجب لا زهد ثم سببه هنا أنه إما خشي من وقوع عجز ما منه عن استيفاء الأمور على وجهها الذي يليق بكماله أو أنه قصد بذلك استبانة ما عندهم وأنه هل فيهم من يود عزله فأبرز ذلك لذلك فرآهم جميعهم لا يودون ذلك أو أنه خشي من لعنته لإمام قوم وهم له كارهون فاستعلم أنه هل فيهم أحد يكرهه أو لا . و الحاصل أن زعم أن ذلك يدل على عدم أهليته غاية في الجهالة والغباوة والحمق فلا ترفع بذلك رأساً . الشبهة الخامسة عشرة زعموا أيضاً أن علياً إنما سكت عن النزاع في أمر الخلافة لأن النبي أوصاه أن لا يوقع بعده فتنة ولا يسل سيفاً . و جوابها أن هذا افتراء وكذب وحمق وجهالة مع عظيم الغباوة عما يترتب عليه إذ كيف يعقل مع هذا الذي زعموه أنه جعله إماماً والياً على الأمة بعده ومنعه من سل السيف على من امتنع من قبول الحق ولو كان ما زعموه صحيحاً لما سل علي السيف في حرب صفين وغيرها ولما قاتل بنفسه وأهل بيته وشيعته وجالد وبارز الألوف منهم وحده أعاذه ا من مخالفة وصية رسول ا وأيضاً فكيف يتعقلون أنه يوصيه بعدم سل السيف على من يزعمون فيهم أنهم يجاهرون بأقبح أنواع الكفر مع ما أوجبه ا من جهاد مثلهم . قال بعض أئمة أهل البيت النبوي والعترة الطاهرة وقد تأملت كلماتهم فرأيت قوماً أعمى الهوى بصائرهم فلم يبالوا بما ترتب على مقالاتهم من المفاسد ألا ترى إلى قولهم إن عمر رضي ا عنه قاد علياً بحمائل سيفه وحصر فاطمة فهابت فأسقطت ولداً اسمه المحسن فقصدوا بهذه الفرية القبيحة والغباوة التي أورثتهم العار والبوار والفضيحة إيغار الصدور على عمر رضي ا عنه ولم يبالوا بما يترتب على ذلك من نسبة علي رضي ا عنه إلى الذل والعجز والخور بل ونسبة جميع بني هاشم وهم أهل النخوة والنجدة والأنفة إلى ذلك العار اللاحق بهم الذي لا أقبح منه عليهم بل ونسبة جميع الصحابة رضي ا عنهم إلى ذلك وكيف يسع من له أدنى ذوق أن ينسبهم إلى ذلك مع ما استفاض وتواتر عنهم من غيرتهم لنبيهم وشدة غضبهم عند انتهاك حرماته حتى قاتلوا وقتلوا الآباء والأبناء في طلب مرضاته ولا يتوهم إلحاق أدنى نقص أو سكوت على باطل بهؤلاء العصابة الكمل الذين طهرهم ا من كل رجس ودنس ونقص على لسان نبيه في الكتاب والسنة كما قدمته في المقدمة الأولى أول الكتاب بواسطة صحبتهم له وموته وهو عنهم راض وصدقهم في محبته واتباعه إلا عبداً أضله ا وخذله ولعنه فباء منه تعالى بعظيم الخسار والبوار وأحله ا تعالى نار جهنم وبئس القرار نسأل ا السلامة في الدين آمين / خاتمة / . قال شيخ الإسلام مجتهد عصره التقي السبكي رحمه ا ورضي عنه كنت بالجامع الأموي ظهر يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأحضر إلي شخص شق صفوف المسلمين في الجامع وهم يصلون الظهر ولم يصل وهو يقول لعن ا من ظلم آل محمد وهو يكرر ذلك فسألته من هو فقال أبو بكر قلت أبو بكر الصديق قال أبو بكر وعمر وعثمان ويزيد ومعاوية فأمرت بسجنه وجعل غل في عنقه ثم أخذه القاضي المالكي فضربه وهو مصر على ذلك وزاد فقال إن فلاناً عدو ا شهد عليه عندي بذلك شاهدان وقال إنه مات على غير الحق وإنه ظلم فاطمة ميراثها وأنه يعني أبا بكر كذب على النبي في منعه ميراثها وكرر عليه الملكي الضرب يوم الاثنين ويوم الأربعاء الذي يليه وهو مصر على ذلك ثم أحضروه يوم الخميس بدار العدل وشهد عليه في وجهه فلم ينكر ولم يقر ولكن صار كلما سئل يقول إن كنت قلت فقد علم ا تعالى فكرر السؤال عليه مرات وهو يقول هذا الجواب ثم أعذر عليه فلم يبد دافعاً ثم قيل له تب فقال تبت عن ذنوبي وكرر عليه الاستتابة وهو لا يزيد في الجواب على ذلك فطال البحث في المجلس على كفره وعدم قبول توبته فحكم نائب القاضي بقتله فقتل وسهل عندي قتله ما ذكرته من هذا الاستدلال فهو الذي انشرح صدري لتكفيره بسببه ولقتله لعدم توبته وهو منزع لم أجد غيري سبقني إليه إلا ما سيأتي في كلام النووي وضعفه . و أطال السبكي الكلام في ذلك وهاأنا أذكر حاصل ما قاله مع الزيادة عليه مما يتعلق بهذه المسألة وتوابعها منها على ما أزيده بأي ونحوها فأقول . ادعى بعض الناس أن هذا الرجل الرافضي قتل بغير حق وشنع السبكي في الرد على مدعي ذلك بحسب ما ظهر له ورآه مذهباً وإلا فمذهبنا كما ستعلمه أنه لا يكفر بذلك . فقال كذب من قال إنه قتل بغير حق بل قتل بحق لأنه كافر مصر على كفره وإنما قلنا إنه كافر لأمور . أحدها قوله في /الحديث الصحيح / (من رمى رجلاً بالكفر أو قال عدو ا وليس كذلك إن كان كما قال وإلا رجعت عليه) . و نحن نتحقق أنا أبا بكر مؤمن وليس عدو ا ويرجع على هذا القائل ما قاله بمقتضى نص هذا الحديث على الحكم بكفره وإن لم يعتقد الكفر كما يكفر ملقي

المصـحف بقـذر وإن لـم يعتقد الكفر وقد حمل مالك رضي ا عنه هذا الحديث على الخوارج الذين كفروا أعلام الأمة فلم استنبطته من هذا الحديث موافق لما نص عليه مالك أي فهو موافق لقواعد مالك لا لقواعد الشافعي رضي ا عنهما . على أنه سيعلم مما سيأتي عن المالكية أن المعتمد عندهم في ذلك هذا الحديث وإن كان خبر واحد إلا أن خبر الواحد يعمل به في الحكم بالتكفـير وإن كـان جحـده لا كفر به إذ لا يكفر جاحد الظني بل القطعي وقول النووي رحمه ا إن حمل مالك للحديث على الخـوارج ضـعيف لأن المذهب الصحيح عدم تكفيرهم فيه نظر وإنما يتجه ضعفه إن لم يصدر منهم سبب مكفر غير الخروج والقـتال ونحوه وأما مع التكفير لمن تحقق إيمانه فمن أين للنووي ذلك انتهى . و يجاب بأن نص الشافعي رضي ا عنه وهو قولـه أقـبل شهادة أهل البدع والأهواء إلا الخطابية صريح فيما قاله النووي مع أن المعنى يساعده وأيضاً فتصريح أئمتنا في الخـوارج بـأنهم لا يكفـرون وإن كفـرونا لأنه بتأويل فلهم شبهة غير قطعية البطلان صريح فيما قاله النووي ويؤيده قول الأصـوليين إنمـا لـم تكفـر الشيعة والخوارج لكونهم كفروا أعلام الصحابة المستلزم لتكذيبه في قطعه لهم بالجنة لأن أولئك المكفريـن لم يعلموا قطعاً تزكية من كفروه على الإطلاق إلى مماته وإنما يتجه لتكفيرهم أن لو علموا ذلك لأنهم حينئذ يكونون مكذبيـن له . و بهـذا تعلـم أن جميع ما يأتي عن السبكي إنما هو اختيار له مبني على غير قواعد الشافعية وهو قوله جواب الأصوليين المذكور إنما نظروا فيه إلى عدم الكفر لأنه لا يستلزم تكذيبه ولم ينظروا لما قلناه إن الحديث السابق دال على كفره . و قد قال إمام الحرمين وغيره يكفر نحو الساجد لصنم وإن لم يكذب بقلبه وإلا يلزم على ذلك كفر من قال لمسلم يا كافر لأن محـل ذلـك فـي المقطوع بإيمانهم كالعشرة المبشرين بالجنة وعبد ا بن سلام ونحوهم بخلاف غيرهم لأنه أشار إلى اعتبار الباطـن بقوله (إن كان كما قال وإلا رجعت عليه) نعم يلحق عندي وإن لم يذكر ذلك متكلم ولا فقيه بمن ورد النص فيهم من أجمعـت الأمـة على صلاحه وإمامته كابن المسيب والحسن وابن سيرين ومالك والشافعي . فإن قلت الكفر جحد الربوبية أو الرسـالة وهـذا المقتول مؤمن با ورسوله وآله وكثير من صحابته فكيف يكفر . قلت التكفير حكم شرعي سببه جحد ذلك أو قـول أو فعـل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يكن جحداً وهذا منه فهو من أحسن الأدلة في المسألة وينضم إليه خبر الحلية من آذى لـي ولياً فقد آذنته بالحرب /والخبر الصحيح /لعن المؤمن كقتله وأبو بكر أكبر أولياء المؤمنين فهذا هو المأخذ الذي ظهر لـي فـي قتل هذا الرافضي وإن كنت لم أتقلده لا فتوى ولا حكماً وانضم إلى احتجاجي بالحديث السابق ما اشتملت عليه أفعال هـذا الرافضـي من إظهاره ذلك في الملأ وإصراره عليه وإعلائه البدعة وأهلها وغمصه السنة وأهلها وهذا المجموع في هذه الشناعة وقد يحصل بمجموع أمور حكم لا يحصل بكل واحد منها وهذا معنى قول مالك تحدث للناس أحكام بقدر ما يحدث لهم مـن الفجور ولسنا نقول تتغير الأحكام بتغير الزمان بل باختلاف الصورة الحادثة . فهذا نهاية ما انشرح صدري له بقتل هذا الـرجل له وأما السبب وحده ففيه ما قدمته وما سأذكره وإيذاؤه أمر عظيم إلا أنه ينبغي ضابط فيه وإلا فالمعاصي كلها تؤذيه ولم أجد في كلام أحد من العلماء أن سب الصحابي يوجب القتل إلا ما يأتي من إطلاق الكفر من بعض أصحابنا وأصحاب أبي حنـيفة ولـم يصرحوا بالقتل وقد قال ابن المنذر لا أعلم أحداً يوجب القتل لمن سب من بعد النبي . نعم حكي القتل عن بعض الكوفييـن وغـيرهم بـل حكاه بعض الحنابلة رواية عن أحمد وعندي أنهم غلطوا فيه لأنهم أخذوه من قوله شتم عثمان زندقة وعـندي أنـه لم يرد أن شتمه كفر وإلا لم يكن زندقة لأنه أظهرها وإنما أراد قوله المروي عنه في موضع آخر من طعن في خلافـة عـثمان فقـد طعن في المهاجرين والأنصار يعني أن عبد الرحمن بن عوف رضي ا عنه أقام ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً يطـوف علـى المهاجريـن والأنصار ويخلو بكل واحد منهم رجالهم ونسائهم يستشيرهم فيمن يكون خليفة حتى اجتمعوا على عـثمان فحينـئذ بايعـه فمعنى كلام أحمد أن شتم عثمان في الظاهر شتم له وفي الباطن تخطيئه لجميع المهاجرين والأنصار وتخطـئة جمـيعهم كفر فكان زندقة بهذا الاعتبار فلا يؤخذ منه أن شتم أبي بكر وعمر كفر هذا لم ينقل عن أحمد أصلاً فمن خـرج من أصحابه رواية عنه مما قاله في شتم عثمان بقتل ساب أبي بكر مثلاً لم يصنع شيئاً . و الضابط أن كل شتم قصد به أذى النبـي كما وقع من عبد ا بن أبي كفر وما لا فلا كما وقع من مسطح وحمنة في قصة الإفك وفي /الحديث الصحيح / (لا تسـبوا أصـحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) . و في حديث رجاله

ثقـات وإن قـال الـترمذي إنه غريب (ا ا في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضـي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى ا ومن آذى ا يوشك أن يأخذه) . و قوله أصحابي الظاهر أن المراد بهم من اسلم قبل الفتح وأنه خطاب لمن أسلم بعده بدليل تفاوت الإنفاق فيه الموافق له قوله تعالى (لا يستوي منكم من أنفـق مـن قـبل الفتح وقاتل) الآية فلا بد من تأويل بهذا أو بغيره ليكون المخاطبون غير الأصحاب الموصى بهم فهم كبار الأصـحاب وإن شمل اسم الصحبة الجميع . و سمعت شيخنا التاج بن عطاء ا متكلم الصوفية على طريق الشاذلية يذكر في وعظـه تأويلاً آخر هو أنه له تجليات يرى فيها من بعده فهذا خطاب لمن بعده في حق جميع الصحابة الذين قبل الفتح وبعده . فـإن ثبـت ما قاله فالحديث شامل لجميعهم وإلا فهو فيمن قبل الفتح ويلحق بهم في ذلك من بعده فإنهم بالنسبة لغير الصحابة كالذيـن بعد الفتح بالنسبة لمن قبله وعلى كلا التقديرين فالظاهر أن هذه الحرمة ثابتة لكل واحد منهم أي وكلام النووي وغيره صـحيح فـي ذلـك . ثم الكلام إنما هو في سب بعضهم أما سب جميعهم فلا شك أنه كفر وكذا سب واحد منهم من حيث هو صحابي لأنه استخفاف بالصحبة فيكون استخفافاً به وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول الطحاوي بغضهم كفر فبغض الصحابة كلهم وبغـض بعضهم من حيث الصحبة لا شك أنه كفر وأما سب أو بغض بعضهم لأمر آخر فليس بكفر حتى الشيخين رضي ا عـنهما نعم حكى القاضي في كفر سابهما وجهين وجه عدم الكفر أن سب المعين أو بغضه قد يكون لأمر خاص به من الأمور الدنـيوية أو غيرها كبغض الرافضي لهما فإنه إنما هو جهة الرفض وتقديمه علياً واعتقاده بجهله أنهما ظلماه وهما مبرآن عن ذلـك فهـو معتقد لجهله أنه ينتصر لعلي لقرابته رضي ا عنه للنبي فعلم أن بغض الرافضي للشيخين إنما هو لما استقر في ذهـنه لجهله وما نشأ عليه من الفساد من اعتقاده ظلمهما لعلي وليس كذلك ولا علي يعتقد ذلك قطعاً . و مأخذ تكفير الرافضي بذلـك أنـه يعـود من اعتقاده ذلك فيهما نقص في الدين لأنهما الأصل بعد النبي في إقامة الدين وإظهاره ومجاهدة المرتدين والمعانديـن ومـن ثـم قال أبو هريرة رضي ا عنه لولا أبو بكر ما عبد ا بعد محمد أي لأنه الذي رأى قتال المرتدين مع مخالفة أكثر الصحابة له حتى أقام عليهم الأدلة الواضحة على قتال المرتدين ومانعي الزكاة إلى أن رجعوا إليه وقاتلوهم بأمره فكشـف ا به وبهم تلك الغمة وأزال عن الإسلام والمسلمين تلك المحنة ثانيها أعني الأمور الدالة على قتل ذلك الرافضي أنه اسـتحل لعـن الشيخين وعثمان رضي ا عنهم بإقراره بذلك ومن استحل ما حرم ا فقد كفر ولعن الصديق وسبه محرمان واللعنة اشد وتحريم لعن الصديق معلوم من الدين بالضرورة لما تواتر عنه من حسن إسلامه وأفعاله الدالة على إيمانه وأنه دام على ذلك إلى أن قبضه ا تعالى هذا لا يشك فيه ولا يرتاب وإن شك فيه الرافضي نعم شرط الكفر بجحد الضروري أن يكون ضـرورياً عـند الجـاحد حتى يستلزم جحده حينئذ تكذيبه وليس الرافضي يعتقد تحريم لعن أبي بكر فضلاً عن كونه يعتقد أن تحـريمه ضروري وقد ينفصل عنه بأن تواتر تحريم ذلك عند جميع الخلق يلغي شبهة الرافضي التي غلظت على قلبه حتى لم يعلـم ذلـك وهذا محل نظر وجدل وميل القلب إلى بطلان هذا العذر أي باعتبار ما ظهر للسبكي وإلا فقواعد المذهب قاضيه بقبول هذا العذر بالنسبة لعدم التكفير لأنه إنما يسب أو يلعن متأولاً وإن كان تأويله جهلاً وعصبية وحمية لكن باب الكفر يحتاط فيه كما هو مقرر في محله . ثالثها إن هذه الهيئة الاجتماعية التي حصلت من هذا الرافضي ومجاهرته ولعنه لأبي بكر وعمر وعـثمان رضي ا عنهم واستحلاله ذلك على رؤوس الأشهاد وهم أئمة الإسلام والذين أقاموا الدين بعد النبي وما علم لهم من المناقب والمآثر كالطعن في الدين والطعن فيه كفر فهذه ثلاثة أدلة ظهرت لنا في قتله أي باعتبار ما ظهر وإلا فمذهب الشافعي رضـي ا عنه ما قد علمت رابعها المنقول عن العلماء فمذهب أبي حنيفة رضي ا عنه أن من أنكر خلافة الصديق أو عمر فهو كافر على خلاف حكاه بعضهم وقال الصحيح أنه كافر والمسالة مذكورة في كتبهم في الغاية للسروجي والفتاوى الظهيرية والأصـل لمحمد بن الحسن وفي الفتاوى البديعية فإنه قسم الرافضة إلى كفار وغيرهم وذكر الخلاف في بعض طوائفهم وفيمن أنكر إمامة أبي بكر وزعم ان الصحيح أنه يكفر . و في المحيط أن محمداً لا يجوز الصلاة خلف الرافضة ثم قال لأنهم أنكروا خلافـة ابي بكر وقد اجتمعت الصحابة على خلافته . و في الخلاصة من كتبهم أن من أنكر خلافة الصديق فهو كافر . و في تتمة الفتاوى والرافضي المتغالي الذي ينكر خلافة أبي بكر يعني لا تجوز الصلاة خلفه . و في المرغيناني وتكره الصلاة خلف

صـاحب هـوى أو بدعة ولا تجوز خلف الرافضي ثم قال وحاصله إن كان هوى يكفر به لا يجوز وإلا يجوز ويكره . و في شرح المختارو سب أحد من الصحابة وبغضه لا يكون كفراً لكن يضلل فإن علياً رضي ا عنه لم يكفر شاتمه . وفي الفتاوى البديعـية من أنكر إمامة أبي بكر رضي ا عنه فهو كافر وقال بعضهم وهو مبتدع والصحيح أنه كافر وكذلك من أنكر خلافة عمـر في أصح الأقوال ولم يتعرض أكثرهم للكلام على ذلك . و أما أصحابنا الشافعيون فقد قال القاضي حسين في تعليقه من سـب النبـي يكفر بذلك ومن سب صحابياً فسق وأما من سب الشيخين أو الختنين ففيه وجهان أحدهما يكفر لأن الأمة أجمعت علـى إمامتهم والثاني يفسق ولا يكفر ولا خلاف أن من لا يحكم بكفره من أهل الأهواء لا يقطع بتخليدهم في النار وهل يقطع بدخولهـم النار وجهان انتهى . و قال القاضي إسماعيل المالكي إنما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع يستتابون فإن تابوا وإلا قـتلوا لأنـه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب وهو فساده في مصالح الدنيا وقد يدخل في الدين من قطع سبيل الحـج والجهاد و فساد أهل البدع معظمه على الدين و قد يدخل في الدنيا بما يلقونه بين المسلمين من العداوة و قد اختلف قول مـالك و الأشـعري في التكفير و الأكثر على ترك التكفير . قال القاضي عياض لأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى ووصف الرافضة بالشرك و إطلاق اللعنة عليهم و كذا الخوارج و سائر أهل الأهواء حجج للمكفرين و قد يجيب الآخرون بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في غير الكفر تغليظاً و كفر دون كفر و إشراك دون إشراك و قوله في الخوارج اقتلوهم قـتل عاد يقتضي الكفر و المانع يقول هو حد لا كفر . قال القاضي عياض في سب الصحابة قد اختلف العلماء فيه و مشهور مذهب مالك فيه الاجتهاد و الأدب الموجع قال مالك رحمه ا من شتم النبي قتل و إن شتم الصحابة أدب و قال أيضاً من شتم أحـداً من أصحاب النبي أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال أو كفر قتل و إن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً شديداً انتهى . و قوله يقتل من نسبهم إلى ضلال أو كفر حسن إذا نسبهم إلى كفر لأنـه شـهد لكـل منهم بالجنة فإن نسبهم إلى الظلم دون الكفر كما يزعم بعض الرافضة فهو محل التردد لأنه ليس من حيث الصـحبة ولا لأمر يتعلق بالدين و إنما هو لخصوصيات تتعلق بأعيان بعض الصحابة و يرون أن ذلك من الدين لا تنقيص فيه . ولا شك أن الروافض ينكرون ما علم بالضرورة ويفترون على الصحابة بما يزعمون أنه موافق له ونحن نكذبهم في ذلك فلم يـتحقق إلـى الآن من مالك ما يقتضي قتل من هذا شأنه . و قال ابن حبيب من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدباً شديداً ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي . قال سحنون من كذب أحداً من أصحاب النبي علياً أو عثمان أو غيرهما يوجع ضرباً . و حكى ابن أبي زيد عـن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هـذا نكل النكال الشديد انتهى . و قتل من كفر الأربعة ظاهر لأنه خلاف إجماع الأمة إلا الغلاة من الروافض فلو كفر الثلاثة ولـم يكفـر علياً لم يصرح سحنون فيه بشيء وكلام مالك المتقدم أصرح فيه وروي عن مالك رضي ا عنه من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل . و قال أحمد بن حنبل فيمن سب الصحابة أما القتل فأجبن عنه لكن اضربه ضرباً نكالا . و قال أبو يعلى الحنبلي الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة إن كان مستحلاً لذلك كفر وإن لم يكن مستحلاً فسق ولم يكفر . قال وقد قطع طائفـة مـن الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم وسئل عمن شتم أبا بكر قال كافر قيل يصلى عليه قال لا . و ممن كفر الرافضة أحمـد بـن يونـس وأبو بكر بن هانئ وقالا لا تؤكل ذبائحهم لأنهم مرتدون . و قال عبد ا بن إدريس أحد أئمة الكوفة ليس للرافضـي شـفعة لأنه لا شفعة إلا لمسلم . و قال أحمد في رواية أبي طالب شتم عثمان زندقة وأجمع القائلون بعدم تكفير من سـب الصحابة على أنه فاسق وممن قال بوجوب القتل على من سب أبا بكر وعمر عبد الرحمن بن أبزى الصحابى رضي ا عـنه وعـن عمر بن الخطاب رضي ا عنه أنه قطع لسان عبيد ا بن عمر إذ شتم مقداد بن الأسود رضي ا عنه فكلم في ذلـك فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحداً من أصحاب النبي وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم إنه ابن زانية وأمـه مسـلمة حد حد عنه بعض أصحابنا حدين حداً له وحداً لأمه ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله (من سب أصحابي فاجلدوه) قال ومن قذف أم أحدهم وهي كافرة حد حد الفرية لأنه سب له وإن كان أحد من ولد هذا

الصـحابي حـياً قـام بما يجب له وإلا فمن قام من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحـرمة هؤلاء بنبيهم ولو سمعه الإمام وأشهد عليه وكان ولي القيام به . و من سب عائشة رضي ا عنها ففيه قولان أحدهما يقـتل والآخـر كسـائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالأول أقول . وروى أبو مصعب عن مالك من سب آل بيت محمد يضـرب ضرباً وجيعاً ويشهر ويحبس طويلاً حتى يظهر توبته لأنه استخفاف بحق رسول ا . و أفتى أبو مطرف فيمن أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت أبي بكر ما حلفت إلا بالنهار بالأدب الشديد لذكر ابنة أبي بكر في مثل هذا . قال هشام بـن عمـار سـمعت مالكاً يقول من سب أبا بكر وعمر قتل ومن سب عائشة رضي ا عنها قتل لأن ا تعالى يقول فيها (يعظكم ا أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين) فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل . قال ابن حزم وهذا قول صحيح . و احتج المكفرون للشيعة والخوارج بتكفيرهم أعلام الصحابة رضي ا عنهم وتكذيب النبي في قطعه لهم بالجنة وهو احـتجاج صـحيح فيمن ثبت عليه تكفير أولئك . و مر أن أئمة الحنفية كفروا من أنكر خلافة أبي بكر وعمر رضي ا عنهما والمسألة في الغاية وغيرها من كتبهم كما مر وفي الأصل لمحمد بن الحسن رحمه ا والظاهر أنهم أخذوا ذلك عن إمامهم أبي حنـيفة رضي ا عنه وهو أعلم بالروافض لأنه كوفي والكوفة منبع الرفض والروافض طوائف منهم من يجب تكفيره ومنهم من لا يجب تكفيره فإذا قال أبو حنيفة بتكفير من ينكر إمامة الصديق رضي ا عنه فتكفير لا عنه عنده أولى أي إلا أن يفرق إذ الظاهـر أن سـبب تكفـير مـنكر إمامته مخالفته للإجماع بناء على أن جاحد الحكم المجمع عليه كافر وهو المشهور عند الأصوليين وإمامته رضي ا عنه مجمع عليها من حين بايعه عمر رضي ا عنه ولا يمنع من ذلك تأخر بيعة بعض الصحابة فإن الذين تأخرت بيعتهم لم يكونوا مخالفين في صحة إمامته ولهذا كانوا يأخذون عطاءه ويتحاكمون إليه فالبيعة شيء والإجماع شـيء ولا يلـزم من أحدهما الآخر ولا من عدم أحدهما عدم الآخر فافهم ذلك فإنه قد يغلط فيه . فإن قلت شرط الكفر بإنكار المجمـع علـيه أن يعلـم من الدين بالضرورة قلت وخلافة الصديق رضي ا عنه كذلك لأن بيعة الصحابة له ثبتت بالتواتر المنتهي إلى حد الضرورة فصارت كالمجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة وهذا لا شك فيه ولم يكن أحد من الروافض في أيام الصديق رضي ا عنه ولا في أيام عمر وعثمان وإنما حدثوا بعده فمقالتهم حادثة . و جوابه أن الخلافة من الوقائع الحادثة وليست حكماً شرعياً وجاحد الضروري إنما يكفر إذا كان ذلك الضروري حكماً شرعياً كالصلاة والحج لاستلزامه تكذيب النبي بخـلاف الخلافة المذكورة إلا أن يقال إنه يتعلق بها أحكام شرعية كوجوب الطاعة وما أشبهه ومر عن القاضي حسين أن في كفـر ساب الشيخين أو الختنين وجهين ولا ينافيه جزمه في موضع آخر بفسق ساب الصحابة وكذا ابن الصباغ وغيره وحكوه عـن الشـافعي رضـي ا عـنه لأنهمـا مسألتان فالثانية في مجرد السب وهو مفسق وإن كان المسبوب من آحاد الصحابة وأصـاغرهم بخلاف الأول فإنها خاصة بسب الشيخين أو الختنين وهو أشد وأغلظ في الزجر بأن فيه وجهاً بالكفر وأما تكفير أبـي بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي والذي أراه الكفر فيها قطعاً موافقة لمن مر ومر عـن أحمد أن الطعن في خلافة عثمان طعن في المهاجرين والأنصار وصدق في ذلك فإن عمر جعل الخلافة شورى بين ستة عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص فالثلاثة الأخيرون أسقطوا حقوقهم وعبد الرحمن لم يـردها لنفسـه وإنمـا أراد أن يـبايع أحد الأولين عثمان أو علياً فاحتاط لدينه وبقي ثلاثة أيام بلياليها لا ينام وهو يدور على المهاجريـن والأنصـار ويستشيرهم فيمن يتقدم عثمان أو علي ويجتمع بهم جماعات وفرادى ورجالاً ونساء ويأخذ ما عند كل واحـد منهم في ذلك إلى أن اجتمعت آراؤهم كلهم على عثمان رضي ا عنهم فبايعه فكانت بيعة عثمان عن إجماع قطعي من المهاجريـن والأنصار فالطعن فيها طعن في الفريقين ومن ثم قال أحمد أيضاً شتم عثمان زندقة ووجهه أنه بظاهره ليس بكفر وبباطنه كفر لأنه يؤدي إلى تكذيب الفريقين كما علمت فلا يفهم من كلامه كفر ساب الصحابة خلافاً لبعض أصحابه كما مر . فتلخص أن سب أبي بكر كفر عند الحنفية وعلى أحد الوجهين عند الشافعية ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد فليس بكفر نعـم قـد يخرج عنه ما مر عنه في الخوارج أنه كفر فتكون المسألة عنده على حالين إن اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفـر وإن كفر كفر فهذا الرافضي السابق ذكره كافر عند مالك وأبي حنيفة وأحد وجهي الشافعي وزنديق عند أحمد بتعرضه

إلى عثمان المتضمن لتخطئة المهاجرين والأنصار وكفره هذا ردة لأن حكمه قبل ذلك حكم المسلمين والمرتد يستتاب فإن تاب وإلا قـتل فكـان قتله على مذهب جمهور العلماء أو جميعهم لأن القائل بأن الساب لا يكفر لم يتحقق منه أن يطرده فيمن يكفر أعـلام الصحابة رضوان ا عليهم فأحد الوجهين عندنا إنما اقتصر على الفسق في مجرد السب دون التكفير وكذلك أحمد إنما جبن عن قتل من لم يصدر منه إلا السب والذي صدر من هذا الرجل أعظم من السب ومر أن الطحاوي قال في عقيدته وبغض الصـحابة كفـر فيحتمل أن يحمل على مجموع الصحابة وان يحمل على كل منهم لكن إذا بغضه من حيث الصحبة وأما جعل مجـرد بغضـه كفراً فيحتاج لدليل وهذا الرافضي وأشباهه بغضهم للشيخين وعثمان رضي ا عنهم ليس لأجل الصحبة لأنهم يحبون علياً والحسنين وغيرهما بل لهوى أنفسهم واعتقادهم بجهلهم وعنادهم ظلمهم لأهل بيت النبي فالظاهر أنهم إذا اقتصروا علـى السب من غير تكفير ولا جحد مجمع عليه لا يكفرون . خامسها يمكن التمسك أيضاً في قتل هذا الرافضي بأن هذا المقام الـذي قامه لا شك أنه يؤذي النبي وإيذاؤه موجب للقتل بدليل /الحديث الصحيح/ أنه قال فيمن آذاه (من يكفيني عدوي) فقال خالد بن الوليد رضي ا عنه أنا أكفيكه فبعثه إليه النبي فقتله لكن مر ما يخدش في ذلك وهو أن كل أذى لا يقتضي القتل وإلا لعـم سائر المعاصي لأنها تؤذيه قال تعالى (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم) الآية وهذا الرافضي إنما قصد بزعمه انتصـاره لآل بيت النبي فلم يقصد إيذاءه أي فلم يتضح دليل على قتله . و أما الوقيعة في عائشة رضي ا عنها فموجبة للقتل إمـا لأن القرآن شهد ببراءتها فقذفها تكذيب له وتكذيبه كفر وإما لكونها فراشاً له والوقيعة فيها تنقيص له وتنقيصه كفر وينبني علـى ذلـك حكم الوقيعة في بقية أمهات المؤمنين فعلى الأول لا يكون كفراً وعلى الثاني يكون كفراً وهو الأرجح عند بعض المالكية وإنما لم يقتل قذفة عائشة لأن قذفهم كان قبل نزول الآية فلم يتضمن تكذيب القرآن ولأن ذلك حكم نزل بعد نزول الآية فلم ينعطف حكمه على ما قبلها . سادسها مر في /الخبر الصحيح / لا تسبوا أصحابي من أحبهم أحبني ومن أبغضهم أبغضني ومـن آذاهم آذاني وهذا يشمل سائر الصحابة لكنهم درجات فيتفاوت حكمهم في ذلك بتفاوت درجاتهم ومراتبهم والحرمة تزيد بـزيادة مـن تعلقت به فلا يقتصر في سب أبي بكر رضي ا عنه على الجلد الذي يقتصر عليه في جلد غيره لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة فإذا انضاف إلى الصحبة غيرها مما يقتضي الاحترام لنصرة الدين وجماعة المسلمين وما حصل على يده مـن الفتوح وخلافة النبي وغير ذلك كان كل واحد من هذه الأمور يقتضي مزيد حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجتراء عليه فـتزداد العقوبة وليس ذلك لتجدد حكم بعد النبي بل لأنه شرع أحكاماً وأناطها بأسباب فنحن نتبع تلك الأسباب ونرتب على كل سـبب مـنها حكمـه وكـان الصديق في حياة النبي له حق السبق إلى الإسلام والتصديق والقيام في ا تعالى والمحبة التامة والإنفـاق العظـيم الـبالغ أقصى غايات الوسع والإمكان على النبي وأصحابه والنصرة التامة وغير ذلك من خصاله الحميدة المذكورة في هذا الكتاب وغيره ثم بعد النبي ترتبت له خصوصيات وفضائل أخر كخلافته التي قام فيها بما لم يمكن أن يقوم به أحد من الأمة بعده كما هو معلوم مقطوع به لا ينكره إلا معاند مكابر جاهل غبي كمقاتلته لأهل الردة ومانعي الزكاة وما ظهر عـنه في ذلك من الشجاعة التي لم يشق أحد فيها غباره ولم يدرك آثاره فبكل من ذلك يزداد حقه وحرمته ويستحق من اجترأ عليه زيادة العذاب والنكال فلا يبعد لكونه من الدين والفضل بهذا المحل الأسنى والمقام الأسمى أن يكون سابه طاعناً في الدين فيسـتحق القـتل على ما مر ولقد قتل ا بسبب يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام خمسة وسبعين ألفاً قال بعض العلماء وذلك دية كل نبي ويقال إن ا تعالى أوحى إلى نبينا (أني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً ولأقتلن بالحسين ابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً) وهكذا الصديق رضي ا عنه يظهر تعالى حرمته وحقه بأخذ كثير من الروافض لعنهم ا الذين أخزاهم ا تعـالى بقتل هذا الرافضي الخبيث الملعون وكانت ترتفع أنوفهم لو صفح عنه وقد قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رضي ا عـنه الـتعزير يجـوز بالقتل وتجرؤ هذا الرافضي على هذا المقام العلي الذي هو مقام الصديق والخلفاء الراشدين من أعلى الأسـباب المقتضـية للـتعزير الذي يجوز به عند أبي يوسف الارتقاء إلى القتل أي فعلم أن قتل هذا الرافضي حق صحيح لا اعـتراض علـيه بناءً على مذهب الحاكم الذي قتله وهو المالكي بناء على ما مر من مذهبهم وكذا على مذهب أبي حنيفة وكذا علـى وجه عند الشافعية وكذا على ما مر عند الحنابلة . فتدبر هذه الواقعة وما سقته لك من كلام العلماء فيها فإن فيها أحكاماً

مهمـة وفوائـد جمة قلما تجدها مجموعة في كتاب مرفوعاً عنها النقاب سالمة من الطعن والريب منزهة عن التعصب والعيب ذكرت في كتابي الملقب بالإعلام في قواطع الإسلام ما يوضح ما أشرت إليه خلال كلام السبكي مما يفرع ما قاله على اختياره الموافـق لغير قواعد مذهبنا فاطلب بيان ذلك من الكتاب المذكور فإنه لم يصنف في بابه مثله بل لم أظفر بأحد من أئمتنا ألف كتاباً في المكفرات وحدها ولا استوعب حكمها على المذاهب الأربعة مع الكلام على كل من مسائله بما ينشرح له الصدر وتقر بـه العيـن فاستوفيت كل ذلك في ذلك المؤلف العديم النظير عند من سلم من داء الحسد والسخيمة ولم ينطو على الفساد أديمه نفعنـي ا به وبغيره وأدام علي من جوده وفضله وكرمه وخيره إنه الرؤوف الكريم الجواد الرحمن الرحيم وحسبنا ا ونعم الوكيل

الـباب الثانـي فـيما جـاء عن أكابر أهل البيت من مزيد الثناء على الشيخين ليعلم براءتهما مما يقول الشيعة والرافضة من عجائب الكذب والافتراء وليعلم بطلان ما زعموه من أن علياً إنما فعل ما مر عنه تقية ومدارة وخوفاً وغير ذلك من قبائحهم

الباب الثاني

. أخرج الدارقطني عن عبد ا الملقب بالمحض لقب به لأنه أول من جمع ولادة الحسن والحسين رضي ا عنهم وكان شيخ بني هاشم ورئيسهم ووالده كان يلقب بالنفس الزكية وكان من أئمة الدين بويع بالخلافة زمن الإمام مالك ابن أنس بالمدينة فأرسل المنصـور جيشـاً فقتلوه أنه سئل أمسح على الخفين فقال المسح فقد مسح عمر فقال له السائل إنما أسألك أنت تمسح قال ذلك أعجـز لـك أخـبرك عن عمر وتسألني عن رأيي فعمر خير مني وملء الأرض مثلي فقيل له هذا تقية فقال ونحن بين القبر والمنـبر اللهم هذا قولي في السر والعلانية فلا تسمع قول أحد بعدي ثم قال من هذا الذي يزعم أن علياً كان مقهوراً وأن النبي أمـره بأمر فلم ينفذه فكفى بهذا إزراء ومنقصة له . و أخرج الدارقطني أيضاً عن ولده الملقب بالنفس الزكية أنه قال لما سئل عـن الشيخين لهما عندي أفضل من علي وأخرج عن محمد الباقر أنه قال أجمع بنو فاطمة رضي ا عنهم على أن يقولوا في الشـيخين أحسـن مـا يكـون من القول . و أخرج أيضاً عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر أن رجلاً جاء إلى أبيه زين العابدين علي بن الحسين رضي ا عنهم فقال أخبرني عن أبي بكر فقال عن الصديق فقال وتسمية الصديق فقال ثكلتك أمك قد سـماه رسول ا والمهاجرون والأنصار ومن لم يسمه صديقاً فلا صدق ا عز وجل قوله في الدنيا والآخرة اذهب فأحب أبا بكر وعمر رضي ا عنهما . و أخرج أيضاً عن عروة عن عبد ا قال سألت أبا جعفر الباقر عن حلية السيف قال لا بأس به قـد حلى أبو بكر الصديق رضي ا عنه سيفه قال قلت وتقول الصديق قال نعم الصديق نعم الصديق نعم الصديق فمن لم يقل الصـديق فلا صدق ا قوله في الدنيا والآخرة . و أخرجه ابن الجوزي في صفة الصفوة وزاد فوثب وثبة واستقبل القبلة فقال نعم الصديق نعم الصديق نعم الصديق الخبر . و اخرج أيضاً عن جعفر الصادق أنه قال ما أرجو من شفاعة علي شيئاً إلا وأنا أرجـو مـن شـفاعة أبي بكر مثله ولقد ولدني مرتين . و أخرج أيضاً عن زيد بن علي أنه قال لمن يتبرأ منهما اعلم وا أن الـبراءة من الشيخين البراءة من علي فتقدم أو تأخر . و زيد هذا كان إماماً جليلاً استشهد في صفر سنة إحدى وعشرين ومائة ولما صلب عرياناً جاءت العنكبوت ونسجت على عورته حتى حفظت عن رؤية الناس فإنه استمر مصلوباً مدة طويلة وكان قد خرج وبايعه خلق من الكوفة وحضر إليه كثير من الشيعة فقالوا له ابرأ عن الشيخين ونحن نبايعك فأبى فقالوا إنا نرفضك فقال اذهـبوا فأنـتم الرافضة فمن حينئذ سموا الرافضة وسميت شيعته بالزيدية . و أخرج الحافظ عمر بن شبة أن زيداً هذا الإمام الجلـيل قـيل له إن أبـا بكر انتزع من فاطمة فدك فقال إنه كان رحيماً وكان يكره أن يغير شيئاً تركه رسول ا فأتته فاطمة رضي ا عنها فقالت له إن رسول ا أعطاني فدك فقال هل لك بينة فشهد لها علي وأم أيمن فقال لها فبرجل وامرأة تستحقيها ثـم قـال زيد وا لو رجع الأمر فيها إلي لقضيت بقضاء أبي بكر رضي ا عنه . و أخرج عنه أيضاً قال انطلقت الخوارج فبرئت ممن دون أبي بكر وعمر ولم يستطيعوا أن يقولوا فيهما شيئاً وانطلقتم أنتم فطفرتم أي وثبتم فوق ذلك فبرئتم منهما فمن بقـي فوا ما بقي أحد إلا برئتم منه . و أخرج أيضاً ابن عساكر عن سالم بن أبي الجعد قلت لمحمد ابن الحنفية هل كان أبو

بكـر أول القـوم إسلاماً قال لا قلت فبم علا أبو بكر وسبق حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر قال لأنه كان أفضلهم إسلاماً حين أسـلم حـتى لحق بربه . و أخرج الدارقطني عن سالم بن أبي حفصة وهو شيعي لكنه ثقة قال سألت أبا جعفر محمد بن علي وجعفـر بن محمد عن الشيخين فقالا يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما فإنهما كانا إمامي هدى . و أخرج عنه أيضاً قال دخلت على أبي جعفر وفي رواية على جعفر بن محمد فقال وأراه قال ذلك من أجلي اللهم إني أتولى أبا بكر وعمر وأحبهما اللهم إن كان في نفسي غير هذا فلا نالتني شفاعة محمد يوم القيامة . و أخرج عنه أيضاً دخلت على جعفر بن محمد وهو مريض فقال اللهـم إني أحب أبا بكر وعمر وأتولاهما اللهم إن كان في نفسي غير هذا فلا نالتني شفاعة محمد . و أخرج عنه أيضاً قال لي جعفـر يـا سالم أيسب الرجل جده أبو بكر جدي لا نالتني شفاعة محمد إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما . و أخرج عن جعفر أيضاً أنه قيل إن فلاناً يزعم أنك تبرأ من أبي بكر فقال برئ ا من فلان إني لأرجو أن ينفعني ا بقرابتي من أبي بكر ولقـد مرضت فأوصيت إلى خالي عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي ا عنهم . و أخرج هو أيضاً والحافظ عمر بن شبة عن كثير قلت لأبي جعفر محمد بن علي أخبرني أظلمكم أبو بكر وعمر من حقكم شيئاً فقال ومنزل الفرقان على عـبده ليكون للعالمين نذيراً ما ظلمانا من حقنا ما يزن حبة خردلة قال قلت أفأتولاهما جعلني ا فداك قال نعم يا كثير تولهما فـي الدنـيا والآخـرة قال وجعل يصك عنق نفسه ويقول ما أصابك فبعنقي هذا ثم قال برئ ا ورسوله من المغيرة بن سعيد وبـيان فإنهما كذبا علينا أهل البيت . و اخرج أيضاً عن بسام الصيرفي قلت لبأي جعفر ما تقول في أبي بكر وعمر فقال وا إني لأتولاهما وأستغفر لهما وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما . و أخرج أيضاً عن الشافعي رضي ا عنه عن جعفر بن أبي طالب قال ولينا أبو بكر خير خليفة وأرحمه لنا وأحناه علينا وفي رواية فما ولينا أحد من الناس مثله وفي أخرى فمـا رأينا قط كان خيراً منه . و أخرج أيضاً عن أبي جعفر الباقر أنه قيل له إن فلاناً حدثني أن علي بن الحسين قال إن هذه الآية (و نزعنا ما في صدورهم من غل) الحجر ٤٧ نزلت في أبي بكر وعمر وعلي قال وا إنها لفيهم أنزلت ففيمن أنزلت إلا فـيهم قـال فأي غل هو قال غل الجاهلية إن بني تيم وعدي وبني هاشم كان بينهم شيء في الجاهلية فلما أسلم هؤلاء القوم تحـابوا فأخذ أبا بكر وجع الخاصرة فجعل علي يسخن يده ويكمد بها خاصرة أبي بكر فنزلت هذه الآية فيهم . و في رواية له عـنه أيضـاً قلت لأبي جعفر وسألته عن أبي بكر وعمر فقال من شك فيهما فقد شك في السنة ثم ذكر أنه كان بين تلك القبائل شحناء فلما أسلموا تحابوا ونزع ا ذلك من قلوبهم حتى إن أبا بكر لما اشتكى خاصرته سخن علي يده وضمده بها فنزلت فيه الآيـة . و أخـرجه أيضـاً عن علي أن هذه الآية نزلت في هذه البطون الثلاثة تيم وعدي وبني هاشم وقال منهم أنا وأبو بكر وعمـر . و أخـرج أيضـاً عن أبي جعفر الباقر أنه قيل له هل كان أحد من أهل البيت يسب أبا بكر وعمر قال معاذ ا بل يتولونهما ويستغفرون لهما ويترحمون عليهما . و اخرج عن أبي جعفر أيضاً عن أبيه علي بن الحسين رضي ا عنهم أنه قال لجماعـة خاضـوا في أبي بكر وعمر ثم في عثمان ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من ا ورضواناً وينصرون ا ورسوله أولئك هم الصادقون فقالوا لا . قال فأنتم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون قالوا لا قال أما أنتم فقد برئتم أن تكونوا في أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال ا عـز وجـل فيهم (و الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) . و أخرج أيضاً عن فضيل بن مرزوق سمعت إبراهيم بن الحسن بن الحسن أخا عبد ا بن الحسن يقول وا قد مرقت علينا الرافضة كما مرقت الحرورية على علي رضي ا عنه . و أخرج عنه أيضاً قال سمعت حسـن بـن حسن يقول لرجل من الرافضة وا لئن أمكن ا منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا نقبل منكم توبة . و أخرج أيضاً عن محمد بن حاطب قال ذكر عثمان عند الحسن والحسين رضي ا عنهم فقالا هذا أمير المؤمنين أي علي آتيكم الآن به يخبركم عنه إذ جاء علي قال الرواي ما أدري أسمعهم يذكرون عثمان أو سألوه عنه فقال عثمان من الذين اتقوا وآمنوا ثـم مـن الذين اتقوا وأحسنوا وا يحب المحسنين . و أخرج عنه أيضاً من طرق قال دخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين

إني أردت الحجاز وإن الناس يسألوني فما تقول في قتل عثمان وكان متكئاً فجلس وقال يا ابن حاطب وا إني لأرجو أن أكون أنا وهو كما قال ا تعالى (و نزعنا ما في صدورهم من غل) الآية . و أخرج أيضاً عن سالم بن أبي الجعد قال كنت جالساً عند محمد ابن الحنفية فذكروا عثمان فنهانا محمد وقال كفوا عنه فغدونا يوماً آخر فنلنا منه أكثر ما كان قبل فقال ألم أنهكم عن هـذا الـرجل قال وابن عباس جالس عنده فقال يا ابن عباس تذكر عشية الجمل وأنا عن يمين علي وفي يده الراية وأنت عن يساره إذ سمع هدة في المربد فأرسل رسولا فجاء الرسول فقال هذه عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد فرفع علي يديه حتى بلغ بهما وجهه مرتين أو ثلاثاً وقال وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم ا في السهل والجبل قال فصدقه ابن عباس ثم أقبل علينا فقال في وفـي هـذا لكم شاهدا عدل . و أخرج أيضاً عن مروان بن الحكم أنه قال ما كان أحد أدفع عن عثمان من علي فقيل له ما لكم تسـبونه علـى المـنابر قال إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك . و أخرج أيضاً عن الحسين بن محمد ابن الحنفية أنه قال يا أهل الكوفة اتقوا ا عز وجل ولا تقولوا لأبي بكر وعمر ما ليسا له بأهل إن أبا بكر الصديق رضي ا عنه كان مع رسول ا في الغـار ثاني اثنين وإن عمر أعز ا به الدين . و أخرج أيضاً عن جندب الأسدي أن محمد بن عبد ا بن الحسن أتاه قوم من أهل الكوفة والجزيرة فسألوه عن أبي بكر وعمر فالتفت إلي فقال انظر إلى أهل بلادك يسألوني عن أبي بكر وعمر لهما عندي أفضـل من علي . و أخرج أيضاً عن عبد ا بن الحسن أنه قال وا لا يقبل ا عز وجل توبة عبد تبرأ من أبي بكر وعمر وإنهمـا ليعرضان على قلبي فأدعو ا عز وجل لهما أتقرب به إلى ا عز وجل . و أخرج أيضاً عن فضيل بن مرزوق أنه قـال قلـت لعمر بن علي بن الحسن بن علي رضي ا عنهم أفيكم إمام تفترض طاعته تعرفون ذلك له من لم يعرف ذلك له فمات مات ميتة جاهلية فقال لا وا ما ذاك فينا من قال هذا فهو كاذب فقلت إنهم يقولون إن هذه المنزلة كانت لعلي إن رسول ا أوصـى إليه ثم كانت للحسن إن علياً أوصى إليه ثم كانت للحسين بن علي إن الحسن أوصى إليه ثم كانت لعلي بن الحسين إن الحسـين أوصـى إليه ثم كانت لمحمد بن علي أي الباقر أخي عمر المذكور إن علي بن الحسين أوصى إليه فقال عمر بن علـي بن الحسين فوا ما أوصى أبي بحرفين اثنين فقاتلهم ا لو أن رجلاً وصى في ماله وولده وما يترك بعده ويلهم ما هذا مـن الديـن وا ما هؤلاء إلا متأكلين بنا . و أخرج أيضاً عن عبد الجبار الهمداني أن جعفراً الصادق أتاهم وهم يريدون أن يـرتحلوا مـن المدينة فقال إنكم إن شاء ا من صالحي أهل مصر فأبلغوهم عني من زعم أني إمام مفترض الطاعة فأنا منه بـريء ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر فأنا منه بريء . و أخرج أيضاً عنه أنه سئل عنهما فقال أبرأ ممن ذكرهما إلا بخـير فقيل له لعلك تقول ذلك تقية فقال أنا إذاً من المشركين ولا نالتني شفاعة محمد . و أخرج عنه أيضاً أنه قال إن الخبثاء مـن أهل العراق يزعمون أنا نقع في أبي بكر وعمر وهما والداي أي لأن أمه أم فروة بنت القاسم الفقيه بن محمد بن أبي بكر وأمهـا أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ومن ثم سبق قوله ولدني أبو بكر مرتين . و اخرج أيضاً عن أبي جعفر الباقر قال مـن لـم يعـرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنة . قال بعض أئمة أهل البيت صدق وا إنما نشأ من الشيعة والرافضة وغـيرهما ما نشأ من البدع والجهالات من جهلهم بالسنة . و في الطيوريات بسنده إلى جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رجل لعلي بن أبي طالب نسمعك تقول في الخطبة اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم فاغرورقت عيناه فقـال هـم حبيباي أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش المقتدى بهما بعد رسول ا من اقتدى بهما عصم ومـن تـبع آثارهما هدي إلى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب ا المفلحين . فهذه أقاويل المعتبرين من أهل البيـت رواهـا عـنهم الأئمة الحفاظ الذين عليهم المعول في معرفة الأحاديث والآثار وتمييز صحيحها من سقيمها بأسانيدهم المتصلة فكيف يسع المتمسك بحبل أهل البيت ويزعم حبهم أن يعدل عما قالوه من تعظيم أبي بكر وعمر واعتقاد حقية خلافتهما وما كانا عليه وصرحوا بتكذيب من نقل عنهم خلافه ومع ذلك يرى أن ينسب إليهم ما تبرؤا منه ورأوه ذماً في حقهم حتى قال زيـن العابدين علي بن الحسين رضي ا تعالى عنهما أيها الناس أحبونا حب الإسلام فوا ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عـاراً وفي رواية حتى نقصتمونا إلى الناس أي بسبب ما نسبوه إليهم مما هم برءاء منه فلعن ا من كذب على هؤلاء الأئمة ورماهم بالزور والبهتان

الـباب الثالـث في بيان أفضلية أبي بكر على سائر هذه الأمة ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان ا عليهم أجمعين وفي ذكر فضائل أبي بكر الواردة فيه وحده أو مع عمر أو مع الثلاثة أو مع غيرهم وفيه فصول

/ الفصـل الأول فـي ذكـر أفضليتهم على هذا الترتيب وفي تصريح علي بأفضلية الشيخين على سائر الأمة وفي بطلان ما زعمه الرافضة والشيعة من أن ذلك منه قهر وتقية / . اعلم أن الذي أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الأمة أن أفضل هذه الأمة أبـو بكـر الصديق ثم عمر ثم اختلفوا فالأكثرون ومنهم الشافعي وأحمد وهو المشهور عن مالك أن الأفضل بعدهما عثمان ثم علـي رضـي ا عنهم وجزم الكوفيون ومنهم سفيان الثوري بتفضيل علي على عثمان وقيل بالوقف عن التفاضل بينهما وهو رواية عن مالك فقد حكى أبو عبد ا المازري عن المدونة أن مالكاً رحمه ا سئل أي الناس أفضل بعد نبيهم فقال أبو بكر ثم عمـر ثـم قال أوفي ذلك شك فقيل له وعلي وعثمان فقال ما أدركت أحداً ممن أقتدي به يفضل أحدهما على الآخر انتهى . و قولـه رضي ا عنه أوفي ذلك شك يريد ما يأتي عن الأشعري أن تفضيل أبي بكر ثم عمر على بقية الأمة قطعي وتوقفه هذا رجع عنه فقد حكى القاضي عياض عنه أنه رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان قال القرطبي وهو الأصح إن شاء ا تعالى . و مـال إلى التوقف إمام الحرمين فقال وتتعارض الظنون في عثمان وعلي ونقله ابن عبد البر عن جماعة من السلف من أهل السـنة مـنهم مالك ويحيى القطان ويحيى بن معين قال ابن معين ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضـله فهـو صـاحب سنة . و لا شك أن من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم وزعم ابن عبد البر أن حديـث الاقتصار على الثلاثة أبي بكر وعمرو وعثمان مخالف لقول أهل السنة إن علياً أفضل الناس بعد الثلاثة مردود بأنه لا يلـزم من سكوتهم إذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله . و أما حكاية أبي منصور البغدادي الإجماع على أفضلية عثمان على علي فمدخولـة وإن نقل ذلك عن بعض الحفاظ وسكت عليه لما بيناه من الخلاف . ثم الذي مال إليه أبو الحسن الأشعري إمام أهل السـنة أن تفضـيل أبـي بكر على من بعده قطعي وخالفه القاضي أبو بكر الباقلاني فقال إنه ظني واختاره إمام الحرمين في الإرشاد وبه جزم صاحب المفهم في شرح مسلم ويؤيده قول ابن عبد البر في الاستيعاب ذكر عبد الرزاق عن معمر قال لو أن رجـلاً قـال عمـر أفضل من أبي بكر ما عنفته وكذلك لو قال علي عندي أفضل من أبي بكر وعمر لم أعنفه إذا ذكر فضل الشيخين وأحبهما وأثنى عليهما بما هما أهله فذكرت ذلك لوكيع فأعجبه أه واشتهاه . و ليس ملحظ عدم تعنيف قائل ذلك إلا أن التفضـيل المذكور ظني لا قطعي ويؤيده أيضاً ما حكاه الخطابي عن بعض مشايخه أنه كان يقول أبو بكر خير وعلي أفضل . لكـن قال بعضهم إن هذا تهافت من القول أي أنه لا معنى للخيرية إلا الأفضلية فإن أريد أن خيرية أبي بكر من بعض الوجوه وأفضـلية علـي مـن وجه آخر لم يكن ذلك من محل الخلاف ولم يكن الأمر في ذلك خاصاً بأبي بكر وعلي بل أبو بكر وأبو عبيدة مثلاً يقال فيهما ذلك فإن الأمانة التي في أبي عبيدة وخصه بها رسول ا لم يخص أبا بكر بمثلها فكان خيراً من أبي بكر من هذا الوجه والحاصل أن المفضول قد توجد فيه مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل فإن أراد شيخ الخطابي ذلك وأن أبا بكر أفضل مطلقاً إلا أن علياً وجدت فيه مزايا لم توجد في أبي بكر فكلامه صحيح وإلا فكلامه في غاية التهافت خلافاً لمن انتصر لـه ووجهه بما لا يجدي بل لا يفهم . فإن قلت ينافي ما قدمته من الإجماع على أفضلية أبي بكر قول ابن عبد البر إن السلف اخـتلفوا فـي تفضيل أبي بكر وعلي رضي ا عنهما وقوله أيضاً قبل ذلك روي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وجابر وأبـي سـعيد الخدري وزيد ابن أرقم أن علياً أول من أسلم وفضله هؤلاء على غيره أه . قلت أما ما حكاه أولاً من أن السلف اخـتلفوا فـي تفضيلهما فهو شيء غريب انفرد به عن غيره ممن هو أجل منه حفظاً واطلاعاً فلا يعول عليه فكيف والحاكي لإجمـاع الصحابة والتابعين على تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على سائر الصحابة جماعة من أكابر الأئمة منهم الشافعي رضي ا تعالى عنه كما حكاه عنه البيهقي وغيره وأن من اختلف منهم إنما اختلف في علي وعثمان وعلى التنزل في أنه حفظ مـا لـم يحفظ غيره فيجاب عنه بأن الأئمة إنما أعرضوا عن هذه المقالة لشذوذها ذهاباً إلى أن شذوذ المخالف لا يقدح فيه أو رأوا أنها حادثة بعد انعقاد الإجماع فكانت في حيز الطرح والرد على أن المفهوم من كلام ابن عبد البر أن الإجماع استقر على تفضـيل الشـيخين على الختنين . و أما ما وقع في طبقات ابن السبكي الكبرى عن بعض المتأخرين من تفضيل الحسنين من

حيث إنهما بضعة فلا ينافي ذلك لما قدمناه من أن المفضول قد توجد فيه مزية ليست في الفاضل على أن هذا تفضيل لا يرجع لكـثرة الـثواب بل لمزيد شرف ففي ذات أولاده من الشرف ما ليس في ذات الشيخين ولكنهما أكثر ثواباً وأعظم نفعاً للإسلام والمسلمين وأخشى وأتقى ممن عداهما من أولاده فضلاً عن غيرهم وأما ما حكاه أعني ابن عبد البر ثانياً عن أولئك الجماعة فـلا يقتضي أنهم قائلون بأفضلية علي على أبي بكر مطلقاً بل إما من حيث تقدمه عليه إسلاماً بناء على القول بذلك أو مرادهم بتفضيل علي على غيره ما عدا الشيخين وعثمان لقيام الأدلة الصريحة الصحيحة على أفضلية هؤلاء عليه . فإن قلت ما مستند إجماعهم على ذلك . قلت الإجماع حجة على كل أحد وإن لم يعرف مستنده لأن ا عصم هذه الأمة من أن تجتمع على ضلالة ويـدل لذلك بل يصرح به قوله تعالى (و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) النساء ١١٥ وقـد أجمعـوا أيضـاً علـى استحقاقهم الخلافة على هذا الترتيب لكن هذا قطعي كما مر بأدلته مبسوطاً . فإن قلت لم لم يكن التفضيل بينهم على هذا الترتيب قطعياً أيضاً حتى عند غير الأشعري للإجماع عليه قلت أما بين عثمان وعلي فواضح للخلاف فـيه كمـا تقدم وأما بين أبي بكر ثم عمر ثم غيرهما فهو وإن أجمعوا عليه إلا أن في كون الإجماع حجة قطعية خلاف فالذي عليه الأكثرون أنه حجة قطعية مطلقاً فيقدم على الأدلة كلها ولا يعارضه دليل أصلاً ويكفر أو يبدع ويضلل مخالفه وقال الإمام الرازي والآمدي إنه ظني مطلقاً والحق في ذلك التفضيل فما اتفق عليه المعتبرون حجة قطعية وما اختلفوا كالإجماع السكوتي والإجمـاع الـذي نـدر مخالفه فهو ظني . و قد علمت مما قررته لك أن هذا الإجماع له مخالف نادر فهو وإن لم يعتد به في الإجماع على ما فيه من الخلاف في محله لكنه يورث انحطاطه عن الإجماع الذي لا مخالف له فالأول ظني وهذا قطعي وبهذا يـترجح ما قاله غير الأشعري من أن الإجماع هنا ظني لأنه اللائق بما قررناه من أن الحق عند الأصوليين التفضيل المذكور وكـان الأشـعري من الأكثرين القائلين بأنه قطعي مطلقاً . و مما يؤكد أنه هنا ظني أن المجمعين أنفسهم لم يقطعوا بالأفضلية المذكـورة وإنمـا ظـنوها فقط كما هو المفهوم من عبارات الأئمة وإشاراتهم وسبب ذلك أن المسألة اجتهادية ومن مستنده أن هـؤلاء الأربعة اختارهم ا لخلافة نبيه وإقامة دينه فكان الظاهر أن منزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة وأيضاً ورد في أبـي بكـر وغيره كعلي نصوص متعارضة يأتي بسطها في الفضائل وهي لا تفيد القطع لأنها بأسرها آحاد وظنية الدلالة مع كونها متعارضة أيضاً وليس الاختصاص بكثرة أسباب الثواب موجباً لزيادته المستلزمة للأفضلية قطعاً بل ظناً لأنه تفضل من ا فلـه أن لا يثيب المطيع ويثيب غيره وثبوت الإمامة وإن كان قطعياً لا يفيد القطع بالأفضلية بل غايته الظن كيف ولا قاطع على بطلان إمامة المفضول مع وجود الفاضل لكننا وجدنا السلف فضلوهم كذلك وحسن ظننا بهم قاض بأنهم لو لم يطلعوا على دلـيل فـي ذلـك لما أطبقوا عليه فلزمنا اتباعهم فيه وتفويض ما هو الحق فيه إلى ا تعالى . قال الآمدي وقد يراد بالتفضيل اختصـاص أحد الشيخين عن الآخر إما بأصل فضيلة لا وجود لها في الآخر كالعالم والجاهل وإما بزيادة فيها لكونه أعلم مثلاً وذلـك أيضاً غير مقطوع به فيما بين الصحابة إذ ما من فضيلة تبين اختصاصها بواحد منهم إلا ويمكن بيان مشاركة غيره له فـيها و بتقدير عدم المشاركة فقد يمكن بيان اختصاص الآخر بفضيلة أخرى ولا سبيل إلى الترجيح بكثرة الفضائل لاحتمال أن تكـون الفضـيلة الواحدة أرجح من فضائل كثيرة إما لزيادة شرفها في نفسها أو لزيادة كميتها فلا جزم بالأفضلية لهذا المعنى أيضـاً . و أيضـاً فحقيقة الفضل ما هو فضل عند ا وذلك لا يطلع عليه إلا بالوحي وقد ورد الثناء عليهم ولا يتحقق إدراك حقـيقة ذلـك الفضـل عـند عدم دليل قطعي متناً وسنداً إلا المشاهدون لزمن الوحي وأحواله معهم لظهور القرائن الدالة على التفضيل حينئذ بخلاف من لم يشهد ذلك نعم وصل إلينا سمعيات أكدت عندنا الظن بذلك التفضيل على ذلك الترتيب لإفادتها له صـريحاً أو استنباطاً وستأتي مبسوطة في الفضائل . و يؤيد ما مر أنه لا يلزم من الإجماع على الأحقية بالخلافة من علي مع اخـتلافهم فـي أيهما أفضل وقد التبس هذا المقام على بعض من لا فطنة عنده فظن أن من قال من الأصوليين إن أفضلية أبي بكر إنما ثبتت بالظن لا بالقطع يدل على أن خلافته كذلك وليس كما زعم على أنهم كما صرحوا بذلك صرحوا معه بأن خلافته قطعية فكيف حينئذ يتأتى ما ظنه ذلك البعض هذا ولك أن تقول إن أفضلية أبي بكر ثبتت بالقطع حتى عند غير الأشعري أيضاً بـناء علـى معتقد الشيعة والرافضة وذلك لأنه ورد عن علي وهو معصوم عندهم والمعصوم لا يجوز عليه الكذب أن أبا بكر

وعمـر أفضل الأمة . قال الذهبي وقد تواتر ذلك عنه في خلافته وكرسي مملكته وبين الجم الغفير من شيعته ثم بسط الأسانيد الصحيحة في ذلك قال ويقال رواه عن علي نيف وثمانون نفساً وعدد منهم جماعة ثم قال فقبح الله الرافضة ما أجهلهم انتهى . و ممـا يعضد ذلك ما في البخاري عنه أنه قال خير الناس بعد النبي أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما ثم رجل آخر فقال ابنه محمد ابن الحنفية ثم أنت فقال إنما أنا رجل من المسلمين . و صحح الذهبي وغيره طرقاً أخرى عن علي بذلك وفي بعضها ألا وإنه بلغني أن رجالاً يفضلوني عليهما فمن وجدته فضلني عليهما فهو مفتر عليه ما على المفتري ألا ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبـت ألا وإنـي أكـره العقوبة قبل التقدم . و أخرج الدارقطني عنه لا أجد أحداً فضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري . و صح عن مالك عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر أن علياً رضي الله عنه وقف على عمر بن الخطاب وهو مسجى وقال ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أحداً أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى وفي رواية صحيحة أنه قال له وهـو مسجى صلى الله عليك ودعا له . قال سفيان في رواية قيل للباقر أليست الصلاة على غير الأنبياء منهياً عنها فقال هكذا سـمعت وعلـيه فـيوجه باحتمال أن علياً قائل بعدم الكراهة عملاً بقوله (اللهم صل على آل أبي أوفى) . و أخرج أبو بكر الآجـري عـن أبي جحيفة سمعت علياً على منبر الكوفة يقول إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم خيرهم عمر . و أخرج الحـافظ أبـو ذر الهروي من طرق متنوعة والدارقطني وغيرهما عنه أيضاً دخلت على علي في بيته فقلت يا خير الناس بعد رسـول الله فقـال مهلاً يا أبا جحيفة ألا أخبرك بخير الناس بعد رسول الله أبو بكر وعمر ويحك يا أبا جحيفة لا يجتمع حبي وبغـض أبـي بكر وعمر في قلب مؤمن وأخباره بكونهما خير الأمة ثبتت عنه من رواية ابنه محمد بن الحنفية وجاء عنه من طـرق كثيرة بحيث يجزم من تتبعها بصدور هذا القول من علي والرافضة ونحوهم لما لم يكن يمكنهم إنكار صدور هذا القول مـنه لظهـوره عنه بحيث لا ينكره إلا جاهل بالآثار أو مباهت قالوا إنما قال علي ذلك تقية ومر أن ذلك كذب وافتراء وسيأتي أيضـاً وأحسـن ما يقال في هذا المحل ألا لعنة الله على الكاذبين . و أخرج الدارقطني أن أبا جحيفة كان يرى أن علياً أفضل الأمة فسمع أقواماً يخالفونه فحزن حزناً شديداً فقال له علي بعد أن أخذ بيده وأدخله بيته ما أحزنك يا أبا جحيفة فذكر له الخبر فقـال ألا أخـبرك بخـير هـذه الأمة خيرها أبو بكر ثم عمر قال أبو جحيفة فأعطيت الله عهداً أن لا أكتم هذا الحديث بعد أن شافهني به علي ما بقيت . و قول الشيعة والرافضة ونحوهما إنما ذكر علي ذلك تقية كذب وافتراء على الله إذ كيف يتوهم ذلك مـن له أدنـى عقل أو فهم مع ذكره له في الخلاء في مدة خلافته لأنه قاله على منبر الكوفة وهو لم يدخلها إلا بعد فراغه من حـرب أهـل البصرة وذلك أقوى ما كان أمراً وأنفذ حكماً وذلك بعد مدة مديدة من موت أبي بكر وعمر . قال بعض أئمة أهل البيـت النـبوي بعـد أن ذكر ذلك فكيف يتعقل وقوع مثل هذه التقية المشؤومة التي أفسدوا بها عقائد أكثر أهل البيت النبوي لإظهـارهم لهـم كمـال المحبة والتعظيم فمالوا إلى تقليدهم حتى قال بعضهم أعز الأشياء في الدنيا شريف سني فلقد عظمت مصـيبة أهـل البيت بهؤلاء وعظم عليهم أولاً وآخراً انتهى . و ما أحسن ما أبطل به الباقر هذه التقية المشؤومة لما سئل عن الشـيخين فقـال إني أتولاهما فقيل له إنهم يزعمون أن ذلك تقية فقال إنما يخاف الأحياء ولا يخاف الأموات فعل الله بهشام بن عـبد الملك كذا وكذا أخرجه الدارقطني وغيره فانظر ما أبين هذا الاحتجاج وأوضحه من مثل هذا الإمام العظيم المجمع على جلالـته وفضله بل أولئك الأشقياء يدعون فيه العصمة فيكون ما قاله واجب الصدق ومع ذلك فقد صرح لهم ببطلان تلك التقية المشؤومة عليهم واستدل لهم على ذلك بأن اتقاء الشيخين بعد موتهما لا وجه له إذ لا سطوة لهما حينئذ ثم بين لهم بدعائه على هشـام الذي هو والي زمنه وشوكته قائمة أنه إذا لم يتقه مع أنه يخاف يخشى لسطوته وملكه وقوته وقهره فكيف مع ذلك يتقي الأمـوات الذين لا شوكة لهم ولا سطوة وإذا كان هذا حال الباقر فما ظنك بعلي الذي لا نسبة بينه وبين الباقر في إقدامه وقوته وشـجاعته وشـدة بأسـه وكـثرة عدته وعدده وأنه لا يخاف في الله لومة لائم ومع ذلك فقد صح عنه بل تواتر كما مر مدح الشـيخين والثناء عليهما وأنهما خير الأمة ومر أيضاً الأثر الصحيح عن مالك عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر أن علياً وقف على عمر وهو مسجى بثوبه وقال ما سبق فما أحوج علياً أن يقول ذلك تقية وما أحوج الباقر أن يرويه لابنه الصادق تقية وما أحـوج الصـادق أن يرويه لمالك تقية فتأمل كيف يسع العاقل أن يترك مثل هذا الإسناد الصحيح ويحمله على التقية لشيء لم

يصـح وإنمـا هـو من جهالاتهم وغباواتهم وكذبهم وحمقهم وما أحسن ما سلكه بعض الشيعة المنصفين كعبد الرزاق فإنه قال أفضـل الشـيخين بتفضيل علي إياهما على نفسه وإلا لما فضلتهما كفى بي وزراً أن أحبه ثم أخالفه . و مما يكذبهم في دعوى تلـك التقية المشؤومة عليهم ما أخرجه الدارقطني أن أبا سفيان بن حرب رضي ا عنه قال لعلي بأعلى صوته لما بايع الناس أبا بكر رضي ا عنه يا علي غلبكم على هذا الأمر أذل بيت في قريش أما وا لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً إن شئت فقال علي رضـي ا عـنه يا عدو الإسلام وأهله فما أضر ذلك للإسلام وأهله فعلم بطلان ما زعموه وافتروه من أن علياً إنما بايع تقية وقهراً ولو كان لما زعموه من ذلك أدنى صحة لنقل واشتهر عن علي إذ لا داعي لكتمه بل أخرج الدارقطني وروى معناه من طـرق كثيرة عن علي أنه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو عهد إلي رسول ا عهداً لجاهدت عليه ولو لم أجد إلا ردائي ولم أترك ابن أبي قحافة يصعد درجة واحدة من منبره ولكنه رأى موضعي وموضعه فقال له قم فصل بالناس وتركني فرضينا بـه لدنـيانا كما رضي به رسول ا لديننا ومر لذلك مزيد بيان في خامس الأجوبة عن خبر من كنت مولاه فعلي مولاه وفي الـباب الثاني وفي غيرهما فراجع ذلك كله فإنه مهم . و مما يلزم من المفاسد والمساوئ والقبائح العظيمة على ما زعموه من نسـبة علي إلى التقية أنه كان جباناً ذليلاً مقهوراً أعاذه ا من ذلك وحروبه للبغاة لما صارت الخلافة له ومباشرته ذلك بنفسه ومـبارزته للألوف من الأمور المستفيضة التي تقطع بكذب ما نسبه إليه أولئك الحمقى والغلاة إذ كانت الشوكة من البغاة قوية جـداً ولا شك أن بني أمية كانوا أعظم قبائل قريش شوكة وكثرة جاهلية وإسلاماً وقد كان أبو سفيان بن حرب رضي ا عنه هو قائد المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب وغيرهما وقد قال لعلي لما بويع أبو بكر ما مر آنفاً فرد عليه ذلك الرد الفاحش . و أيضـاً فبـنو تيم ثم بنو عدي قوما الشيخين من أضعف قبائل قريش فسكوت علي لهما مع أنهما كما ذكر وقيامه بالسيف على المخالفيـن لما انعقدت البيعة له مع قوة شكيمتهم أوضح دليل على أنه كان دائراً مع الحق حيث دار وأنه من الشجاعة بالمحل الأسـنى وأنـه لو كان معه وصية من رسول ا في أمر القيام على الناس لأنفذ وصية رسول ا ولو كان السيف على رأسه مسـلطاً لا يـرتاب في ذلك إلا من اعتقد فيه رضي ا عنه ما هو بريء منه . و مما يلزمهم أيضاً على تلك التقية المشؤومة علـيهم أنـه رضي ا عنه لا يعتمد على قوله قط لأنه حيث لم يزل في اضطراب من أمره فكل ما قاله يحتمل أنه خالف فيه الحـق خوفاً وتقية ذكره شيخ الإسلام الغزالي قال غيره بل يلزمهم ما هو أشنع من ذلك واقبح كقولهم إن النبي لم يعين الإمامة إلا لعلي فمنع من ذلك فقال مروا أبا بكر تقية فيتطرق احتمال ذلك إلى كل ما جاء عنه ولا يفيد حينئذ إثبات العصمة شيئاً . و أيضـاً فقد استفاض عن علي رضي ا عنه أنه كان لا يبالي بأحد حتى قيل للشافعي رضي ا عنه ما نفر الناس عن علي إلا أنه كان لا يبالي بأحد فقال الشافعي إنه كان زاهداً والزاهد لا يبالي بالدنيا وأهلها وكان عالماً والعالم لا يبالي بأحد وكان شجاعاً والشجاع لا يبالي بأحد وكان شريفاً والشريف لا يبالي بأحد أخرجه البيهقي . و على تقدير أنه قال ذلك تقية فقد انتفى مقتضيها بولايـته وقد مرعنه من مدح الشيخين فيها وفي الخلوة وعلى منبر الخلافة مع غاية القوة والمنعة ما تلي عليك قريباً فلا تغفل عنه . و أخرج أبو ذر الهروي والدارقطني من طرق أن بعضهم مر بنفر يسبون الشيخين فأخبر علياً وقال لولا أنهم يرون أنك تضـمر ما أعلنوا ما اجترءوا على ذلك فقال علي أعوذ با رحمهما ا ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر وأدخله المسجد فصعد المنـبر ثـم قـبض على لحيته وهي بيضاء فجعلت دموعه تتحادر على لحيته وجعل ينظر البقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب خطـبة بلـيغة من جملتها ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول ا ووزيريه وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين وأنا مما يذكـرون بـريء وعليه معاقب صحبا رسول ا بالجد والوفاء والجد في أمر ا يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان لا يرى رسـول ا كرأيهما رأياً ولا يحب كحبهما حباً لما يرى من عزمهما في أمر ا فقبض وهو عنهما راض والمسلمون راضون فمـا تجاوزا في أمرهما وسيرتهما رأي رسول ا وأمره في حياته وبعد موته فقبضا على ذلك رحمهما ا فوالذي فلق الحبة وبـرأ النسـمة لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ولا يبغضهما ويخالفهما إلا شقي مارق حبهما قربة وبغضهما مروق . ثم ذكر أمر النبـي لأبـي بكر بالصلاة وهو يرى مكان علي ثم ذكر أنه بايع أبا بكر ثم ذكر استخلاف أبي بكر لعمر ثم قال ألا ولا يبلغني عـن أحد أنه يبغضهما إلا جلدته حد المفتري . و في رواية وما اجترؤا على ذلك أي سب الشيخين إلا وهم يرون أنك موافق

لهـم منهم عبد ا بن سبأ وكان أول من أظهر ذلك فقال علي معاذ ا أن أضمر لهما ذلك لعن ا من أضمر لهما إلا الحسن الجميل وسترى ذلك إن شاء ا تعالى ثم أرسل إلى ابن سبأ فسيره إلى المدائن وقال لا يساكني في بلدة أبداً . قال الأئمة وكان ابـن سـبأ هـذا يهودياً فأظهر الإسلام وكان كبير طائفة من الروافض وهم الذين أخرجهم علي رضي ا عنه لما ادعوا فيه الألوهـية . و أخرج الدارقطني من طرق أن علياً بلغه أن رجلاً يعيب أبا بكر وعمر فأحضره وعرض له بعيبهما لعله يعترف ففطـن فقال له أما والذي بعث محمداً بالحق أن لو سمعت منك الذي بلغني أو الذي نبئت عنك وثبت عليك ببينته لأفعلن بك كذا وكـذا . إذا تقـرر ذلك فاللائق بأهل البيت النبوي اتباع سلفهم في ذلك والإعراض مما يدسه إليهم الرافضة وغلاة الشيعة من قـبائح الجهل والغباوة والعناد فالحذر الحذر عما يلقونه إليهم أن كل من اعتقد تفضيل أبي بكر على علي رضي ا عنهما كان كافـراً لأن مـرادهم بذلـك أن يقرروا عندهم تكفير الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين وعلماء الشريعة وعوامهم وأنه لا مؤمن غيرهم وهذا مؤد إلى هدم قواعد الشريعة من اصلها وإلغاء العمل بكتب السنة وما جاء عن النبي وعن صـحابته وأهـل بيته إذ الراوي لجميع آثارهم وأخبارهم وللأحاديث بأسرها بل والناقل للقرآن في كل عصر من عصر النبي وإلـى هلـم هم الصحابة والتابعون وعلماء الدين إذ ليس لنحو الرافضة رواية ولا دراية يدرون بها فروع الشريعة وإنما غاية أمـرهم أن يقـع في خلال بعض الأسانيد من هو رافضي أو نحوه والكلام في قبولهم معروف عند أئمة الأثر ونقاد السنة فإذا قدحـوا فيهم قدحوا في القرآن والسنة وأبطلوا الشريعة رأساً وصار الأمر كما في زمن الجاهلية الجهلاء فلعنة ا وأليم عقابه وعظـائم نقمـته على من يفتري على ا وعلى نبيه بما يؤدي إلى إبطال ملته وهدم شريعته وكيف يسع العاقل أن يعتقد كفر السواد الأعظم من أمة محمد مع إقرارهم بالشهادتين وقبلولهم لشريعة نبيهم محمد من غير موجب للتكفير وهب أن علياً أفضل مـن ابي بكر رضي ا عنهما في نفس الأمر أليس القائلون بأفضلية أب بكر معذورين لأنهم إنما قالوا بذلك لأدلة صرحت به هـم مجـتهدون والمجـتهد إذا أخطـأ له أجر فكيف يقال حينئذ بالتكفير وهو لا يكون إلا بإنكار مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة عناداً كالصوم والصلاة وأما ما يفتقر إلى نظر واستدلال فلا كفر بإنكاره وإن أجمع عليه على ما فيه من الخلاف . و انظـر إلـى إنصافنا معشر أهل السنة والجماعة الذين طهرنا ا من الرذائل والجهالات والعناد والتعصب والحمق والغباوة فإننا لم نكفر القائلين بأفضلية علي على أبي بكر وإن كان ذلك عندنا خلاف ما أجمعنا عليه في كل عصر منا إلى النبي على ما مـر أول هذا الباب بل أقمنا لهم العذر المانع من التكفير ومن كفر الرافضة من الأمة فلأمور أخرى من قبائحهم انضمت إلى ذلـك فالحذر الحذر من اعتقاد كفر من قلبه مملوء بالإيمان بغير مقتض تقليداً للجهال الضالة الغالية وتأمل ما صح وثبت عن علـي وأهل بيته من تصريحهم بتفضيل الشيخين على علي فإن هؤلاء الحمقى وإن حملوه على التقية الباطلة المشؤومة عليهم فلا أقل من أن يكون عذراً لأهل السنة في اتباعهم لعلي وأهل بيته فيجتنب اعتقاد الكفر فيهم فإنهم لم يشقوا عن قلب علي حتى يعلموا أن ذلك تقية بل قرائن أحواله وما كان عليه من عظيم الشجاعة والإقدام وأنه لا يهاب أحداً ولا يخشى في ا لومة لائم قاطعة بعدم التقية فلا أقل أن يجعلوا ذلك منهم شبهة لأهل السنة مانعة من اعتقادهم كفرهم سبحانك هذا بهتان عظيم / خاتمة / سـئل شـيخ الإسلام محقق عصره أبو زرعة الولي العراقي رحمه ا عمن اعتقد في الخلفاء الأربعة الأفضلية على الترتيب المعلـوم ولكنه يحب أحدهم أكثر هل يأثم . فأجاب بأن المحبة قد تكون لأمر ديني وقد تكون لأمر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية فمن كان افضل كانت محبتنا الدينية له أكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم أنه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كـان تناقضـاً نعم إن أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوي كقرابة وإحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه أحب علياً أكثر من أبي بكر مثلاً فإن كانـت المحـبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك إذ المحبة الدينية لازمة للأفضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكـر إلا بلسـانه وأما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبي بكر وهذا لا يجوز وإن كانت المحبة المذكـورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والصحيح الامتناع لما تقدم من قول علي رضي ا عنه لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر في قلب مؤمن يعرف ضعف ذلك عقلاً ونقلاً وأهل البيت مطهرون مبرؤون لا

يصـدر عـنهم إلا المحبة والمودة انتهى / الفصل الثاني في ذكر فضائل أبي بكر الواردة فيه وحده وفيها آيات وأحاديث / أما الآيـات . فـالأولى قوله تعالى (و سيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عند من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلـى ولسـوف يرضى) الليل ٢١- ١٧قال ابن الجوزي أجمعوا أنها نزلت في أبي بكر ففيها التصريح بأنه أتقى من سائر الأمـة والأتقى هو الأكرم عند ا لقوله تعالى (إن أكرمكم عند ا أتقاكم) والأكرم عند ا هو الأفضل فنتج أنه افضل من بقية الأمة ولا يمكن حملها على علي خلافاً لما افتراه بعض الجهلة لأن قوله (و ما لأحد عنده من نعمة تجزى) يصرفه عن حملـه على علي لأن النبي رباه فله عليه نعمة أي نعمة تجزى وإذا خرج علي تعين أبو بكر للإجماع على أن ذاك الأتقى هو أحدهمـا لا غـير . و أخرج ابن أبي حاتم والطبراني أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب في ا فأنزل ا قوله (و سيجنبها الأتقى) إلى آخر السورة الآية الثانية قوله تعالى (و الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى) . اخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أن أبا بكر اشترى بلالاً من أمية بن خلف وأبي بن خلف ببردة وعشرة أواق فأعتقه فأنزل ا هذه الآية أي إن سعي أبي بكر وأمية وأبي لمفترق فرقاناً عظيماً فشتان ما بينهما . الآية الثالثة قوله (ثاني اثنين إذ همـا في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن ا معنا فأنزل ا سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) . أجمع المسلمون على أن المـراد بالصاحب هنا أبو بكر ومن ثم من أنكر صحبته كفر إجماعاً . و أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن الضمير في (فأنـزل ا سكينته عليه) لأبي بكر أي ولا ينافيه وأيده بجنود إرجاعاً للضمير في كل إلى ما يليق به جلالة ابن عباس قاضية بأنـه لـولا علـم في ذلك نصاً لما حمل الآية عليه مع مخالفة ظاهرها له . الآية الرابعة قوله تعالى (و الذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) . أخرج البزار وابن عساكر أن علياً رضي ا عنه قال في تفسيرها الذي جاء بالحق هو محمد والذي صدق به أبو بكر قال ابن عساكر هكذا الرواية بالحق ولعلها قراءة لعلي . الآية الخامسة قوله تعالى (و لمن خاف مقام ربه جنتان) . أخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب أنها نزلت في أبي بكر . الآية السادسة قوله تعالى (وشاورهم في الأمر) . أخـرج الحـاكم عـن ابن عباس أنها نزلت في أبي بكر وعمر ويؤيده الخبر الآتي إن ا أمرني أن أستشير أبا بكر . الآية السـابعة قوـله تعالى (فإن ا هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) . أخرج الطبراني عن ابن عمر وابن عباس رضي ا عنهم أنها نزلت فيهما . الآية الثامنة قوله تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) . أخرج عبد بن حميد عن مجاهد لما نزل (إن ا وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) قال أبو بكـر يا رسول ا ما أنزل ا عليك خيراً إلا أشركنا فيه فنزل (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى الـنور) . الآية التاسعة قوله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شـهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضـاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) . أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي ا عنهما أن ذلك جميعه نزل في أبي بكر . و من تأمل ذلك وجد فيه من عظم المنقبة له والمنة عليه ما لم يوجد نظيره لأحد من الصحابة رضوان ا عليهم . الآية العاشرة قوله تعالى (و نزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) . نزلت في أبي بكر وعمر وعلي رضـي ا عنهم كما مر ذلك عن علي بن الحسين رضي ا عنهما . الآية الحادية عشرة قوله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل مـنكم والسـعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل ا وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر ا لكم وا غفـور رحيم) . نزلت كما في البخاري وغيره عن عائشة في أبي بكر لما حلف أن لا ينفق على مسطح لكونه كان من جملة مـن رمـى عائشة بالإفك الذي تولى ا سبحانه براءتها منه بالآيات التي أنزلها في شأنها ولما نزلت قال أبو بكر بلى وا يا ربـنا إنا لنحب أن تغفر لنا وعاد له بما كان يصنع أي ينفقه عليه . و في رواية للبخاري أيضاً عنها في حديث الإفك الطويل وأنزل ا تعالى (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) العشر الآيات كلها فلما أنزل ا هذا في براءتي قال ابو بكر الصديق رضـي ا عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره وا لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال في عائشة

مـا قـال فأنزل ا (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة) وذكرت الآية السابقة ثم قالت قال أبو بكر بلى وا إني لأحب أن يغفر ا لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال وا لا أنزعها منه أبداً . تنبيه علم من حديث الإفك المشار إليه أن من نسب عائشة إلى الزنا كان كافراً وهو ما صرح به أئمتنا وغيرهم لأن في ذلك تكذيب النصوص القرآنية ومكذبها كافر بإجماع المسلمين وبه يعلم القطع بكفر كثيرين من غلاة الروافض لأنهم ينسبونها إلى ذلك قاتلهم ا أنى يؤفكون . الآية الثانية عشـرة قوله تعالى (إلا تنصروه فقد نصره ا إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين) الآية . أخرج ابن عساكر عن ابن عيينة قال عاتب ا المسلمين كلهم في رسول ا إلا أبا بكر وحده فإنه خرج من المعاتبة ثم قرأ (إلا تنصروه فقد نصره ا) الآية . و أما الأحاديث . فهي كثيرة مشهورة وقد مر في الفصل الثالث من الباب الأول منها جملة إذ الأربعة عشر السابقة ثم الدالة علـى خلافـته وغيرها من رفيع شأنه وقدره غاية في كماله وغرة في فضائله وأفضاله فلذلك بنيت عليها في العد هنا فقلت . الحديـث الخـامس عشر أخرج الشيخان عن عمرو بن العاص رضي ا عنه أنه سأل النبي فقال أي الناس أحب إليك قال (عائشـة) فقلت من الرجال فقال (أبوها) فقلت ثم من فقال (عمر بن الخطاب) فعد رجالاً وفي رواية لست أسألك عن أهلك إنمـا أسـألك عن أصحابك . الحديث السادس عشر أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي ا عنهما كنا في زمن رسـول ا لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي لا نفاضل بينهم . و في رواية له أيضاً كنا نخير بين الناس في زمان رسول ا نخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان . و في رواية لأبي داود كنا نقول ورسول ا حي أفضل أمته بعـده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني فبلغ ذلك رسول ا فلم ينكره . و في البخاري أيضاً عن محمد ابن الحنفية قلت لأبـي يعنـي علياً رضي ا عنهما أي الناس خير بعد رسول ا فقال أبو بكر فقلت ثم من قال عمر وخشيت أن يقول عثمان قلـت ثـم أنت قال ما أنا إلا واحد من المسلمين . و أخرج ابن عساكر عن ابن عمر كنا وفينا رسول ا نفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً . و أخرج أيضاً عن أبي هريرة كنا معشر أصحاب رسول ا ونحن متوافرون نقول أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبـو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وأخرج الترمذي عن جابر أن عمر قال لأبي بكر يا خير الناس بعد رسول ا فقال أبو بكر أما أنك لو قلت ذلك فلقد سمعته يقول (ما طلعت الشمس على خير من عمر) ومر أنه تواتر عن علي خير هذه الأمة بعد نبـيها أبـو بكـر وعمـر وأنه قال لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري أخرجه ابن عساكر . و أخرج الـترمذي والحاكم عن عمر قال ابو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول ا وابن عساكر أن عمر صعد المنبر ثم قال ألا إن افضـل هـذه الأمة بعد نبيها أبو بكر فمن قال غير هذا فهو مفتر عليه ما على المفتري . الحديث السابع عشر أخرج عبد بن حمـيد فـي مسـنده وأبو نعيم وغيرهما من طرق عن أبي الدرداء أن رسول ا قال (ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضـل مـن أبي بكر إلا أن يكون نبياً) وفي لفظ ما طلعت الشمس على أحد بعد النبيين والمرسلين افضل من أبي بكر وورد أيضـاً فـي حديث جابر ولفظه ما طلعت الشمس على أحد منكم افضل منه . و أخرجه الطبراني وغيره وله شواهد من وجوه أخـر تقضي له بالصحة أو الحسن وقد أشار ابن كثير إلى الحكم بصحته . الحديث الثامن عشر أخرج الطبراني عن أسعد بن زرارة أن رسـول ا قـال (إن روح القـدس جـبريل أخبرني إن خير أمتك بعدك أبو بكر) . الحديث التاسع عشر أخرج الطبرانـي وابـن عدي عن سلمة بن الأكوع قال قال رسول ا (أبو بكر خير الناس إلا أن يكون نبي) . الحديث العشرون اخـرج عـبد ا بن أحمد في زوائد المسند عن ابن عباس رضي ا عنهما أن رسول ا قال أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر) . الحديث الحادي والعشرون أخرج الديلمي عن عائشة أن رسول ا قـال (أبـو بكر مني وأنا منه وأبو بكر أخي في الدنيا والآخرة) . الحديث الثاني والعشرون اخرج أبو داود والحاكم عن أبي هريرة أن النبي قال (أتاني جبريل وأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي فقال أبو بكر وددت أني كنت معك حتى أنظـر إليه فقال أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي) . الحديث الثالث والعشرون أخرج الطبراني عن سمرة أن النبـي قـال (إن أبا بكر يؤول الرؤيا وإن رؤياه الصالحة حظه من النبوة) أي نصيبه من آثار نبوة رسول ا المفاضة عليه لمـزيد صدقه وتخليه لها عن سائر حظوظه وأغراضه وعظيم فنائه عن نفسه وأهله . الحديث الرابع والعشرون أخرج الديلمي

عـن سمرة أن رسول ا قال (أمرت أن أولي الرؤيا أبا بكر) . الحديث الخامس والعشرون أخرج أحمد والبخاري عن ابن عـباس رضي ا عنهما أن رسول ا قال (إنه ليس في الناس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ولو كنـت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام افضل سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر . الحديـث السـادس والعشـرون أخرج الترمذي عن عائشة رضي ا عنها أن النبي قال لأبي بكر (أنت عتيق من النار) . الحديـث السابع والعشرون عن ابن عمر رضي ا عنهما أن النبي قال لأبي بكر (أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغـار) . الحديـث الثامن والعشرون أخرج أبو يعلى في مسنده وابن سعد والحاكم وصححه عن عائشة رضي ا عنها قالت إني لفي بيتي ذات يوم ورسول ا وأصحابه في الفناء والستر بيني وبينهم إذ أقبل أبو بكر فقال النبي (من سره أن ينظر إلى عتـيق مـن النار فلينظر إلى أبي بكر) وإن اسمه الذي سماه أهله عبد ا فغلب عليه اسم عتيق . الحديث التاسع والعشرون أخـرج الحاكم عن عائشة رضي ا عنها أن رسول ا قال لأبي بكر (أيا أبا بكر أنت عتيق ا من النار) فمن يومئذ سمي عتـيقاً . الحديـث الثلاثون أخرج البزار والطبراني /بسند جيد/ عن عبد ا بن الزبير رضي ا عنهما قال كان اسم أبي بكر عـبد ا فقال له النبي (أنت عتيق ا من النار) فسمي عتيقاً . تنبيه يستفاد من هذه الأحاديث ما هو الأصح عند العلماء أن اسم أبي بكر عبد ا وأن لقبه عتيق . الحديث الحادي والثلاثون أخرج الحاكم /بسند جيد/ أن عائشة قالت جاء المشركون إلى أبـي بكـر فقـالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس قال وقال ذلك قالوا نعم فقال لقد صدق إني لأصـدقه بأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق . وورد هذا الحديث أيضاً من حديث أنس وأبي هريرة وأم هانـئ أسـند الأولـين ابن عساكر والثالث الطبراني . الحديث الثاني والثلاثون أخرج سعيد بن منصور في سننه عن أبي وهـب مولـى أبي هريرة قال لما رجع رسول ا ليلة أسري به فكان بذي طوى فقال (يا جبريل إن قومي لا يصدقوني فقال يصـدقك أبو بكر وهو الصديق) ووصله الطبراني في الأوسط عن أبي وهب عن أبي هريرة . و أخرج الحاكم عن النزال بن سـبرة قلنا لعلي يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أبي بكر فقال ذاك امرؤ سماه ا الصديق على لسان محمد لأنه خليفة رسول ا رضـيه لديـنـنا فرضـيناه لدنيانا /إسناده جيد/ وصح عن حكم ابن سعيد سمعت علياً يحاف لأنزل ا اسم أبي بكر من السماء الصـديق . الحديث الثالث والثلاثون أخرج الحاكم عن أنس أن النبي قال ما صحب النبين والمرسلين أجمعين ولا صاحب يس أفضـل مـن أبي بكر . الحديث الرابع والثلاثون أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي ا عنه أن رسول ا قال (ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه ا بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكـر ولـو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا إن صاحبكم أي محمداً خليل ا) . الحديث الخامس والثلاثون اخرج الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة أن النبي قال (من أنفق زوجين في سبيل ا نودي من أبواب الجنة يا عبد ا هـذا خير لك فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهـل الصـيام دعـي مـن باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة قال أبو بكر وهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم) . الحديث السادس والثلاثون أخرج الترمذي عن عائشة رضي ا عنها أن النبي قـال (لا ينبغـي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره) ولهذا الحديث تعلق تام ومناسبة ظاهرة بأحاديث الخلافة الأربعة عشر السابقة . الحديث السابع والثلاثون أخرج الشيخان وأحمد والترمذي عن أبي بكر أن رسول ا قال له في الغار (يا أبا بكر ما ظـنك باثنين ا ثالثهما) . الحديث الثامن والثلاثون اخرج عبدان المروزي وابن قانع عن فهزاذ أن النبي قال (يا أيها الناس احفظوني في أبي بكر فإنه لم يسؤني منذ صحبني) . الحديث الحادي التاسع والثلاثون اخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول ا قال (إذا كان يوم القيامة نادى مناد لا يرفعن أحد من هذه الأمة كتابة قبل أبي بكر) . الحديث الأربعون أخـرج الطبرانـي عن أبي أمامة أن رسول ا قال (إن ا اتخذ لي خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً وإن خليلي أبو بكر) وفيه معارضـته لمـا مـر آنفاً في رابع أحاديث الخلافة إلا أن يحمل ذاك على كمال الخلة وهذا على نوع منها . الحديث الحادي والأربعـون أخـرج الحارث والطبراني وابن شاهين عن معاذ أن النبي قال (إن ا يكره فوق سمائه أن يخطئ أبو بكر في

الأرض) وفـي رواية إن ا يكره أن يخطأ أبو بكر رجاله ثقات . الحديث الثاني والأربعون أخرج الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً (ما أحد عندي أعظم يداً من أبي بكر واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته . الحديث الثالث والأربعون أخرج الطبراني عـن معاذ أن النبي قال (رأيت أني وضعت في كفة وأمتي في كفة فعدلتها ثم وضع أبو بكر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم وضـع عمـر فـي كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم وضع عثمان في كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم رفع الميزان . الحديث الرابع والأربعـون أخـرج مسـلم والنسائي والترمذي وابن ماجة والحاكم والبيهقي أن رسول ا قال (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر) وسـتأتي تتمته . الحديث الخامس والأربعون أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجة والضياء عن سعيد بن زيد أن رسول ا قال (عشـرة فـي الجنة النبي في الجنة وأبو بكر في الجنة) الحديث وستأتي تتمته أيضاً . الحديث السادس والأربعون أخرج أحمد والضـياء عن سعيد بن زيد والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي قال (أبو بكر في الجنة) الحديث وسيأتي بطوله . الحديـث السابع والأربعون أخرج الترمذي عن علي رضي ا عنه أن رسول ا قال (رحم ا أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالاً من ماله وما نفعني مال في الإسلام ما نفعني مال أبي بكر) وقوله (حملني إلى دار الهجرة) قد ينافـيه حديـث الـبخاري أنه لم يأخذ الراحلة من أبي بكر إلا بالثمن إلا أن يجمع بأنه أخذها أولاً بالثمن ثم ابرأ أبو بكر ذمته للحديـث وستأتي تتمته . الحديث الثامن والأربعون أخرج البخاري عن أبي الدرداء قال كنت جالساً عند النبي إذ اقبل أبو بكر فسلم وقال إني كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك فقال (يغفر ا لك يا أبا بكر يغفر ا لك يا أبا بكر يغفر ا لك يا أبا بكر) ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فلم يجده فأتى النبي فسـلم فجعل وجه النبي يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال يا رسول ا أنا كنت أظلم منه أنا كنت أظلم منه فقال النبـي (إن ا بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي فهل أنتم تاركو لي صاحبي) فما أوذي أبو بكر بعدها . و اخرج ابن عدي من حديث ابن عمر رضي ا عنهما نحوه وفيه فقال رسول ا (لا تؤذونـي في صاحبي فإن ا بعثني بالهدى ودين الحق فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت ولولا أن ا سماه صاحباً لاتخذته خليلاً ولكن أخوة الإسلام) . الحديث التاسع والأربعون أخرج ابن عساكر عن المقدام قال استب عقيل ابن أبي طالب وأبو بكر قـال وكان أبو بكر سباباً أو نساباً غير أنه تحرج من قرابة عقيل من النبي فأعرض عنه وشكاه إلى النبي فقام رسول ا عن الناس فقال (ألا تدعون لي صاحبي ما شأنكم وشأنه فوا ما منكم رجل إلا على باب بيته ظلمة إلا باب أبي بكر فإن على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الأموال وجاد لي بماله وخذلتموني وواساني واتبعني) . الحديث الخمسون أخـرج الـبخاري عن ابن عمر قال رسول ا (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر ا إليه يوم القيامة) فقال أبو بكر إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول ا (إنك لست تصنع ذلك خيلاء) . الحديث الحادي والخمسون أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي ا عنه قال قال رسول ا (من أصبح منكم اليوم صائماً قال أبو بكر أنا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة قـال أبو بكر أنا قال فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً قال أبو بكر أنا قال فمن عاد منكم اليوم مريضاً قال أبو بكر أنا فقال رسول ا ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة) وفي رواية عن أنس وجبت لك الجنة الحديث الثاني والخمسون اخرج البزار عن عبد الرحمـن بن ابي بكر رضي ا عنهما قال صلى رسول ا صلاة الصبح ثم اقبل على أصحابه بوجهه فقال (من أصبح منكم اليوم صائماً فقال عمر يا رسول ا لم أحدث نفسي بالصوم البارحة فأصبحت مفطراً فقال أبو بكر ولكن حدثت نفسي بالصوم الـبارحة فأصبحت صائماً فقال هل منكم أحد اليوم عاد مريضاً فقال عمر يا رسول ا لم نبرح فكيف نعود المريض فقال أبو بكـر بلغني أن أخي عبد الرحمن بن عوف شاك فجعلت طريقي عليه لأنظر كيف أصبح فقال هل منكم من أطعم اليوم مسكيناً فقـال عمـر صـلينا يـا رسول ا لم نبرح فقال أبو بكر دخلت المسجد فإذا سائل فوجدت كسرة من خبز الشعير في يد عبد الرحمـن فأخذتهـا فدفعتها إليه فقال أنت فأبشر بالجنة ثم قال كلمة أرضى بها عمر زعم أنه لم يرد خيراً قط إلا سبقه إليه أبو بكـر كـذا لفظ هذا الحديث في النسخة التي رايتها وفيه ما يحتاج إلى التأمل . و اخرج أبو يعلى عن ابن مسعود قال كنت في المسجد أصلي فدخل رسول ا ومعه أبو بكر وعمر فوجدني أدعو فقال (سل تعطه) ثم قال (من أراد أن يقرأ القرآن غضاً

طرياً فليقرأ بقراءة ابن أم عبد) فرجعت إلى منزلي فأتاني أبو بكر فبشرني ثم أتاني عمر فوجد أبا بكر خارجاً قد سبقه فقال (إنـك لسـباق بالخير) . الحديث الثالث والخمسون أخرج أحمد /بسند حسن/ عن ربيعة الأسلمي قال جرى بيني وبين أبي بكر كـلام فقـال لـي كلمة كرهتها وندم فقال لي يا ربيعة رد علي مثلها حتى يكون قصاصاً فقلت لا افعل فقال أبو بكر لتقولن أو لأسـتعدين عليك رسول ا قلت ما أنا بفاعل فانطلق أبو بكر إلى النبي فانطلقت أتلوه وجاء الناس من اسلم فقالوا رحم ا أبا بكر أي شيء يستعدي عليك وهو الذي قال لك ما قال فقلت أتدرون من هذا هذا أبو بكر هذا ثاني اثنين وهذا ذو شيبة المسلمين إيـاكم لا يلتفت فيراكم تنصرونني عليه فيغضب فيأتي رسول ا فيغضب لغضبه فيغضب ا لغضبهما فيهلك ربيعة قالوا فما تأمرنا قلت ارجعوا وانطلق أبو بكر وتبعته وحدي حتى أتى رسول ا فحدثه الحديث كما كان فرفع إلي رأسه فقال (يا ربيعة مـا لـك والصـديق) فقلت يا رسول ا كان كذا وكذا فقال لي كلمة كرهتها فقال لي قل لي كما قلت لك حتى يكون قصاصاً فأبيـت فقـال رسـول ا (أجل لا ترد عليه ولكن قل غفر ا لك يا أبا بكر) فقلت غفر ا لك يا أبا بكر . الحديث الرابع والخمسون أخرج الترمذي عن ابن عمر وحسنه أن رسول ا قال لأبي بكر (أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار ومؤنسـي فـي الغار) . الحديث الخامس والخمسون أخرج البيهقي عن حذيفة قال قال رسول ا (إن في الجنة طيراً كأمثال البخاتـي) قال أبو بكر إنها لناعمة يا رسول ا قال (أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها) وقد ورد هذا الحديث من رواية أنـس أيضاً . الحديث السادس والخمسون عن أبي هريرة رضي ا عنه قال قال رسول ا (عرج بي إلى السماء فما مررت بسـماء إلا وجدت فيها اسمي محمد رسول ا وأبو بكر الصديق خلفي) . وورد هذا الحديث أيضاً من رواية ابن عباس وابن عمـر وأنـس وأبـي سـعيد وأبي الدرداء رضي ا عنهم وأسانيدها كلها ضعيفة لكنها ترتقي بمجموعها إلى درجة الحسن . الحديـث السابع والخمسون أخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم عن سعيد بن جبير قال قرئت عند النبي (يا أيتها النفس المطمئنة) فقـال أبو بكر يا رسول ا إن هذا لحسن فقال رسول ا (أما إن الملك سيقولها لك عند الموت) . الحديث الثامن والخمسون أخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد ا بن الزبير قال لما نزلت (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم) قـال أبو بكر يا رسول ا لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت قال (صدقت) . الحديث التاسع والخمسون أخرج الطبراني في الكبير وابن شاهين في السنة عن ابن عباس رضي ا عنهما موصولاً وأبو القاسم البغوي قال حدثنا داود بن عمرو حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبي مليكة وتابعه وكيع عن عبد الجبار بن الورد أخرجه ابن عساكر وعبد الجبار ثقة وشيخه ابن أبي مليكة إمام إلا أنه من هذه الطريق مرسل قال دخل رسول ا وأصحابه غديراً فقال (ليسبح كل رجل إلى صاحبه) فسبح كل رجـل مـنهم إلى صاحبه حتى بقي رسول ا وأبو بكر فسبح رسول ا إلى أبي بكر حتى اعتنقه فقال (لو كنت متخذاً خليلا لاتخـذت أبـا بكـر خليلاً ولكنه صاحبي) . الحديث الستون اخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق وابن عساكر من طريق صـدقة بـن ميمون القرشي عن سليمان بن يسار قال قال رسول ا (خصال الخير ثلاثمائة وستون خصلة إذا أراد ا بعبد خيراً جعل فيه خصلة منها بها يدخل الجنة) فقال أبو بكر رضي ا عنه يا رسول ا أفي شيء منها قال (نعم جميعاً من كل) . و اخرج ابن عساكر من طريق آخر أنه قال خصال الخير ثلاثمائة وستون) فقال أبو بكر يا رسول ا لي منها شيء قال (كلهـا فيك فهنيئاً لك يا أبا بكر) . الحديث الحادي والستون اخرج ابن عساكر من طريق مجمع الأنصاري عن أبيه قال إن كانـت حلقة رسول ا لتشتبك حتى تصير كالإسوار وإن مجلس أبي بكر منها لفارغ ما يطمع فيه أحد من الناس فإذا جاء أبو بكـر جلـس ذلك المجلس وأقبل عليه النبي بوجهه وألقى إليه حديثه ويسمع الناس . الحديث الثاني والستون أخرج ابن عساكر عن أنس رضي ا عنه قال قال رسول ا (حب أبي بكر وشكره واجب على كل أمتي) . و اخرج مثله من حديث سهل بن سـعد . الحديث الثالث والستون أخرج ابن عساكر عن عائشة رضي ا عنها قالت قال رسول ا (الناس كلهم يحاسبون إلا أبا بكر) . الحديث الرابع والستون اخرج أحمد عن أبي هريرة رضي ا عنه أن رسول ا قال (ما نفعني مال قط ما نفعني مـال أبـي بكر) فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالي إلا لك يا رسول ا . و أخرج أبو يعلى من حديث عائشة رضي ا عنها مـرفوعاً مثله قال ابن كثير مروي أيضاً من حديث علي وابن عباس وأنس وجابر بن عبد ا وأبي سعيد الخدري رضي ا

عنهم . و أخرجه الخطيب عن ابن المسيب مرسلاً وزاد وكان رسول ا يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه . و اخـرج ابـن عساكر من طرق عن عائشة وعروة رضي ا عنهما أن أبا بكر اسلم يوم أسلم له أربعون ألف دينار وفي لفظ أربعـون ألـف درهم فأنفقها على رسول ا . الحديث الخامس والستون أخرج البغوي وابن عساكر عن ابن عمر رضي ا عنهما قال كنت عند النبي وعنده ابو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال يا جبريل أنفق ماله علي قبل الفتح قال فإن ا يقرأ عليه السلام ويقول قـل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أسخط على ربي أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض أنا عن ربـي راض) /وسـنده غريب ضعيف جداً/ . و اخرج أبو نعيم عن أبي هريرة وابن مسعود رضي ا عنهم مثله/ وسندهما ضـعيف/ أيضـاً وابن عساكر نحوه من حديث ابن عباس رضي ا عنهما . و أخرج الخطيب /بسند واه/ عن ابن عباس عن النبـي قال (هبط جبريل عليه السلام وعليه طنفسة متخلل بها فقلت يا جبريل ما هذا قال إن ا تعالى أمر الملائكة أن تتخلل فـي السماء لتخلل أبي بكر في الأرض) . قال ابن كثير وهذا منكر جداً ولولا أن هذا والذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الإعـراض عنهما أولى . الحديث السادس والستون صح عن عمر أنه قال أمرنا رسول ا أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي فقال رسول ا (ما أبقيت لأهلك) قلت مثله فأتى أبو بكر بكل ما عـنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم ا ورسوله فقلت لا اسبقه إلى شيء أبداً . الحديث السابع والستون أخرج ابـن عساكر أنه قيل لأبي بكر في مجمع من الصحابة هل شربت الخمر في الجاهلية فقال أعوذ با فقيل ولم قال كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي فإن من شرب الخمر كان مضيعاً في عرضه ومروءته فبلغ ذلك رسول ا فقال صدق أبو بكر صدق أبـو بكر) /وهو مرسل غريب سنداً ومتناً/ . و أخرج ابن عساكر /بسند صحيح /عن عائشة قالت وا ما قال أبو بكر شعراً قـط في جاهلية ولا إسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية . و أخرج أبو نعيم /بسند جيد / عنها قالت لقد حرم أبـو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية . الحديث الثامن والستون أخرج أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس رضي ا عنهما أن رسـول ا قال (ما كلمت في الإسلام أحداً إلا أبي علي وراجعني الكلام إلا ابن أبي قحافة فإني لم أكلمه في شيء إلا قبله واستقام عليه) . و في رواية لابن إسحاق (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتم أي تلبـث عـنه حين ذكرته وما تردد فيه) . قال البيهقي وهذا لأنه كان يرى دلائل نبوة رسول ا ويسمع آثاره قبل دعوته فحيـن دعاه كان سبق له فيه تفكر ونظر فأسلم في الحال . و يؤيد ما قاله ما أخرجه أبو نعيم عن فرات بن السائب قال سألت ميمون بن مهران علي أفضل عندك أم أبو بكر وعمر قال فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال ما كنت أظن أن أبقى إلى زمـان يعـدل بهما درهما كانا رأس الإسلام قلت فأبو بكر كان أول إسلاماً أو علي قال وا لقد آمن أبو بكر بالنبي زمن بحـيرا الراهـب حين مر به واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه وذلك كله قبل أن يولد علي . و صح عن زيد بن أرقم أول من صلى مع النبي أبو بكر . الحديث التاسع والستون وأخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي بكر أنه قال ألسـت أحق الناس بها أي الخلافة ألست أول من اسلم الحديث . و الطبراني في الكبير وعبد ا بن أحمد في زوائد الزهد عن الشـعبي قال سألت ابن عباس أي الناس كان أول إسلاماً قال أبو بكر ألم تسمع إلى قول حسان . (إذا تذكرت شجوا من أخي ثقـة % فاذكـر أخـاك أبا بكر بما فعلا) . (خير البرية أتقاها وأعدلها % إلى النبي وأوفاها بما حملا) . (و الثاني التالي المحمـود مشـهده % و أول الناس منهم صدق الرسلا) . و من ثم ذهب خلائق من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى أنه أول الـناس إسـلاماً بـل ادعـى بعضهم عليه الإجماع . و جمع بين هذا وغيره من الأحاديث المنافية له بأنه أول الرجال إسلاماً وخديجة أول الناس في النساء وعلي أول الصبيان وزيد أول الموالي وبلال أول الأرقاء وخالف في ذلك ابن كثير فقال الظاهر أن أهـل بيـته آمـنوا قبل كل أحد زوجته خديجة ومولاه زيد وزوجته أم أيمن وعلي وورقة ويؤيده ما صح عن سعد بن أبي وقـاص أنه اسلم قبله أكثر من خمسة قال ولكن كان خيرنا إسلاماً . الحديث السبعون أخرج أبو يعلى وأحمد والحاكم عن علي قال قال لي رسول ا يوم بدر ولأبي بكر (مع أحد كما جبريل ومع الآخر ميكائيل) . الحديث الحادي والسبعون أخرج تمام

فـي فوائده وابن عساكر عن عبد ا ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول ا يقول (أتاني جبريل فقال إن ا يأمرك أن تستشير أبا بكر) / الفصل الثالث في ذكر فضائل أبي بكر الواردة فيه مع ضميمة غيره كعمر وعثمان وعلي وغيرهم إليه / . و أفردت بترجمة لما بينها وبين الأولى من نوع مغايرة باعتبار السياق وأما من حيث إفادتها أفضلية أبي بكر وتشريفه فهي مع مـا قـبلها جنس واحد فلذا بنيت عدها على عد الأولى فقلت . الحديث الثاني والسبعون أخرج الحاكم في الكنى وابن عدي في الكـامل والخطيب في تاريخه عن أبي هريرة أن رسول ا قال (أبو بكر وعمر خير الأولين والآخرين وخير أهل السموات وخـير أهل الأرض إلا النبيين والمرسلين) . الحديث الثالث والسبعون أخرج الطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر فإنهما حبل ا الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها وله طرق أخرى مـرت في أحاديث الخلافة . الحديث الرابع والسبعون أخرج أبو نعيم أن رسول ا قال (إذا أنا مت وأبو بكر وعمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت) . الحديث الخامس والسبعون أخرج البخاري في تاريخه والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي قال (نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر) . الحديث السادس والسبعون اخرج الترمذي عن أبي سعيد أن النبي قال (ما مـن نبـي إلا و ـله وزيـ ران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيـ راي مـن أهل الأرض فأبو بكر وعمر) . الحديث السابع والسبعون أخرج أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة قال سـمعت رسول ا يقول (وبينا راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منه شاة فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال من لها يوم السـبع يـوم لا راعي لها غيري وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفت إليه فكلمته فقالت إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث) قال الناس سبحان ا قال النبي (فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر) وما ثم أبو بكر وعمر . أي لم يكونا في المجلس شـهد لهما ( ) بالإيمان لعلمه بكمال إيمانهما . و في رواية بينا رجل راكب على بقرة فالتفتت إليه فقالت له لم أخلق لهذا إنما خلقـت للحرث فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وبينا رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلبه حتى استنقذها منه فقـال له الذئب استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر . الحديث الثامن والسبعون أخرج أحمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد والطبراني عن جابر بن سمرة وابن عساكر عـن ابـن عمر وعن أبي هريرة أن النبي (ص) قال (إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما) . الحديث التاسع والسبعون اخرج ابن عساكر عن أبي سعيد (إن أهل عليـين ليشـرف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لأهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لأهل الدنيا وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما . الحديث الثمانون أخرج أحمد والترمذي عن علي وابن ماجة عنه أيضاً وعن أبي جحيفة أبو يعلى في مسنده والضياء في المختارة عن أنس والطبراني في الأوسط عن جابر وعن أبي سعيد أن رسول ا ( ) قال (هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولـين والآخريـن إلا النبييـن والمرسلين) يعني أبا بكر وعمر . و في الباب عن ابن عباس وابن عمر . الحديث الحادي والـثمانون أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد ا بن حنطب أن رسول ا ( ) رأى أبا بكر وعمر فقال (هذان السمع والبصر) . و أخرجه الطبراني من حديث ابن عمر وابن عمرو . الحديث الثاني والثمانون أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عـباس والخطيـب عـن جابر وأبو يعلى أن رسول ا ( ) قال (أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس) . الحديـث الثالث والثمانون أخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس أن النبي ( ) قال (إن ا أيدني بأربعة وزراء اثنيـن مـن أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر) . الحديث الرابع والثمانون أخرج الطبراني عـن ابـن مسعود قال قال النبي ( ) (إن لكل نبي خاصة من أصحابه وإن خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر) . الحديث الخـامس والـثمانون أخرج ابن عساكر عن أبي ذر أن رسول ا ( ) قال (إن لكل نبي وزيرين وزيراي وصاحباي أبو بكر وعمـر) . الحديـث السادس والثمانون أخرج ابن عساكر عن علي والزبير معاً أن النبي ( ) قال (خير أمتي بعدي أبو بكر وعمـر) . الحديث السابع والثمانون أخرج الخطيب في تاريخه أن رسول ا ( ) قال (سيدا كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر وإن أبـا بكر في الجنة مثل الثريا في السماء) . الحديث الثامن والثمانون أخرج ابن النجار عن أنس قال قال رسول ا ( ) (

ما قدمت أبا بكر وعمر لكن ا قدمهما) . الحديث التاسع والثمانون أخرج ابن قانع عن الحجاج السهمي أن رسول ا ( ) قال (من رأيتموه يذكر أبا بكر وعمر بسوء فإنما يريد الإسلام) . الحديث التسعون أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود أن النبي ( ) قـال (القـائم بعدي في الجنة والذي يقوم بعده في الجنة والثالث والرابع في الجنة) . الحديث الحادي والتسعون أخرج ابن عسـاكر عـن أنس رضي ا عنه أن رسول ا ( ) قال (أربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق ولا يحبهم إلا مؤمن أبو بكر وعمـر وعثمان وعلي) . الحديث الثاني والتسعون أخرج الترمذي عن علي رضي ا عنه أن رسول ا ( ) قال (رحم ا أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق القائم بعدي في الجنة والذي يقوم بعده في الجنة والثالث والرابع في الجنة . الحديـث الحادي والتسعون أخرج ابن عساكر عن أنس رضي ا عنه أن رسول ا قال أربعة لا يجتمع حبهم في قلب من مـنافق ولا يحبهم إلا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . الحديث الثاني والتسعون أخرج الترمذي عن علي رضي ا عنه أن رسـول ا قال رحم ا أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق من ماله وما نفعني مال في الإسلام ما نفعني مـال أبـي بكر رحم ا عمر يقول الحق وإن كان مراً لقد تركه الحق وماله من صديق رحم ا عثمان تستحي منه الملائكة وجهـز جـيش العسرة وزاد في مسجدنا حتى وسعنا رحم ا علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار) . الحديث الثالث والتسعون أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجة والضياء عن سعيد بن زيد أن رسول ا قال (عشرة في الجنة النبي في الجنة وأبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير بن العوام في الجنة وسعد بن مالك في الجنة أي وهـو سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة) وأخرجه بمعناه أحمد والضياء عن سـعيد بن زيد والترمذي عن عبد الرحمن بن عوف . الحديث الرابع والتسعون أخرج البخاري في تاريخه والنسائي والترمذي والحـاكم عن أبي هريرة أن رسول ا قال (نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح نعم الرجل أسيد بن حضير نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح نعم الرجل سـهيل بـن بيضاء) . الحديث الخامس والتسعون أخرج أحمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم والبيهقي عن انس أن رسـول ا قال (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في دين ا عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب ا أبي بن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) . و في روايـة الطبراني في الأوسط أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأرفق أمتي لأمتي عمر وأصدق أمتي حياء عثمان وأقضى أمتي علي بن أبي طالب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل يجيء يوم القيامة أمام العلماء وأقرأ أمتي أبي بن كعب وأفرضها زيد بن ثابـت وقد أوتي عويمر عبادة يعني أبا الدرداء . و في أخرى عند ابن عساكر أرحم أمتي أبو بكر الصديق وأحسنهم خلقاً أبو عبـيدة بـن الجراح وأصدقهم لهجة أبو ذر وأشدهم في الحق عمر وأقضاهم علي رضي ا عنهم أجمعين . و في أخرى عن العقيلـي أرحم هذه الأمة بها أبو بكر وأقواهم في دين ا عمر وافرضهم زيد بن ثابت وأقضاهم علي بن أبي طالب وأصدقهم حـياء عثمان بن عفان وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح واقرؤهم لكتاب ا عز وجل أبي بن كعب وابو هريرة وعاء من العلـم وسلمان عالم لا يدرك ومعاذ بن جبل أعلم الناس بحلال ا وحرامه وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصـدق مـن أبـي ذر . و فـي الأخرى لأبي يعلى أرأف أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في الدين عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقضـاهم علي وافرضهم زيد بن ثابت واقرؤهم أبي وأعلمهم الحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح . الحديث السادس والتسعون أخرج الترمذي عن أنس رضي ا عنه أن رسول ا كان يخرج عن أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم إليهما . الحديث السابع والتسعون أخرج الترمذي والحاكم عن عمر والطبراني فـي الأوسط عن أبي هريرة أن رسول ا خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهـو آخذ بأيديهما وقال (هكذا نبعث يوم القيامة) . الحديث الثامن والتسعون أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر قال قال رسـول ا (أنـا أول مـن تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر) . الحديث التاسع والتسعون أخرج البزار عن أبي أروى

الدوسـي قـال كنـت عند النبي فأقبل أبو بكر وعمر فقال (الحمد الذي أيدني بكما) وورد هذا أيضاً من حديث البراء بن عـازب أخـرجه الطبراني في الأوسط . الحديث المكمل للمائة أخرج عبد ا بن أحمد في زوائد الزهد عن أنس مرفوعاً إني لأرجو لأمتي في حبهم لأبي بكر وعمر ما أرجو لهم في قول لا إله إلا ا الحديث الأول بعد المائة أخرج أبو يعلى عن عمار بـن ياسر قال قال رسول ا (أتاني جبريل آنفاً فقلت يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ ما لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر) . الحديث الثاني بعد المائة أخرج أحمد عـن عـبد الرحمن بن غنم أن رسول ا قال لأبي بكر وعمر (لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما) وأخرجه الطبراني من حديـث البراء بن عازب . الحديث الثالث بعد المائة أخرج الطبراني عن سهل قال لما قدم النبي من حجة الوداع صعد المنبر فحمد ا وأثنى عليه ثم قال (يا أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤني قط فاعرفوا له ذلك أيها الناس إني راض عن أبي بكر وعمر وعـثمان وعلـي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين والأولين فاعرفوا ذلك لهم) . الحديث الرابع بعد المائة أخرج ابن سعد عن بسطام بن أسلم قال قال رسول ا لأبي بكر وعمر (لا يتأمر عليكما أحد بعدي) . الحديث الخامس بعـد المائـة اخـرج ابن عساكر عن أنس مرفوعاً (حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما كفر) . الحديث السادس بعد المائة أخـرج ابـن عساكر أيضا أن رسول ا قال حب أبي بكر وعمر من السنة . الحديث السابع بعد المائة أخرج أحمد والبخاري والـترمذي وأبو حاتم عن أنس قال صعد النبي وأبو بكر وعمر وعثمان أحداً فرجف بهم فضربه النبي برجله وقال (اثبت أحد فإنمـا عليك نبي وصديق وشهيدان) . و إنما قال له ذلك ليبين أن هذه الرجفة ليست كرجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم لأن تلـك رجفـة غضـب وهذه هزة الطرب ولذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة الموجبة لسرور ما اتصلت به لا لـرجفانه فأقر الجبل بذلك واستقر . و أخرج الترمذي والنسائي والدارقطني عن عثمان أنه كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض أي قرار الأرض عن منقطع الجبل فركضه أي ضربه برجله وقال (اسـكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) . و أخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول ا كان على حراء هو وأبو بكر وعـثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فال رسول ا (اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان) . و فـي روايـة له وسعد بن أبي وقاص ولم يذكر علياً . و خرجه الترمذي وصححه ولم يذكر سعداً . و في رواية له كان عليه العشـرة إلا أبا عبيدة . و هذه الروايات محمولة على أنها وقائع تكررت ولا نظر إلى المنازعة فيها بأن المخرج متحد لصحة أحاديـث كل فتعين الجمع بينهما بذلك وفي مسلم من حديث أبي هريرة ما يؤيد التعدد . الحديث الثامن بعد المائة أخرج محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات عن أبي ذر قال هجرت يوماً من الأيام فإذا النبي قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فأخبرني عنه أنه ببيت عائشة فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس وكان حينئذ أرى أنه في وحي فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال لي (ما جاء بك قلت ا ورسوله أعلم فأمرني أن أجلس فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء إلا ذكره لي فمكث غير كثير فجـاء أبـو بكر يمشي مسرعاً فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال (ما جاء بك قال جاء بي ا ورسوله فأشار بيده أن اجلس فجلـس إلى ربوة مقابل النبي ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول ا مثل ذلك وجلس إلى جنب أبي بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلى جنب عمر ثم قبض رسول ا على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنيـن كحنيـن الـنحل في كف رسول ا ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كف أبي بكر ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسـن وصـرن حصـى ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسـن ثـم ناولهن عثمان فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن) . و أخرجه البزار والطبراني في الأوسط عن أبي ذر أيضاً لكن بلفظ تناول النبي سبع حصيات فسبحن في يده حتى سـمعت لهـن حنيناً ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن زاد الطبرانـي فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا . و تأمل سر ما في الرواية الأولى من إعطاء النبـي إياهن لأبي بكر من يده من قبل وضعهن بالأرض بخلافه في عمر وعثمان تعلم أن ذلك كله لمزيد قرب أبي بكر حتى

صـير يده ليست أجنبية من يد النبي فلم يفصل بينهما بزوال حياة تلك الحصيات بخلافه في عمر وعثمان . الحديث التاسع بعد المائـة أخـرج الملا في سيرته أن النبي قال (إن ا افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والـزكاة والصوم والحج فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج) . الحديث العاشر بعد المائة أخرج الحافظ السلفي في مشيخته من حديث أنس أن النبي قال (حب أبي بكر واجب على أمتي) . الحديث الحادي عشر بعد المائـة أخـرج الشيخان وأحمد وغيرهم عن أبي موسى الأشعري رضي ا عنه أنه خرج إلى المسجد فسأل عن النبي فقالوا توجـه ههـنا فخرجت في إثره حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول ا حاجته فتوضأ فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها أي رأسها فجلست عند الباب فقلت لأكونن بواباً للنبي اليوم فجاء أبو بكر فدفـع الـباب فقلـت من هذا فقال أبو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت إلى رسول ا فقلت هذا أبو بكر يستأذن فقال (ائذن له وبشره بالجنة) فأقبلت حتى قلت لأبي بكر ادخل ورسول ا يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول ا معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول ا وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ فقلت إن يرد ا بفلان خيراً يعني أخاه يأت به فإذا إنسان يحرك الباب فقلت من هذا على الباب قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت إلـى النبـي فقلـت هذا عمر بن الخطاب يستأذنك فقال (ائذن له وبشره بالجنة) فجئته فقلت ادخل وبشرك رسول ا بالجنة فجلـس مـع رسول ا في القف عن يساره ودلى برجليه في البئر فرجعت فجلست وقلت إن يرد ا بفلان خيراً يأت به فجاء إنسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك وجئت إلى النبي فأخبرته فقال (ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه) فجئت فقلت ادخل ورسول ا يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الصـف الآخـر قال شريك قال سعيد بن المسيب تأويلها قبورهم انتهى . و أقول تأويلها أيضاً على خلافة الثلاثة على ترتيب مجيئهم ممكن بل هو الموافق لحديث البئر السابقة رواياته وطرقه في تاسع الأحاديث الدالة على خلافة أبي بكر ويكون جلوس الشيخين بجانبه وضيق المحل عن عثمان حتى جلس أمامهم إشارة إلى عظيم خلافتهما وسلامتها من تطرق الفتن إليها على أتم الوجـوه وأكملهـا وإلـى أن صدور المؤمنين وأحوالهم فيها كانت على غاية من السرور واعتدال الأمر . و أما خلافة عثمان وعلـي فإنهـا وإن كانت صدقاً وحقاً وعدلاً لكن اقترن بها أحوال من أحوال بني أمية وسفهائهم كدرت القلوب وشوشت على المسـلمين وتولـد بسببها تلك الفتن العظيمة . و يؤيد ما ذكرته أن النبي أشار إلى ذلك بقوله في عثمان (على بلوى تصيبه) وتلك البلوى لم تتولد إلا لما ذكرته من قبيح أحوال بني أمية كما سيأتي بسط ذلك في مبحث خلافة عثمان وذكر فضائله ومآثره . و اعلـم أنـه وقع في روايات أخر ما فيه مخالفة لبعض ما مر في تلك الرواية فقد أخرج أبو داود نحو تلك الرواية عن أبي سـلمة عـن نافع عن عبد الحارث الخزاعي قال دخل رسول ا حائطاً من حوائط المدينة فقال لبلال (أمسك الباب فجاءه أبو بكـر يسـتأذن) فذكر نحوه . قال الطبراني وفي حديث أن نافع بن الحارث هو الذي كان يستأذنه وهذا يدل على تكرر القصة انـتهى . و هـو أظهـر من تصويب شيخ الإسلام ابن حجر عدم التعدد وإنها عن أبي موسى الأشعري ووهم القول بغيره . الحديث الثاني عشر بعد المائة أخرج الحافظ عمر بن محمد بن خضر الملا في سيرته أن الشافعي رضي ا عنه روى بسنده أنـه قال (كنت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أنواراً على يمين العرش قبل أن يخلق آدم بألف عام فلما خلق اسكنا ظهره ولم نزل ننتقل في الأصلاب الطاهرة حتى نقلني ا تعالى إلى صلب عبد ا ونقل أبا بكر إلى صلب أبي قحافة ونقل عمر إلى صـلب الخطـاب ونقـل عثمان إلى صلب عفان ونقل علياً إلى صلب أبي طالب ثم اختارهم لي أصحاباً فجعل أبا بكر صديقاً وعمر فاروقاً وعثمان ذا النورين وعلياً وصياً فمن سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب ا تعالى ومن سب ا أكبه ا فـي الـنار على منخريه) . الحديث الثالث عشر بعد المائة أخرج المحب الطبري في رياضه وعهدته عليه أنه قال (أخبرني جبريل أن ا تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفاحة من الجنة وأعصرها في حلقه فعصرتها في فيه فخلـق ا من النقطة الأولى أنت ومن الثانية أبا بكر ومن الثالثة عمر ومن الرابعة عثمان ومن الخامسة علياً فقال آدم يا رب من هؤلاء الذين أكرمتهم فقال ا تعالى هؤلاء خمسة أشياخ من ذريتك وهم اكرم عندي من جميع خلقي أي أنت أكرم الأنبياء

والرسل وأهم أكرم أتابع الرسل فلما عصى آدم ربه قال يا رب بحرمة أولئك الأشياخ الخمسة الذين فضلتهم إلا تبت علي فتاب ا علـيه) . الحديث الرابع عشر بعد المائة أخرج البخاري عن أبي قتادة رضي ا عنه قال خرجنا مع النبي عام حنين فلما التقيـنا كان للمسلمين جولة فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني فلحقت عمر فقلت ما بال الناس قال أمـر ا عز وجل ثم رجعوا فجلس النبي فقال (من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه) فقلت من يشهد لي ثم جلست فقال النبي مـثله فقلت من يشهد لي ثم جلست ثم قال مثله فقمت فقال (ما لك يا أبا قتادة) فأخبرته فقال رجل صدق وسلبه عندي فأرضه مني قال أبو بكر لاها ا إذاً لا يعمد إلى أسد من أسد ا يقاتل عن ا ورسوله فيعطيك سلبه فقال النبي (صدق أعطه سلبه) فأعطانـيه الحديـث . و فـي رواية له فقال أبو بكر أصيبغ أي بإهمال أوله وإعجام آخره أو عكسه تحقير له بوصفه باللون الـرديء أو مذمـة بسـواد اللون وبغيره أو وصف له بالمهانة والضعف أو تصغير صبغ شاذاً شبهه به لضعف افتراسه وما يوصـف بـه من الضعف لأنه لما عظم أبا قتادة بجعله كالأسد ناسب أن يصف خصمه بضده في قريش يدع أسداً من أسد ا يقاتل عن ا ورسوله . قال الإمام الحافظ أبو عبد ا محمد بن أبي نصر الحميدي الأندلسي سمعت بعض أهل العلم وقد جرى ذكر هذا الحديث فقال لو لم يكن من فضيلة أبي بكر رضي ا عنه إلا هذا فإنه بثاقب علمه وشدة حزامته وقوة رأيه وإنصافه وصـحة تدقيقه وصدق تحقيقه بادر إلى القول بالحق فزجر وأفتى وحكم وأمضى وأخبر في الشريعة عن المصطفى بحضرته وبيـن يديه بما صدقه فيه وأجرى عليه قوله وهذا من خصائصه الكبرى إلى مالا يحصى من فضائله الأخرى / الفصل الرابع فـيما ورد من كلام العرب والصحابة والسلف الصالح في فضله / . أخرج البخاري عن عائشة رضي ا عنها قالت لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول ا طرفي النهار بكرة وعشياً فلما ابتلي المسلمون خرج أبـو بكـر رضـي ا عـنه نحو أرض الحبشة مهاجراً حتى إذا بلغ برك الغماد أي بفتح الموحدة وكسرها وبالغين المعجمة المكسـورة وقـد تضم واد في أقاصي هجر قاله الزركشي وقال غيره مدينة بالحبشة لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تـريد يـا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة فإن مثلك لا يخرج ولا يخـرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار فارجع واعبد ربك بـبلادك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج رجل يكسب المعدوم ويصل الرحم ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش لجوار ابن الدغنة الحديث بطوله . و فيه من الخصوصيات لأبي بكر ما لا يخفي على من تأمله فإنه اشتمل على هجرته مع النبي من مكة إلى المدينة وما وقع له في تلك السفرة من المآثر والفضائل والكرامات والخصوصيات التي لم يقع نظير واحدة منها لغيره من الصحابة وينبغي لك أن تـتأمل فـيما وصـفه به ابن الدغنة بين أشراف قريش من تلك الأوصاف الجليلة المساوية لما وصفت به خديجة النبي فسكت أشـراف قريش على تلك الأوصاف ولم يطعنوا فيها بكلمة مع ما هم متلبسون به من عظيم بغضه ومعاداته بسبب إسلامه فإن هذا منهم اعتراف أي اعتراف بأن أبا بكر كان مشهوراً بينهم بتلك الأوصاف شهرة تامة بحيث لا يمكن أحد أن ينازع فيها ولا أن يجحـد شيئاً منها وإلا لبادروا إلى جحدها بكل طريق أمكنهم لما تحلوا به من قبيح العداوة له بسبب ما كانوا يرون منه من صـدق ولائـه لرسول ا وعظم محبته له وذبه عنه كما مر طرف من ذلك في شجاعته . و أخرج البخاري أن عمر قال أبو بكـر سيدنا . و البيهقي أنه قال لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم . و عبد ا بن أحمد أنه قال إن أبا بكر كـان سـابقاً مبرزاً . و مسدد في مسنده أنه قال لوددت أني شعرة في صدر أبي بكر . و ابن أبي الدنيا وابن عساكر أنه قال وددت أنـي من الجنة حيث أرى أبا بكر . و أبو نعيم أنه قال لقد كان ريح أبي بكر أطيب من ريح المسك . و ابن عساكر عن علـي أنـه دخل على أبي بكر وهو مسجى فقال ما أحد لقي ا بصحيفة أحب إلي من هذا المسجى . و ابن عساكر عن عبد الرحمـن بـن أبـي بكر قال قال رسول ا (حدثني عمر بن الخطاب أنه ما سابق أبا بكر إلى خير إلا سبقه أبو بكر) . و الطبرانـي في عن علي قال والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر . و ابن سعد عن الزهري قال قال

رسـول ا لحسان (هل قلت في أبي بكر شيئاً) فقال نعم فقال (قل وأنا أستمع) فقال . (و ثاني اثنين في الغار المنيف وقد % طاف العدو به إذ صعد الجبلا) . (و كان حب رسول ا قد علموا % من البرية لم يعدل به رجلا) . فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال (صدقت يا حسان هو كما قلت) . و هذا يصلح أن ينظم في سلك الأحاديث السابقة لكن لإرساله أخرته إلى هنا . و ابن سعد عن إبراهيم النخعي قال كان أبو بكر يسمى الأواه لرأفته ورحمته . و ابن عساكر عن الربيع بن انس قال مكتوب فـي الكتاب الأول مثل أبي بكر مثل القطر أينما وقع نفع . و قال نظرنا في صحابة الأنبياء فما وجدنا نبياً كان له صاحب مثل أبي بكر . و أخرج عن الزهري أنه قال من فضل أبي بكر أنه لم يشك في ا ساعة قط . و اخرج عن أبي حصين قال ما ولد لآدم فـي ذريته بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر ولقد قام أبو بكر يوم الردة مقام نبي من الأنبياء . و الدينوري وابن عساكر عن الشعبي قال خص ا أبا بكر بأربع خصال لم يخص بها أحداً من الناس سماه الصديق ولم يسم أحداً الصديق غيره وهـو صـاحب الغار مع رسول ا ورفيقه في الهجرة وأمره بالصلاة والمسلمون شهود . و ابن أبي داود عن أبي جعفر قال كـان أبـو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبي ولا يراه . و الحاكم عن ابن المسيب قال كان أبو بكر من النبي مكان الوزير فكان يشاوره في جميع أموره وكان ثانية في الإسلام وثانيه في الغار وثانيه في العريش يوم بدر وثانيه في القبر ولم يكن رسول ا يقـدم علـيه أحداً . و الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال كان أبو بكر أحد عشرة من قريش اتصل بهم شـرف الجاهلية بشرف الإسلام فكان إليه أمر الديات والغرم وذلك أن قريشاً لم يكن لها ملك ترجع الأمور إليه بل كان في كل قبـيلة ولاية عامة تكون لرئيسها فكانت في بني هاشم السقاية والرفادة ومعنى ذلك أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلا من طعامهم وشـرابهم وكانـت في بني عبد الدار الحجابة واللواء والندوة أي لا يدخل البيت أحد إلا بإذنهم وإذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار وإذا اجتمعوا لأمر إبراماً ونقضاً لا يكون اجتماعهم لذلك إلا في دار الندوة ولا ينفذ إلا بها وكانت لبني عبد الدار . و لقد أحسن النووي في تهذيبه حيث ترجم فيه الصديق بترجمة حسنة أشار فيها مع اختصارها إلى كثير من غرر فضـائله ومواهـبه التـي قدمتها مبسوطة مستوفاة فقال من جملتها أجمعت الأمة على تسميته بالصديق لأنه بادر إلى تصديق رسول ا ولازم الصدق فلم يقع منه هناة ولا وقفة في حال من الأحوال وكانت له في الإسلام المواقف الرفيعة منها قصة يوم لـيلة الإسراء وثباته وجوابه للكفار في ذلك وهجرته مع رسول ا وترك عياله وأطفاله وملازمته له في الغار وسائر الطريق ثم كلامه ببدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الأمر في تأخر دخول مكة ثم بكاؤه حين قال رسول ا (إن عبداً خيره ا بين الدنيا والآخرة) ثم ثباته في وفاة رسول ا وخطبة الناس وتسكينهم ثم قيامه في قضية البيعة لمصلحة المسلمين ثم اهتمامه وثـباته في بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام وتصميمه في ذلك ثم قيامه في قتال أهل الردة ومناظرته الصحابة حتى حجهم بـالدلائل وشرح ا صدورهم لما شرح له صدره من الحق وهو قتال أهل الردة ثم تجهيز الجيوش إلى الشام ثم ختم ذلك بمهم مـن أحسن مناقبه وأجل فضائله وهو استخلافه عمر على المسلمين وكم للصديق من موقف وأثر ومناقب وفضائل لا تحصى انتهى . و في التهذيب أنه أحد الذين حفظوا القرآن كله . و ذكره جماعة غيره واعتمده بعض محققي المتأخرين المطلعين قال وأمـا حديث أنس جمع القرآن في عهد رسول ا أربعة فمراده من الأنصار . و أما ما أخرجه ابن أبي داود عن الشعبي قال مـات أبـو بكر الصديق ولم يجمع القرآن كله فهو مدفوع أو مؤول على أن المراد جمعه في المصحف على الترتيب الموجود الـيوم لأن عثمان هو الذي فعل ذلك . و من فضائله العظيمة جمعه للقرآن فقد أخرج أبو يعلى عن علي قال أعظم الناس أجراً فـي المصاحف أبو بكر إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين . و اخرج البخاري عن زيد بن ثابت قال أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة وإني لأخشى أن يستحر القـتل بالقـراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن قال أبو بكر فقلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول ا فقال عمر هو وا خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح ا لذلك صدري فرأيت الذي رأى عمـر قـال زيـد وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول ا فتتبع القـرآن فاجمعه فوا لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيئاً لم

يفعله النبي فقال أبو بكر وهو وا خير فلم أزل أراجعه حتى شرح ا صدري للذي شرح ا له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القـرآن أجمعـه من الرقاع والأكتاف والعسب أي العصى من الجريد وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره (لقد جاءكم رسول) إلى آخرها فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفـاه ا ثم عند عمر حتى توفاه ا ثم عند حفصة بنت عمر رضي ا عنها . و من خواصه أيضاً أنه أول خليفة فرض له رعيـته العطاء . أخرج البخاري عن عائشة قالت لما استخلف أبو بكر قال لقد علمتم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلـي وشـغلت بأمـر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين فيه . و أخرج ابن سعد عن عطاء بن السـائب قال لما بويع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب إلى السوق فقال عمر أين تريد قال السوق قال تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالي قال انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلق إلى أبي عبيدة فقال أفرض لك قوت رجـل من المهاجرين ليس بأوكسهم ولا أكسبهم وكسوة الشتاء والصيف إذا أخلقت شيئاً رددته وأخذت غيره ففرض له كل يوم نصـف شاة وما كساه في البطن والرأس . و أخرج ابن سعد عن ميمون قال لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين فقال زيدوني فـإن لـي عـيالاً وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة . و أخرج الطبراني عن الحسن بن علي بن أبي طالب قال لما احتضـر أبو بكر قال يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبغ فيها والقطيفة التي كنا نلبسها فإنـا كنا ننتفع بذلك حين نلي أمر المسلمين فإذا مت فارديه إلى عمر فلما مات أبو بكر أرسلت به إلى عمر فقال عمر رحمك ا يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك . و اخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص قال قال أبو بكر لما احتضر لعائشة يا بنية إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا ديناراً ولا درهماً ولكنا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين لا قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فإذا مت فابعثي بهن إلى عمر

الباب الرابع في خلافة عمر وفيه فصول

/ الفصـل الأول في حقية خلافته رضي ا عنه / . اعلم أنا لا نحتاج في هذا إلى قيام برهان على حقية خلافة عمر لما هو معلـوم عـند كل ذي عقل وفهم أنه يلزم من حقية خلافة أبي بكر رضي ا عنه حقية خلافة عمر وقد قام الإجماع ونصوص الكتاب والسنة على حقية خلافة أبي بكر فيلزم قيام الإجماع ونصوص الكتاب والسنة على حقية خلافة عمر لأن الفرع يثبت له من حيث كونه فرعاً ما ثبت للأصل فحينئذ لا مطمع لأحد من الرافضة والشيعة في النزاع في حقية خلافة عمر لما قدمناه من الأدلـة الواضـحة القطعـية علـى حقية خلافة مستخلفه وإذا ثبت حقيتها قطعاً صار النزاع فيها عناداً وجهلاً وغباوة وإنكاراً للضروريات ومن هذا وصفه كهؤلاء الجهلة الحمقى حقيق بأن يعرض عنه وعن أكاذيبه وأباطيله فلا يلتفت إليه ولا يعول في شـيء مـن الأمور عليه . إذا تحقق ذلك فقد مر أن من أعظم فضائل الصديق استخلافه عمر على المسلمين لما حصل به من عمـوم النفع وفتح البلاد وظهور الإسلام ظهوراً تاماً كما يأتي وتقدم في تلك الأحاديث التي في الخلافة التصريح بخلافة عمر في غير حديث كحديث اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر بطرقه السابقة وكحديث أمره لأبي بكر بوضع حجره إلى جنب حجـر النبي وأمره لعمر أن يضع حجره إلى جنب حجر أبي بكر ثم أمره لعثمان بوضع حجره إلى جنب حجر عمر ثم قال (هؤلاء الخلفاء بعدي) . و كحديث رؤياه أنه ينزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر ونزع دلواً أو دلوين ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غرباً قال (فلم أر عبقرياً يفري في الناس فريه) . و كحديث الخلافة ثلاثون سنة . و كحديث إن أول دينكم بدأ نبوة ورحمـة ثم يكون خلافة ورحمة فهذه الأحاديث كلها فيها دلالة أي دلالة على حقية خلافة عمر رضي ا عنه لو فرض عدم الإجمـاع علـيها فكـيف وقد قام الإجماع عليها ودلت عليها النصوص الدالة على خلافة أبي بكر كما مر / الفصل الثاني في اسـتخلاف أبي بكر لعمر رضي ا عنهما في مرض موته ونقدم عليه سبب موته / . أخرج سيف والحاكم عن بن عمر قال كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول ا كمد فما زال جسمه ينقص حتى مات . و صح عن ابن شهاب أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة أهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر ارفع يدك يا خليفة رسول ا وا إن فيها سم سنة وأنا وأنت

نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة . ولا ينافيه خبر اثبت أحد فإنما عليك نبـي وصـديق وشهيدان لأن أخص أوصاف أبي بكر تسميته بالصديق كما علم مما مر فأوثر على وصف الشهادة لاشتراكه ولذلـك لم يصف نفسه إلا بالنبوة لأنها أخص أوصافه وإلا فهو مات بالسم أيضاً لما في الحديث الصحيح أنه صرح في مرض موته أنه من أكلة خيبر وأن تلك الأكلة لا زالت تعاوده حتى انقطع أبهره . و أخرج الواقدي والحاكم عن عائشة قالت أول بدء مـرض أبـي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوماً بارداً فحم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة وتوفي يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة . و أخرج الواقدي من طرق أن أبـا بكـر لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني فقال أبو بكر وإن يكن فقال عبد الرحمن هو وا أفضل من رأيك فيه ثم دعا عثمان ابن عفان فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به فقال على ذلك فقال اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله وشاور معهما سعيد ابن زيد وأسـيد بـن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال أسيد اللهم أعلمه الخير بعدك يرضى للرضا ويسخط للسخط الذي يسـر خير من الذي يعلن ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه . و دخل عليه بعض الصحابة فقال له قائل منهم ما أنت قائل لربك إذا سألك عن تولية عمر علينا وقد ترى غلاظته فقال أبو بكر أبا تخوفني أقول اللهم استخلفت عليهم خير أهلك ابلغ عني مـا قلت من ورائك ثم دعا عثمان فقال اكتب بسم ا الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجـاً مـنها وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب أني استخلفت عليكم بعدي عمـر بـن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا وأني لم آل ا ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً فإن عدل فذلك ظني فيه وعلمي به وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة ا . ثـم أمـر بالكـتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً فبايع الناس ورضوا به دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه بما أوصاه به ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يده فقال اللهم إني لم أرد بذلك إلا إصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلـم بـه واجـتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم وأحرصهم على ما أرشد لهم وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفنـي فـيهم فهـم عبادك ونواصيهم بيدك أصلح واليهم واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته . و أخرج ابن سعد والحـاكم عن ابن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة أبو بكر حين استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت استأجره والعزيز حين تفـرس فـي يوسـف فقال لامرأته أكرمي مثواه قيل ويلحق بهم سليمان بن عبد الملك حين استخلف عمر بن عبد العزيز . و أخـرج ابـن عساكر عن يسار بن حمزة قال لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال أيها الناس إني قد عهدت عهداً أفترضـون به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول ا فقام علي فقال لا نرضى إلا أن يكون عمر قال فإنه عمر . و أخرج ابن سـعد عن شداد قال كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أنه قال اللهم إني شديد فليني وإني ضعيف فقوني وإني بخيل فسـخني . قـال الزهـري استخلف عمر يوم توفي أبو بكر فقام بالأمر أتم قيام وكثرت الفتوح في أيامه كثرة عظيمة لم يقع نظيرها في أيام خليفة بعده كيف ومن ذلك أكثر إقليم الشام والعراق وفارس والروم ومصر والإسكندرية والمغرب . و قد أشار بذلـك فـي سابع الأحاديث المارة في الأحاديث الدالة على خلافة الصديق ولفظه عند الشيخين من بعض تلك الطرق عن ابن عمر وأبي هريرة قالا قال رسول ا (بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء ا ثم أخذها أبو بكر فنزع مـنها ذنوبـاً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف وا يغفر له ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت في يده غرباً فلم أر عبقرياً من الناس يفـري فـريه حـتى روي الناس وضربوا بعطن) ومر أيضاً عن العلماء أن هذه إشارة إلى خلافة أبي بكر وعمر وإلى كثرة الفـتوح وظهـور الإسلام في زمن عمر / الفصل الثالث في سبب تسميته بأمير المؤمنين دون خليفة رسول ا صلى ا عليه وسلم / . أخرج العسكري في الأوائل والطبراني في الكبير والحاكم من طريق ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بـن سليمان بن أبي خيثمة لأي شيء كان يكتب من خليفة خليفة رسول ا في عهد أبي بكر ثم كان عمر كتب أولاً من خليفة أبي بكر فمن أول من كتب من أمير المؤمنين رضي ا عنه فقال حدثتني الشفاء وكانت من المهاجرات أن أبا بكر كان يكتب

مـن خلـيفة رسـول ا وعمر كان يكتب من خليفة رسول ا حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله فبعث إليه لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم الطائي فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقـالا استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمرو أنتما وا أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقـال ما بدا لك في هذا الاسم لتخرجن مما قلت فأخبره فقال أنت الأمير ونحن المؤمنين فجرى الكتاب بذلك من يومئذ . و في تهذيـب الـنووي أن عدياً ولبيداً المذكورين هما اللذان سمياه بذلك أي لأن عمراً لم يقل له ذلك إلا تقليداً لهما وقيل إن أول من سـماه بـه المغيرة بن شعبة . و أخرج ابن عساكر عن معاوية بن قرة قال كان يكتب من أبي بكر خليفة رسول ا فلما كان عمر بن الخطاب رضي ا عنه أرادوا أن يقولوا لخليفة خليفة رسول ا فقال عمر هذا يطول قالوا لا ولكنا أمرناك علينا وأنت أمـيرنا قال نعم أنتم المؤمنون وأنا أميركم فكتب أمير المؤمنين . ولا ينافي ما تقرر أن عبد ا بن جحش في سريته التي نزل فـيها قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) سمي أمير المؤمنين لأن تلك التسمية كانت خاصة والكلام في تسمية الخليفة بذلك فعمر أول من وضع عليه هذا الاسم من حيث الخلافة

الباب الخامس في فضائله وخصوصياته وفيه فصول

/ الفصل الأول في إسلامه / . قال الذهبي أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة وكان من أشراف قريش وإلـيه فيهم كانت السفارة فكانوا إذا أرادوا حرباً بعثوه رسولاً وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر أرسلوه له منافراً ومفاخراً وكـان إسلامه بعد أربعين رجلاً أو تسعة وثلاثين أو خمسة وأربعين رجلاٍ وإحدى عشرة امرأة أو ثلاث وعشرين امرأة ففرح به المسلمون وظهر الإسلام بمكة عقب إسلامه . و قد أخرج الترمذي عن ابن عمر والطبراني عن ابن مسعود وأنس أن النبي قال (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام) . و أخرج الحاكم عن ابن عباس والطبرانـي عـن أبي بكر الصديق وثوبان رضي ا عنهم أنه قال (اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب) خاصة . و أخرج أحمـد عن عمر قال خرجت أتعرض رسول ا فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت وا هذا شاعر كما قالت قريش فقرأ (إنه لقول رسول ا كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون) فوقـع فـي قلبـي الإسـلام كل موقع . و اخرج ابن أبي شيبة عن جابر قال كان أول إسلام عمر أن عمر قال ضرب أختي المخاض ليلاً فخرجت من البيت فدخلت في ستار الكعبة فجاء النبي فدخل الحجر فصلى ما شاء ا ثم انصرف فسمعت شيئاً لم اسـمع مثله فخرج فاتبعته فقال من هذا قلت عمر قال يا عمر ما تدعني لا ليلاً ولا نهاراً فخشيت أن يدعو علي فقلت أشهد أن لا إلـه إلا ا وأنـك رسول ا فقال يا عمر استره فقلت لا والذي بعثك بالحق نبياً لأعلننه كما أعلنت الشرك . و أخرج أبو يعلى والحاكم والبيهقي عن أنس قال خرج عمر متقلداً سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال أين تعمد يا عمر فقال أريد أن اقتل محمـداً قـال وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً قال ما أراك إلا قد صبوت قال أفلا أدلك على العجب إن ختنك وأختك قد صبئا وتركا دينك فمشى عمر فأتاهما وعندهما خباب فلما سمع بحس عمر توارى في البيت فدخل فقال ما هذه الهيـنمة وكانوا يقرأون طه قالا ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه يا عمر إن كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر فوطئه وطئاً شديداً فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها فقالت وهي غضبى إن كان الحق في غير دينك إنني اشهد أن لا إله إلا ا وأن محمداً عبده ورسوله فقال عمر أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرؤه وكـان يقـرأ الكتاب فقالت أخته إنك رجس وإنه لا يمسه إلا المطهرون فقم واغتسل وتوضأ فقام وتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) حتى انتهى إلى (إنني أنا ا لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) فقال عمر دلوني علـى محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج فقال أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون دعوة رسول ا ليلة الخميس (اللهم أعز الإسـلام بعمـر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام) وكان رسول ا في أصل الدار التي في أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس فقال حمزة هذا عمر إن يرد ا به خيراً يسلم وإن يكن غير ذلك يكن قتله علينا هيناً قال والنبـي داخل يوحى إليه فخرج حتى أتى إلى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل ا

بـك مـن الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة فقال عمر أشهد أن لا إله إلا ا وأنك عبد ا ورسوله . و أخرج البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل عن أسلم قال قال لنا عمر كنت أشد الناس بأساً على رسول ا فبينا أنا في يوم حار بالهاجرة في بعض طريق مكة إذ لقيني رجل فقال عجباً لك يا ابن الخطاب إنك تزعم وأنك وأنك قد دخل عليك الأمر في بيتك قلت وما ذاك قال أختك قد أسلمت فرجعت مغضباً حتى قرعت الباب قيل من هذا قلت عمر فتبادروا واختفوا وقد كانوا يقرؤون فـي صحيفة بين أيديهم تركوها أو نسوها فقامت أختي تفتح الباب فقلت يا عدوة نفسها أصبوت وضربت بشيء في يدي على رأسـها فسال الدم وبكت فقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل فقد صبوت قال ودخلت حتى جلست على السرير فنظرت إلـى الصحيفة فقلت ما هذا ناولنيها فقالت لست من أهلها أنت لا تطهر من الجنابة وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون فما زلت حـتى ناولتنيها ففتحتها فإذا فيها بسم ا الرحمن الرحيم فلما مررت باسم من أسماء ا تعالى ذعرت منه فألقيت الصحيفة ثم رجعت إلي نفسي فتناولتها فإذا فيها (سبح ما في السماوات والأرض) فذعرت فقرأت إلى (فآمنوا با ورسوله) فقلت أشهد أن لا إله إلا ا فخرجوا إلي مبادرين فكبروا وقالوا أبشر فإن رسول ا دعا يوم الاثنين فقال (اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك إما أبو جهل بن هشام وإما عمر) ودلوني على النبي في بيته بأسفل الصفا فخرجت حتى قرعت الباب فقالوا من قلـت عمـر بـن الخطاب وقد علموا شدتي على رسول ا فما اجترأ أحد بفتح الباب حتى قال (افتحوا له) ففتحوا لي فأخذ رجـلان بعضدي حتى أتيا بي النبي فقال (خلوا عنه) ثم أخذ بمجامع قميصي وجذبني إليه ثم قال (أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهـده) فتشهدت فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة وكانوا مستخفين فلم أشأ أن أرى رجلاً يضرب ويضرب إلا رأيته ولا يصـيبني من ذلك شيء فجئت خالي أي أبا جهل بن هشام وكان شريفاً فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت ابن الخطاب وقـد صبوت قال لا تفعل ثم دخل وأجاف الباب دوني فقلت ما هذا شيء فذهبت إلى رجل من عظماء قريش فناديته فخرج إلي فقلت مثل مقالتي لخالي وقال لي مثل ما قال خالي فدخل وأجاف الباب دوني فقلت ما هذا بشيء إن المسلمين يضربون وأنا لا أضـرب فقال لي رجل أتحب أن يعلم بإسلامك قلت نعم قال فإذا جلس الناس في الحجر فأت فلاناً لرجل لم يكن يكتم السر فقل لـه فـيما بيـنك وبينه إني قد صبوت فإنه قلما يكتم السر . فجئت وقد اجتمع الناس في الحجر فقلت له فيما بيني وبينه إني قد صبوت قال أوقد فعلت قلت نعم فنادى بأعلى صوته إن ابن الخطاب قد صبأ فبادروا إلي فما زلت أضربهم ويضربونني واجتمع علـي الناس فقال خالي ما هذه الجماعة قيل عمر قد صبأ فقام على الحجر فأشار بكمه ألا إني قد أجرت ابن أختي فكفوا عني فكنـت لا أشـاء أن أرى رجـلاً من المسلمين يضرب ويضرب إلا رأيته فقلت ما هذا شيء حتى يصيبني فأتيت خالي فقلت جوارك رد عليك فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز ا الإسلام / الفصل الثاني في تسميته بالفاروق / . أخرج أبو نعيم في الدلائـل وابن عساكر عن ابن عباس قال سألت عمر لأي شيء سميت بالفاروق فقال أسلم حمزة قبلي بثلاثة ايام فخرجت إلى المسـجد فأسرع أبو جهل إلى النبي ليسبه فأخبر حمزة فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التي فيها أبو جهل فاتكأ على قوسه مقابل أبي جهل فنظر إليه فعرف أبو جهل الشر في وجهه فقال ما لك يا أبا عمارة فرفع القوس فضرب بها أخدعه فقطعه فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر قال ورسول ا مختف في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي فانطلق حمـزة فأسلم فخرجت بعده بثلاثة أيام فإذا فلان المخزومي فقلت له أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد قال إن فعلت فقد فعلـه من هو أعظم عليك حقاً مني فقلت من هو قال أختك وختنك فانطلقت فوجدت هينمة فدخلت فقلت ما هذا فما زال الكلام بينـنا حتى أخذت برأس ختني فضربته وأدميته فقامت إلي أختي وأخذت برأسي وقالت قد كان ذلك على رغم أنفك فاستحييت حين رأيت الدم فجلست وقلت أروني هذا الكتاب فقالت إنه لا يمسه إلا المطهرون فقمت فاغتسلت فأخرجوا إلي صحيفة فيها (بسـم ا الرحمـن الرحيم) فقلت أسماء طيبة طاهرة (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) إلى قوله (له الأسماء الحسنى) فتعظمـت في صدري وقلت من هذا فرت قريش فأسلمت وقلت أين رسول ا قالت فإنه في دار الأرقم فأتيت فضربت الباب فاسـتجمع القـوم فقال لهم حمزة مالكم قالوا عمر قال افتحوا له الباب فإن اقبل قبلنا منه وإن أدبر قتلناه فسمع ذلك رسول ا فخـرج فتشـهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت يا رسول ا ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاختفاء

فخرجـنا صـفين أنـا فـي أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إلي وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول ا الفاروق يومئذ وفرق بين الحق والباطل . و أخرج ابن سعد عن ذكوان قال قلت لعائشة رضي ا عنها من سـمى عمـر الفاروق قالت رسول ا . و ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس قال لما اسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر . و البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس قال لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل ا (يا أيها النبي حسبك ا ومن اتبعك من المؤمنين) . و البخاري وغيره عن ابن مسعود قال ما زلنا أعزة مـنذ أسـلم عمر . و ابن سعد عنه أيضاً قال كان إسلام عمر فتحاً وكانت هجرته نصراً وكانت إمامته رحمة ولقد رأيتنا وما نسـتطيع أن نصل إلى البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا وخلوا سبيلنا . و أخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة قال لما اسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قوة فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً . و الطبرانـي عن ابن عباس /بسند حسن / أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب . و ابن سعد عن صهيب قال لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعي إليه علانية وجلسنا حول البيت حلقاً وطفنا بالبيت وانتصفنا فمن غلظ علينا رددنا عليه بعض ما يأتي به / الفصـل الثالـث فـي هجرته / . أخرج ابن عساكر عن علي رضي ا عنه قال ما علمت أحداً هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطـاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه تنكب قوسه وانتضى في يده أسهماً وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعاً ثم صـلى ركعتيـن خلـف المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه ويؤتم ولده وترمل زوجته فليلقنـي وراء هـذا الوادي فما تبعه منهم أحد . و أخرج عن البراء قال أول من قدم علينا مهاجراً مصعب بن عمير وابن أم مكـتوم ثـم عمر بن الخطاب في عشرين راكباً فقلنا ما فعل رسول ا فقال هو على أثري ثم قدم رسول ا وأبو بكر معه / الفصـل الـرابع في فضائله / . قد مر منها أربعة وثلاثون حديثاً بل أكثر مقرونة ببعض أحاديث أبي بكر الدالة على خلافته وفضـله . و الخامس والثلاثون الخبر السابق آنفاً اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب . و السادس والثلاثون الخبر السابق آنفاً أيضـاً لمـا أسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر . و الخبر السابع والثلاثون الخبر السابق آنفـاً أيضـاً لمـا أسـلم عمر قال المشركون لقد انتصف القوم اليوم منا وأنزل ا (يا أيها النبي حسبك ا ومن اتبعك من المؤمنيـن) . الحديث الثامن والثلاثون أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول ا (بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امـرأة تتوضأ إلى جانب قصر قلت لمن هذا القصر قالوا لعمر فذكرت غيرتك فوليت مدبراً) فبكى وقال عليك أغار يا رسول ا . الحديـث التاسـع والثلاثون أخرج أحمد والشيخان عن جابر أن النبي قال (رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبـي طلحة وسمعت خشفاً أمامي فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا بلال ورأيت قصراً أبيض بفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر قـالوا لعمـر بـن الخطاب فأردت أن أدخله أنظر إليه فذكرت غيرتك) . الحديث الأربعون أخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسـول ا قـال (بيـنا أنا نائم شربت يعني اللبن حتى أنظر إلى الري يجري في أظفاري ثم ناولته عمر) قالوا فما أولته يا رسـول ا قـال (العلم) . الحديث الحادي والأربعون أخرج أحمد والشيخان والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال سـمعت رسـول ا يقول (بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعـرض علي عمر وعليه قميص يجره) قالوا فما أولته يا رسول ا قال (الدين) . و فيه رواية للحكيم الترمذي على ماذا تـؤول هـذا يا رسول ا وفيها فمنهم من كان قميصه إلى سرته ومنهم من كان قميصه إلى ركبته ومنهم من كان قميصه إلى أنصـاف سـاقيه . و قوله الدين يجوز فيه النصب والرفع وعبر بدله في هذه الرواية بالإيمان وقد قيل في وجه تعبير القميص بالديـن أن القمـيص يستر العورة في الدنيا والدين يسترها في الآخرة ويحجبها عن كل مكروه والأصل فيه (و لباس التقوى ذلـك خير) واتفق المعبرون على ذلك أعني تعبير القميص بالدين وان طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده . و قال ابن العربـي إنما أوله به لأنه يستر عورة الجهل كما أن القميص يستر عورة البدن وأما غير عمر فما يبلغ ثدييه هو ما يستر قلبه عـن الكفـر وإن عصى وما يبلغ اسفل منه وفرجه باد هو من لم يستر رجله عن المشي للمعصية والذي يستر رجله هو الذي احتجـب بالـتقوى من جميع الوجوه والذي يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص . و قال العارف ابن أبي جمرة

المـراد بالناس في الحديث مؤمنو هذه الأمة وبالدين امتثال الأوامر واجتناب النواهي وكان لعمر في ذلك المقام العالي ويؤخذ من الحديث أن كل ما يرى في القميص من حسن أو غيره عبر بدين لابسه ونقصه إما لنقص الإيمان أو العمل وفي الحديث أن أهـل الدين يتفاضلون في الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من أمثلة ما يحمد في المنام ويذم في اليقظة شرعاً أعني جر القميص لما ورد من الوعيد في تطويله . الحديث الثاني والأربعون أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول ا (يـا ابـن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك) . الحديث الثالث والأربعون أخرج أحمد والبخاري عن أبي هريرة وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة أن رسول ا قال (لقد كان فيما قبلكم من الأمـم نـاس محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر) . وأخرج البخاري عن ابن عمر ما سمعت عمر لشيء قط يقول إني لأظـنه كـذا إلا كان كما يظن بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل أي هو سواد ابن قارب فقال عمر لقد أخطأ ظني إن هذا علـى ديـنه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم علي بالرجل فدعا به فقال له ذلك فقال ما رأيت كاليوم أستقبل به رجلاً مسلماً قال فإنـي أعـزم عليك إلا ما أخبرتني قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك في الجاهلية قال بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرف منها الفزع فقالت ألم تر الجن وإبلاسها . الحديث الرابع والأربعون أخرج أحمد والترمذي عن ابن عمر وأحمد وأبو داود والحاكم عن أبي ذر وابو يعلى والحاكم عن أبي هريرة والطبراني عن بلال وعن معاوية رضي ا عـنهم أن رسول ا قال (إن ا تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه) قال ابن عمر وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال إلا أنـزل القـرآن على نحو ما قال عمر . الحديث الخامس والأربعون أخرج أحمد والترمذي والحاكم وصححه عن عقبة بن عامـر والطبراني عن عصمة بن مالك قال قال رسول ا (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب) . و أخرجه الطبراني عـن أبي سعيد الخدري وغيره وابن عساكر من حديث ابن عمر . الحديث السادس والأربعون أخرج الترمذي عن عائشة إني لأنظـر إلـى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر . و أخرج ابن عدي عنها رأيت شياطين الإنس والجن فروا من عمر . الحديـث السابع والأربعون اخرج ابن ماجة والحاكم عن أبي بن كعب قال قال رسول ا (أول من يصافحه الحق عمر وأول مـن يسلم عليه وأول من يأخذه بيده فيدخله الجنة) . و المصافحة هنا كناية عن مزيد الإنعام والإقبال ومر أن أبا بكر أول من يدخـل الجـنة أيضـاً ويجمع بحمل ما هنا على أن الأولية في عمر نسبية أي الأول من يدخلها بعد أبي بكر . الحديث الثامن والأربعون أخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي ذر قال سمعت رسول ا يقول (إن ا وضع الحق على لسان عمر يقول به) . الحديث التاسع والأربعون أخرج أحمد والبزار عن أبي هريرة قال قال رسول ا (إن ا جعل الحق على لسان عمر وقلبه) . و أخـرجه الطبراني من حديث عمر بن الخطاب وبلال ومعاوية بن أبي سفيان وعائشة رضي ا عنهم . و اخرج ابن منيع في مسنده عن علي قال كنا اصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطق على لسان عمر . الحديث الخمسون أخرج البزار عن ابن عمـر وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة وابن عساكر عن الصعب بن جثامة أن رسول ا قال (عمر سراج أهل الجنة) . الحديث الحادي والخمسون أخرج البزار عن قدامة بن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون قال قال رسول ا (هذا غلق الفتنة) وأشـار بـيده إلى عمر (لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش هذا بين أظهركم) . الحديث الثاني والخمسون أخـرج الطبرانـي في الأوسط والحكيم في نوادر الأصول والضياء عن ابن عباس قال جاء جبريل إلى النبي وقال أقرئ عمر السلام وأخبره أن غضبه عز ورضاه حكم وفي رواية أتى جبريل فقال أقرىء عمر السلام وقل له إن رضاه حكم وإن غضبه عـز . الحديـث الثالث والخمسون أخرج ابن عساكر عن عائشة أن النبي قال (إن الشيطان يفر من عمر) . و أخرج أحمد والـترمذي وابـن حبان في صحيحه من طريق بريدة إن الشيطان ليفرق منك يا عمر . الحديث الرابع والخمسون اخرج ابن عساكر وابن عدي عن ابن عباس قال قال رسول ا (ما في السماء ملك إلا وهو يوقر عمر ولا في الأرض شيطان إلا وهو يفـرق من عمر) . الحديث الخامس والخمسون أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال قال رسول ا (إن ا باهى بـأهل عـرفة عامـة وباهى بعمر خاصة) وأخرج في الكبير مثله من حديث ابن عباس . الحديث السادس والخمسون أخرج الطبرانـي والديلمي عن الفضل ابن عباس قال قال رسول ا (الحق بعدي مع عمر حيث كان) . الحديث السابع والخمسون

أخـرج الطبراني عن سديسة قالت قال رسول ا (إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه) وأخرجه الدارقطني في الأفـراد من طريق سديسة عن حفصة . الحديث الثامن والخمسون أخرج الطبراني عن أبي بن كعب قال قال لي رسول ا (قال لي جبريل ليبك الإسلام على موت عمر) . الحديث التاسع والخمسون اخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قـال قال رسول ا (من أبغض عمر فقد ابغضني ومن أحب عمر فقد أحبني وإن ا باهى بالناس عشية عرفة عامة وباهى بعمـر خاصـة وإنـه لم يبعث ا نبياً إلا كان في أمته محدث وإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر قالوا يا رسول ا كيف محـدث قـال تـتكلم الملائكـة على لسانه) /إسناده حسن / . الحديث الستون أخرج أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه والحاكم عن بريدة أن رسول ا قال (يا بلال بم سبقتني إلى الجنة ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي فأتيت على قصـر مـربع مشـرف من ذهب فقلت لمن هذا القصر قالوا لرجل من العرب قلت أنا عربي لمن هذا القصر قالوا لرجل من قريش فقلت أنا من قريش لمن هذا القصر قالوا لرجل من أمة محمد فقلت أنا محمد لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب) . الحديـث الحـادي والسـتون أخـرج أبو داود عن عمر أن رسول ا قال له (لا تنسنا يا أخي من دعائك) . الحديث الثاني والسـتون أخـرج أحمـد وابن ماجة عن عمر أيضاً أن النبي قال له (يا أخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا) . الحديث الثالـث والسـتون اخـرج ابن النجار عن ابن عباس أن رسول ا قال (الصدق بعدي مع عمر حيث كان) . الحديث الرابع والسـتون اخرج الطبراني وابن عدي عن ابن عباس أن رسول ا قال (عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان) . الحديث الخامس والستون أخرج أحمد والترمذي وابن حبان رضي ا عنه في صحيحه عن أنس وأحمد والشيخان عن جابـر وأحمـد عن بريدة وعن معاذ رضي ا عنهم أن رسول ا قال (دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصـر قالوا لشاب من قريش فظننت أني أنا هو فقلت ومن هو قالوا عمر بن الخطاب فلولا ما علمت من غيرتك لدخلته) . الحديـث السـادس والسـتون أخـرج الترمذي والحاكم عن أبي بكر أن النبي قال (ما طلعت الشمس على خير من عمر) . الحديـث السابع والستون أخرج ابن سعد عن أيوب بن موسى مرسلاً قال قال رسول ا (إن ا جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق ا به بين الحق والباطل) . الحديث الثامن والستون اخرج الطبراني عن عصمة بن مالك أن رسول ا قال (ويحك إذا مات عمر فإن استطعت أن تموت فمت) / الفصل الخامس في ثناء الصحابة والسلف عليه رضي ا عنه / . أخـرج ابن عساكر عن الصديق رضي ا عنه قال ما على ظهر الأرض رجل أحب إلي من عمر . و ابن سعد عنه أنه قـيل له فـي مرضـه مـاذا تقول لربك وقد وليت عمر قال أقول له وليت عليهم خيرهم . و الطبراني عن علي قال إذ ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر . و ابن سعد عن ابن عمر قال ما رأيت أحداً بعد رسول ا مـن حيـن قبض أجد ولا أجود من عمر . و الطبراني والحاكم عن ابن مسعود قال لو أن علم عمر يوضع في كفة ميزان ووضـع علم أحياء الأرض في كفة لرجح علم عمر بعلمهم ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم . و الزبير بن بكار عن معاوية قال أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها وأما نحن فتمر غنا فيها ظهراً لبطن . و الحـاكم عـن علي أنه دخل على عمر وهو مسجى فقال رحمة ا عليك ما من أحد أحب إلي أن ألقى ا بما في صحيفته بعد صحيفة النبي من هذا المسجى وتقدم لهذا طرق عن علي . و الطبراني والحاكم عن ابن مسعود قال إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر إن عمر كان أعلمنا بكتاب ا وأفهمنا في دين ا . و الطبراني عن عمر بن ربيعة أن عمر قال لكعب الأحبار كيف تجد نعتي قال أجد نعتك قرن من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في ا لومة لائم قال ثم مه قال ثم يكون من بعـدك خلـيفة تقتله فئة ظالمة قال ثم مه قال ثم يكون البلاء . و أحمد والبزار والطبراني عن ابن مسعود قال فضل عمر بن الخطـاب الناس بأربع بذكر الأسرى يوم بدر أمر بقتلهم فأنزل ا (لولا كتاب من ا سبق) وبذكر الحجاب أمر نساء النبي أن يحتجبـن فقالـت له زينـب وإنك لتغار علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا فأنزل ا (و إذا سألتموهن متاعاً) وبدعوة النبي (اللهم أيد الإسلام بعمر) وبرأيه في أبي بكر كان أول من بايعه . و ابن عساكر عن مجاهد قال كنا نتحدث أن الشـياطين كانت مصفدة في إمارة عمر فلما أصيب بثت / الفصل السادس في موافقات عمر للقرآن والسنة والتوراة / . أخرج

ابن مردويه عن مجاهد قال كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن . و أخرج ابن عساكر عن علي قال إن في القرآن لرأياً من رأي عمـر . و أخـرج عن ابن عمر مرفوعاً ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر . إذا تقـرر ذلـك فموافقاته كثيرة . الأولى والثانية والثالثة أخرج الشيخان عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول ا لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت (و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقلت يا رسول ا يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي عليه في الغيرة فقلت (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكـن) فنزلت كذلك . الرابعة أسارى بدر أخرج مسلم عن سالم عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسارى بـدر وفي مقام إبراهيم . الخامسة تحريم الخمر أخرج أصحاب السنن والحاكم أن عمر قال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فأنـزل ا تحـريمها . السادسة (فتبارك ا أحسن الخالقين) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال قال عمر وافقت ربـي فـي أربـع نزلت هذه الآية (و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) فلما نزلت قلت أنا فتبارك ا أحسن الخالقين . السـابعة قصـة عبد ا بن أبي وحديثها في الصحيح عنه أي عن عمر قال لما توفي عبد ا بن أبي دعي رسول ا للصلاة عليه فقام إليه فقمت حتى وقفت في صدره فقلت يا رسول ا أعلى عدو ا ابن أبي القائل يوم كذا وكذا كذا وكذا فوا ما كان يسـيراً حـتى نزلت (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً) . الثامنة قصة الاستغفار لقوم من المنافقين قال عمر سواء عليهم فأنزل ا (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) . التاسعة الاستشارة في الخروج إلى بدر وذلك أنه استشار أصحابه فـي الخـروج إلـى بدر فأشار عمر بالخروج فنزل قوله تعالى (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) . العاشرة الاستشارة في قصة الإفك وذلك أنه لما استشار الصحابة في قصة الإفك قال عمر من زوجكها يا رسول ا قـال ا قال أفتظن أن ربك دلس عليك فيها (سبحانك هذا بهتان عظيم) فنزلت كذلك . الحادية عشرة قصته في الصيام لما جامع زوجته أخرج أحمد في مسنده أيضاً لما جامع زوجته بعد الانتباه وكان ذلك محرماً في أول الإسلام فنزل (أحل لكم لـيلة الصيام الرفث إلى نسائكم) . الثانية عشرة قوله تعالى (من كان عدواً) إلى آخره أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديـدة أقـربها للموافقة ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهودياً لقي عمر فقال إن جبريل الذي يذكر صـاحبكم عدو لنا فقال عمر (من كان عدواً وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن ا عدو للكافرين) فنزلت على لسان عمر الآية . الثالثة عشرة (فلا وربك لا يؤمنون) الآية أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الأسود قال اختصم رجلان إلـى النبي فقضى بينهما فقال الذي قضى عليه ردنا إلى عمر بن الخطاب فأتيا إليه فقال الرجل قضى لي رسول ا على هذا فقـال لي ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فقال يا رسول ا قتل عمر وا صاحبي فقال (ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قـتل مؤمـن) فأنـزل ا (فـلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسـلموا تسليماً) فأهدر دم الرجل وبرئ عمر من قتله وله شاهد موصول . الرابعة عشرة مسألة الاستئذان في الدخول وذلك أنـه دخل عليه غلامه وكان نائماً فقال اللهم حرم الدخول فنزلت آية الاستئذان . الخامسة عشرة موافقته لقوله تعالى (ثلة من الأوليـن وثلـة من الآخرين) أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن جابر وقصتها مذكورة في أسباب النزول . السادسة عشرة موافقـته في بعض الأذان أخرج ابن عدي في الكامل من طريق عبد ا بن نافع وهو ضعيف عن أبيه عن ابن عمر أن بلالاً كان يقول إذا أذن أشهد أن لا إله إلا ا حي على الصلاة فقال له عمر قل في إثرها أشهد أن محمداً رسول ا فقال رسول ا (قـل كمـا قال عمر) . و الحديث الصحيح الثابت في أول مشروعية الأذان يرد هذا . السابعة عشرة أخرج عثمان بن سعيد الدارمـي من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد ا أن كعب الأحبار قال ويل لملك الأرض من ملك السماء فقال عمر إلا من حاسـب نفسه فقال كعب الأحبار والذي نفسي بيده إنها مكتوبة في التوراة فخر عمر ساجداً / الفصل السابع في كراماته رضي ا عـنه / . الأولـى أخرج البيهقي وابو نعيم واللالكائي وابن الأعرابي والخطيب عن نافع عن ابن عمر /بإسناد حسن /قال وجـه عمـر جيشاً ورأس عليهم رجلاً يدعى سارية فبينا عمر رضي ا عنه يخطب جعل ينادي يا سارية الجبل ثلاثاً ثم قدم رسـول الجـيش فسأله عمر فقال يا أمير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادي يا سارية الجبل ثلاثاً فأسندنا

ظهـرنا إلـى الجـبل فهزمهم ا قال قيل لعمر إنك كنت تصيح بذلك . و ذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجـم . و أخـرج ابـن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر رضي ا عنه قال كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال يا سارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم علي ليخرجن مما قال فلمـا فرغ سألوه فقال وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وإنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد وإن جـاوزوا هلكوا فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه فقال فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم قال فعدلنا إلى الجبل ففتح ا علينا . و اخرج أبو نعيم عن عمرو بن الحارث قال بينا عمر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة وقال يا سارية الجبل مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن إنه لمجنون فدخل عليه عبد الرحمن بن عـوف وكان يطمئن إليه فقال إنك لتجعل لهم على نفسك مقالاً بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح يا سارية الجبل أي شيء هذا قال إنـي وا مـا ملكـت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة سمعنا منادياً ينادي يـا سـارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم ا وقتلهم فقال أولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فإنه مصنوع له . الثانية أخرج أبو القاسم بن بشران من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال قال عمر بن الخطـاب لرجل ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال أين مسكنك قال الحرة قال بأيها قـال بـذات لظى قال عمر أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا وأخرج مالك في الموطأ نحوه وكذلك أخـرجه آخـرون . الثالثة أخرج أبو الشيخ في العظمة بسنده إلى قيس بن الحجاج عمن حدثه قال لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها قال وما ذاك قالوا إذا كان أحـد عشر ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلي افضل ما يكـون ثـم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون في إسلام أبداً وإن الإسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا والنيل لا يجـري قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب له أن قد أصبت بالذي فعلـت وإن الإسـلام يهدم ما كان قبله وبعث بطاقة في داخل كتابه وكتب إلى عمرو إني قد بعثت إليك بطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها من عبد ا عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصـر أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان ا يجريك فأسأل ا الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة عمرو فـي النـيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد أجراه ا ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة فقطع ا تلك السنة عن أهل مصر إلى الـيوم . الـرابعة أخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول احبس هـذه ثم يحدثه بالحديث فيقول له احبس هذه فيقول له كل ما حدثتك حق إلا ما أمرتني أن أحبسه . و أخرج أيضاً عن الحسن قـال إن كان أحد يعرف الكذب إذا حدث به أنه كذب فهو عمر بن الخطاب . الخامسة أخرج البيهقي في الدلائل عن أبي هدبة الحمصـي قال أخبر عمر أن أهل العراق قد حصبوا أميرهم فخرج غضبان فصلى فسها في صلاته فلما سلم قال اللهم إنهم قد لبسوا علي فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم قال ابن لهيعة وما ولد الحجاج يومئذ / خاتمة في نبذ سيرته رضي ا عنه / . أخرج ابن سعد عن آصف بن قيس قال كنا جلوساً بـباب عمر فمرت جارية فقالوا سرية أمير المؤمنين فقال ما هي لأمير المؤمنين بسرية ولا تحل له إنها من مال ا فقلنا فما يحـل له مـن مال ا تعالى قال إنه لا يحل لعمر من مال ا إلا حلتين حلة للشتاء وحلة للصيف وما حج به واعتمر وقوتي وقـوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ثم أنا بعد رجل من المسلمين . و أخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وغـيرهما مـن طرق عن عمر قال إني أنزلت نفسي من مال ا منزلة والي اليتيم من ماله إن أيسرت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف فإن أيسرت قضيت . و احتاج للتداوي بعسل وفي بيت المال عكة فقال إن أذنتم لي وإلا فهي علي حرام فأذنوا له . و مكث زماناً لا يأكل من مال بيت المال شيئاً حتى أصابته خصاصة فاستشار الصحابة فقال قد شغلت نفسي في هذا المال

فمـا يصـلح لـي منه فقال علي غداء وعشاء فأخذ بذلك عمر . و كانت جملة نفقته في حجه ستة عشر ديناراً ومع ذلك يقول أسرفنا في هذا المال . و لما كلمته حفصة وعبد ا وغيرهما فقالوا له لو أكلت طعاماً طيباً لكان أقوى لك على الحق قال أكلكم علـى هذا الرأي قالوا نعم قال قد علمت نصحكم ولكني تركت صاحبي على جادة فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل . قـال وأصـاب الناس سنة فما أكل عامئذ سمناً ولا سميناً وقال مرة أخرى لمن كلمه في طعامه ويحك آكل طيباتي في حياتي الدنـيا وأستمتع بها . و قال لابنه عاصم وهو يأكل لحماً كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهى وكان يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف في الأسواق على عاتقه الدرة يؤدب الناس بها ويمر بالنوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس ينتفعون به . و قال أنس رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه . و قال أبو عثمان الفهري رأيت على عمر إزاراً مـرقوعاً بأدم ولما حج لم يستظل إلا تحت كساء أو نطع يلقيه على شجرة وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء وكان يمر بالآيـة مـن ورده فيسقط حتى يعاد منها أياماً . و أخذ تبنة من الأرض وقال يا ليتني هذه التبنة وليتني لم أك شيئاً ليت أمي لم تلدنـي . و كان يدخل يده في وبرة البعير ويقول إني لخائف أن أسأل عما بك وحمل قربة على عنقه فقيل له في ذلك فقال إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها . و قال أنس تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرمادة وكان قد حرم على نفسه السمن فنقر بطـنه بأصبعه وقال إنه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس ومن ثم تغير لونه في هذا العام حتى صار آدم . و قال أحب الناس إلي من رفع إلي عيوبي . و قال ابن عمر ما رأيت عمر غضب قط فذكر ا عنده أو خوف أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا وقـف عمـا كـان يريد وجيء له بلحم فيه سمن فأبى أن يأكلهما وقال كل واحد منهما أدم . و انكشف فخذه فرأى به أهل نجـران علامـة سوداء فقالوا هذا الذي نجد في كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا . و قال له كعب الأحبار إنا لنجدك في كتاب ا علـى باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة . و أمر عماله منهم سعد بـن أبي وقاص فكتبوا أموالهم فشاطرهم فيها أخذ نصفها وأبقى لهم نصفها أخرج ذلك كله ابن سعد . وأخرج عبد الرزاق عن جابر أنه شكا إلى عمر ما يلقى من النساء فقال عمر إنا لنجد ذلك حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي ما تذهب إلا إلى فتيات بني فـلان فتـنظر إليهن فقال له عبد ا بن مسعود ما يكفيك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام شكا إلى ا خلق سارة فقيل له إنها خلقت من ضلع أعوج فالبسها على ما كان فيها ما لم تر عليها حرمة في دينها . و دخل عليه ابن له عليه ثياب حسنة فضربه بالدرة حتى أبكاه وقال رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه . و أخرج الخطيب أنه وعثمان كانا يتنازعان في المسألة حتى يقول الناظر إنهما لا يجتمعان أبداً فما يفترقان إلا على أحسنه وأجمله

الباب السادس

/ في خلافة عثمان رضي ا عنه /

الباب السادس في خلافة عثمان رضي ا عنه

وذلـك يسـتدعي ذكر عهد عمر إليه وسببه ومقدماته . توفي رضي ا عنه بعد صدوره من الحج شهيداً . أخرج الحاكم عن ابـن المسـيب أن عمـر لمـا نفر من منى وأناخ بالأبطح استلقى ورفع يده إلى السماء وقال اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشـرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل . و قال له كعب أجدك في التوراة تقتل شهيداً فقال وأنى لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب . و أخرج البخاري عنه أنه قال اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك . و أخرج الحاكم أنه خطب فقال رأيت كأن ديكاً نقرني نقرة أو نقرتين وإني لا أراه إلا حضر أجلي وإن قوماً يأمرونـي أن أستخلف وإن ا لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فإن عجل بي أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسـول ا وهو عنهم راض . و قال له رجل ألا تستخلف عبد ا بن عمر فقال له قاتلك ا وا ما أردت ا بهذا أستخلف رجـلاً لم يحسن أن يطلق امرأته أي لأنه في زمن رسول ا طلقها في الحيض فقال لعمر (مره فليراجعها) . و كان لا يأذن لسـبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر غلاماً عنده يحسن أعمالاً كثيرة فيها مـنافع للـناس كالحدادة والنقش والتجارة ويصنع الأرحاء فأذن له في دخول المدينة واسمه أبو لؤلؤة وهو مجوسي فجاء لعمر

يشـتكي مـن ثقـل خراجه وهو أربعة دراهم كل يوم فقال له ما خراجك بكثير فانصرف مغضباً وقال وسع الناس كلهم عدله غـيري ثـم بعد يسير أرسل إليه عمر فقال له ألم أخبر أنك تقول لو أشاء لصنعت رحا تطحن بالريح فالتفت إلى عمر عابساً وقـال لأصنعن لك رحا يتحدث الناس بها فلما ولى قال عمر لأصحابه أوعدني العبد آنفاً وكان كذلك فأضمر قتله وأعد خنجراً وشـحذه وسـمه ثم كمن له في الغلس بزاوية من زوايا المسجد حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة وكان عمر يأمر بتسوية الصفوف قبل الإحرام فجاء أبو لؤلؤة إلى أن دنا من عمر فضربه بذلك الخنجر ثلاثاً في كتفه وفي خاصرته فوقع عمر وطعن معـه ثلاثـة عشـر رجلاً فمات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوباً فلما اغتم فيه قتل نفسه وحمل عمر إلى أهله وكـادت تطلـع الشمس فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين . و أتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبناً فخرج من جرحه فقالوا لا بأس عليك فقال عمر إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت فجعل الناس يثنون عليه ويقولون كنـت وكنـت فقال أما وا ودت أني خرجت منها كفافاً لا علي ولا لي وأن صحبة رسول ا سلمت لي . و أثنى عليه ابن عـباس فقـال لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع وقد جعلتها شورى في عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد . و أمر صهيباً أن يصلي بالناس وأجل الستة ثلاثاً وكانت إصابته يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سـنة ثـلاث وعشرين ودفن يوم الأحد وصح أن الشمس انكسفت يوم موته وناحت الجن عليه . و في رواية أنه قال الحمد الـذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام ثم قال لابنه عبد ا انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوهـا فقال إن وفى مال آل عمر أده من أموالهم وإلا فاسأل في بني عدي فإن لم تف أموالهم فاسأل في قريش واذهب إلى أم المؤمنيـن عائشـة فقل يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فذهب إليها فقال كنت أريده تعني المكان لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسـي فأتى عبد ا فقال قد أذنت فحمد ا تعالى وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف قال ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مـن هـؤلاء النفر الذين توفى رسول ا وهو عنهم راض فسمى الستة وقال يشهد عبد ا بن عمر معهم وليس له من الأمر شـيء فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة ثم قال أوصي الخليفة مـن بعـدي بتقوى ا تعالى وأوصيه بالمهاجرين والأنصار وأوصيه بأهل الأمصار خيراً في مثل ذلك من الوصية فلما توفي خرجنا به نمشي فسلم عليها عبد ا بن عمر وقال عمر يستأذن فقالت عائشة أدخلوه فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه فلما فرغ مـن دفـنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمري إلـى علـي وقـال سعد قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت أمري إلى عثمان فخلا هؤلاء الثلاثة فقال عبد الرحمن أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه وا عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الأمة فسكت الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن اجعلوه إلي و علي أن لا آلوكم عن أفضلكم قالا نعم فخلا بعلي وقال لك مـن القدم في الإسلام والقرابة من رسول ا ما قد علمت ا عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن قال نعم ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي . و كانت مبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال وروي أن الناس كانوا يجتمعون في تلك الأيام إلى عبد الرحمن يشاورونه ويناجونه فلا يخلو به رجل ذو رأي فيعدل بعثمان أحداً ولما جلـس عبد الرحمن للمبايعة حمد ا وأثنى عليه وقال في كلامه إني رأيت الناس يأبون إلا عثمان أخرجه ابن عساكر . و في رواية أنه قال أما بعد يا علي فإني قد نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلاً ثم أخذ بيد عثمان فقـال نـبايعك على سنة ا وسنة رسوله وسنة الخليفتين بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه المهاجرون والأنصار . و أخرج ابن سعد عن أنس قال أرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة فقال كن في خمسين من الأنصار مع هؤلاء النفر أصـحاب الشورى فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت فقم على ذلك الباب بأصحابك فلا تترك أحداً يدخل عليهم ولا تتركهم يمضـي الـيوم الثالـث حتى يؤمروا أحدهم . و في مسند أحمد عن أبي وائل قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً فقال ما ذنبي قد بدأت بعلي فقلت أبايعك على كتاب ا وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر فقال فيما استطعت ثم عرضت ذلك على عثمان فقال نعم . و يروى أن عبد الرحمن قال لعثمان في خلوة إن لم أبايعك فمن تشير علي قال علي وقال

لعلـي إن لـم أبـايعك فمن تشير علي قال عثمان ثم دعا سعداً فقال له من تشير علي فأما أنا وأنت فلا نريدها فقال عثمان ثم استشـار عـبد الرحمـن الأعيان فرأى هوى أكثرهم في عثمان . و أخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود أنه قال لما بويع عـثمان أمـرنا خير من بقي ولم نأل . فثبت بذلك جميعه صحة بيعة عثمان وإجماع الصحابة عليها وأنه لا مرية في ذلك ولا نـزاع فيه وأن علياً رضي ا عنه من جملة من بايعه وقد مر ثناؤه عليه وقوله إنه غزا معه وأقام الحدود بين يديه ومر أيضاً أحاديـث كثيرة دالة على خلافته وأنها بعد خلافة عمر فلا تحتاج إلى إعادة ذلك هنا وأنها فرع عن خلافة عمر التي هي فرع عن خلافة الصديق وقد قام الإجماع وأدلة الكتاب والسنة على حقية خلافة أبي بكر ولزم من ذلك قيامها على حقية خلافة عمر ثم على حقية خلافة عثمان فكانت بيعة صحيحة وخلافة حقاً لا مطعن فيها

الباب السابع

/ فـي فضـائله ومآثره رضي ا عنه وفيه فصول / / الفصل الأول في إسلامه وهجرته وغيرهما / . أسلم قديماً وهو ممن دعاه الصديق رضي ا عنه إلى الإسلام وهاجر الهجرتين إلى الحبشة الأولى والثانية إلى المدينة وتزوج رقية بنت رسول ا قـبل النـبوة وماتت عنده في ليالي غزوة بدر فتأخر عنها لتمريضها بإذن رسول ا فضرب له بسهمه وأجره فهو معدود من البدريين بذلك وجاء البشير بنصر المسلمين يوم دفنوها بالمدينة ثم زوجه رسول ا أختها أم كلثوم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجـرة . قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذا سمي ذا النورين . فهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين وأحـد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفي رسول ا وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ومر أن الصديق رضي ا عنه جمعه أيضاً وإنما تميز عثمان بجمعه في المصحف على ترتيبه المعروف اليوم واستخلفه رسول ا على المدينة في غزوة ذات الرقاع وإلى غطفان . قال ابن إسحاق وكان أول الناس إسلاماً بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة وكـان ذا جمـال مفرط . و قد أخرج ابن عساكر عن أسامة بن زيد قال بعثني رسول ا إلى منزل عثمان بصحفة فيها لحم فدخلـت فإذا رقية جالسة فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية ومرة إلى وجه عثمان فلما رجعت سألني رسول ا قال لي (دخلت عليهما) قلت نعم قال (فهل رأيت زوجاً أحسن منهما) قلت لا يا رسول ا . و أخرج ابن سعد أنه لما أسلم أخذه عمه الحكم بـن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطاً وقال ترغب عن ملة آبائك إلى دين محمد وا لا أفكك أبداً حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان وا لا أدعه أبداً ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه . و أخرج أبو يعلى عن أنس قال أول من هاجر إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان فقال رسول ا (صحبهما ا إن عثمان لأول من هاجر إلى ا بأهله بعد لوط) . و أخرج ابن عدي عن عائشة رضي ا عنها قالت لما زوج النبي بنته أم كلثوم بعثمان قال لها (إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد) / الفصل الثاني في فضائله رضي ا عنه / . مر منها جملة في أحاديث خلافة أبي بكر وفضائله ومن جملة ما مر ما يدل على خلافته وأنها عقب خلافة عمر ومن جملته أيضاً أنه وزن بالأمة بعد الشيخين فعدلها ثم رفع الميزان . الحديث الأول أخـرج الشـيخان عن عائشة رضي ا عنها أن النبي جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال (ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة) . الحديث الثاني أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي ا عنهما أن رسول ا قال (أشد أمتي حياء عثمان بن عفان) . الحديث الثالث أخرج الخطيب عن ابن عباس وابن عساكر عن عائشة أن النبي قال (إن ا تعالى أوحى إلي أن أزوج كريمتي يعني رقية وأم كلثوم من عثمان) . الحديث الرابع أخرج أحمد ومسلم عن عائشة أيضاً أن رسول ا قال (إن عـثمان رجـل حيي وإني خشيت إن أذنت له وأنا على تلك الحالة أن لا يبلغ إلي في حاجته) . الحديث الخامس أخرج أحمد ومسلم عن عائشة أيضاً أن رسول ا قال (ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة) . الحديث السادس أخرج ابن عساكر عـن أبـي هريرة أن رسول ا قال إن عثمان حيي تستحيي منه الملائكة) . الحديث السابع أخرج أبو نعيم عن ابن عمر أن رسول ا قال (عثمان أحيى أمتي وأكرمها) . الحديث الثامن أخرج أبو نعيم عن أبي أمامة أن رسول ا قال (إن أشد هذه الأمـة بعد نبيها حياء عثمان بن عفان) . الحديث التاسع أخرج أبو يعلى عن عائشة أن رسول ا قال (إن عثمان حيي ستير تستحي منه الملائكة) . الحديث العاشر اخرج الطبراني عن أنس أن رسول ا قال (إن عثمان لأول من هاجر بأهله إلى ا

بعـد لـوط) . الحديث الحادي عشر أخرج ابن عدي وابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول ا (إنما نشبه عثمان بأبينا إبراهـيم) . الحديـث الثاني عشر أخرج الطبراني عن أم عياش أن رسول ا قال (ما زوجت عثمان أم كلثوم إلا بوحي من السـماء) . الحديث الثالث عشر اخرج ابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول ا قال لعثمان (يا عثمان هذا جبريل يخبرني أن ا قـد زوجـك أم كلـثوم بمـثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها) . الحديث الرابع عشر أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه والحـاكم عـن عائشة أن النبي قال لعثمان (يا عثمان إن ا مقمصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانـي) . و هذا من الأحاديث الظاهرة في خلافته الدالة دلالة واضحة على حقيتها لنسبة القميص في الحديث المكنى به عن الخلافة إلى ا تعالى . الحديث الخامس عشر أخرج أبو يعلى عن جابر أن النبي قال (عثمان بن عفان وليي في الدنيا ووليي فـي الآخـرة) . الحديث السادس عشر أخرج ابن عساكر عن جابر أن النبي قال (عثمان في الجنة) . الحديث السابع عشر أخـرج ابـن عسـاكر عـن أبي هريرة أن رسول ا قال (لكل نبي خليل في أمته وإن خليلي عثمان بن عفان) . و مر في أحاديـث فضائل الصديق نحو هذا الحديث في حق الصديق أيضاً وأنه لا ينافي الخبر المشهور لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخـذت أبـا بكر خليلاً . . الحديث الثامن عشر أخرج الترمذي عن طلحة وابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي قال لكل نبي رفـيق فـي الجـنة ورفيقي فيها عثمان . الحديث التاسع عشر اخرج ابن عساكر عن ابن عباس أن رسول ا قال (ليدخلن بشـفاعة عثمان سبعون ألفاً كلهم قد استوجبوا النار الجنة بغير حساب) . الحديث العشرون أخرج الطبراني عن زيد بن ثابت أن رسـول ا قـال (ما كان بين عثمان ورقية وبين لوط من مهاجر) . الحديث الحادي والعشرون أخرج البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال أنشدكم با ولا أنشد إلا أصحاب النبي ألستم تعلمون أن رسول ا قـال (مـن جهـز جـيش العسرة فله الجنة) فجهزتهم ألستم تعلمون أن رسول ا قال (من حفر بئر رومة فله الجنة) فحفـرتها فصدقوه بما قال . الحديث الثاني والعشرون أخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبي وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان يا رسول ا علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل ا ثم حض على الجيش فقال عـثمان يـا رسـول ا علـي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل ا ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول ا علي ثلاثمائـة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل ا فنزل رسول ا وهو يقول (ما على عثمان ما فعل بعد هذه) . الحديث الثالث والعشرون أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان إلى النبي بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل رسول ا يقبلها ويقول (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم) . الحديث الرابع والعشرون أخرج الترمذي عن أنس قال لما أمر رسول ا ببيعة الرضوان كان عثمان رسول رسول ا إلى أهـل مكـة فبايع الناس فقال النبي (إن عثمان في حاجة ا وحاجة رسول ا) فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول ا لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم ونسبة الحاجة إلى ا تعالى على طريق الاستعارة والتمثيل المقرر في علم البيان . الحديـث الخـامس والعشرون أخرج الترمذي عن ابن عمر قال ذكر رسول ا فتنة فقال (يقتل فيها هذا مظلوماً) لعثمان . الحديـث السـادس والعشرون أخرج الترمذي وابن ماجة والحاكم وصححه عن مرة بن كعب قال سمعت رسول ا يذكر فتنة يقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال (هذا يومئذ على الهدى) فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان فأقبلت إليه بوجهي فقلت هذا قـال (نعم) . الحديث السابع والعشرون أخرج الترمذي عن عثمان أنه قال يوم الدار إن رسول ا عهد إلي عهداً فأنا صابر عليه وأشار بذلك إلى قوله في الخبر السابق (إن ا مقمصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني) . الحديـث الثامن والعشرون أخرج الحاكم عن أبي هريرة قال اشترى عثمان الجنة من النبي مرتين حين حفر بئر رومة وحين جهز جيش العسرة . الحديث التاسع والعشرون اخرج ابن عساكر عن أبي هريرة أن النبي قال (عثمان من أشبه أصحابي بي خلقـاً) . الحديـث الثلاثون أخرج الطبراني عن عصمة بن مالك قال لما ماتت بنت رسول ا تحت عثمان قال رسول ا (زوجـوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوجته وما زوجته إلا بوحي من السماء) . الحديث الحادي والثلاثون أخرج ابن عساكر عن علـي قـال سمعت النبي يقول لعثمان (لو أن لي أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة) . الحديث

الثانـي والـثلاثون اخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول ا يقول (مر بي عثمان وعندي ملك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه إنا نستحيي منه) . الحديث الثالث والثلاثون أخرج أبو يعلى عن ابن عمر رضي ا عنهما أن النبي قال (إن الملائكة لتستحيي من عثمان كما تستحيي من ا ورسوله) . و أخرج ابن عساكر عن الحسن أنه ذكر عنده حياء عثمان فقـال إن كان ليكون في جوف البيت والباب عليه مغلق فيضع ثوبه ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء أن يرفع صلبه . الحديث الـرابع والثلاثون أخرج ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس مرفوعاً (إن سيفاً مغموداً في غمده ما دام عثمان حياً فإذا قـتل عـثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد إلى يوم القيامة) تفرد به عمرو بن فائد وله مناكير / الفصل الثالث في نبذ من مآثره وبقـية غـرر من فضائله وفيما أكرمه ا به من الشهادة التي وعده بها النبي وأخبر وهو الصادق المصدوق أنه مظلوم وأنه يومـئذ علـى الهدى / . قال (يقتل هذا مظلوماً) وأشار إلى عثمان رضي ا عنه أخرجه البغوي في المصابيح من الحسان والـترمذي وقال /حسن غريب / وأخرجه أحمد فكان كما قال (فسيكفيكهم ا وهو السميع العليم) . و في الشفا أنه قال يقتل عـثمان وهو يقرأ في المصحف وإن ا عسى أن يلبسه قميصاً وأنهم يريدون خلعه وأنه يسيل دمه على قوله (فسيكفيكهم ا وهـو السميع العليم) أه . و قد أخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ إن رسول ا قال (يا عثمان تقتل وأنت تقرأ سورة البقرة فـتقع قطرة من دمك على (فسيكفيكهم ا)) لكن قال الذهبي إنه/ حديث موضوع / أي قوله فيه وأنت تقرأ إلى آخره وأما الإخـبار بأصـل القـتل فصـحيح كما في أحاديث كثيرة منها حديث البئر السابق آخر فضائل أبي بكر رضي ا عنه ومنها /الحديـث الصحيح / أنه ذكر فتنة فمر رجل فقال يقتل فيها هذا يومئذ ظلماً قال ابن عمر رواية فنظرت فإذا هو عثمان . كان مقـتله سنة خمس وثلاثين في أوسط أيام التشريق وصلى عليه الزبير وكان أوصى إليه ودفن في حش كوكب بالبقيع وهو أول مـن دفن به . و قيل قتل ثامن عشر ذي الحجة يوم الجمعة وقيل لست بقين منه وعمره اثنتان وثمانون سنة على خلاف طويل فـيه . و أخرج ابن عساكر عن جمع أن قاتله رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال له حمار . و أخرج أحمد عن المغيرة بن شـعبة أنـه دخل عليه وهو محصور الحصر الآتي في الباب الآتي فقال له إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى وإني أعرض علـيك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهن إما أن تخرج فتقاتلهم فإن معك عدداً وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل وإما أن تخرق لـك باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على راحلتك فتلحق بمكة فإنهم لن يستحلوك وأنت بها وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشـام وفـيهم معاوية فقال عثمان أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول ا في أمته بسفك الدماء وأما أن أخرج إلـى مكة فإني سمعت رسول ا يقول (يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه مثل عذاب العالم) فلن أكون أنا وأما أن ألحق بالشـام فلـن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول ا . و اخرج ابن عساكر عن أبي ثور الفهري قال دخلت على عثمان وهو محصـور فقـال لقـد اختبأت عند ربي عشراً إني لرابع أربعة في الإسلام وأنكحني رسول ا ابنته ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى وما تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول ا وما مرت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعـتق فـيها رقبة إلا أن لا يكون عندي شيء فأعتقها بعد ذلك أي فجملة ما أعتقه ألفان وأربعمائة رقبة تقريباً ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط ولا شربت في جاهلية ولا إسلام ولقد جمعت القرآن على عهد رسول ا . و أخرج ابن عساكر عن يزيد بـن أبـي حبيب قال بلغني أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان جنوا . و اخرج ابن عساكر عن حذيفة قال أول الفتن قتل عـثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركـه وإن لم يدركه آمن به في قبره . و عن ابن عباس لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء . و أخرج أيضـاً عـن الحسـن قال قتل عثمان وعلي غائب في أرض له فلما بلغه قال اللهم إني لم أرض ولم أمالئ . و أخرج الحاكم وصـححه عـن قـيس بن عبادة قال سمعت علياً يوم الجمل يقول اللهم إني ابرأ إليك من دم عثمان ولقد طاش عقلي يوم قتل عـثمان وأنكـرت نفسـي وجاؤوني للبيعة فقلت وا إني لأستحيي أن أبايع قوما قتلوا عثمان وإني لأستحيي من ا أن أبايع وعـثمان لـم يدفن بعد فانصرفوا فلما رجع الناس فسألوني البيعة قلت اللهم إني مشفق مما اقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت فقالوا يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي وقلت اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى . و أخرج ابن عساكر عن أبي خلدة الحنفي

قـال سـمعت علـياً يقـول إن بني أمية يزعمون أني قتلت عثمان ولا وا الذي لا إله إلا هو ما قتلت ولا مالأت ولقد نهيت فعصوني . و أخرج عن سمرة قال إن الإسلام في حصن حصين وإنهم ثلموا في الإسلام ثلمة عظيمة بقتلهم عثمان لا تنسد إلى يـوم القيامة . و أخرج عبد الرزاق أن عبد ا بن سلام كان يدخل على محاصري عثمان فيقول لا تقتلوه فوا لا يقتله رجل منكم إلا لقي ا أجذم لا يد له وإن سيف ا لم يزل مغموداً وإنكم وا إن قتلتموه ليسلنه ا ثم لا يغمد عنكم أبداً وما قتل نبي قط إلا قتل به سبعون ألفاً ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً قبل أن يجتمعوا . و أخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن مهـدي قال خصلتان لعثمان ليستا لأبي بكر ولا لعمر رضي ا عنهم صبره نفسه حتى قتل وجمعه الناس على المصحف . و أخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عمر أن جهجاه الغفاري قام إلى عثمان وهو يخطب فأخذ العصا من يده فكسرها على ركبته فمـا حال الحول حتى أرسل ا في رجله الآكلة فمات منها / تتمة نقم الخوارج عليه رضي ا عنه أموراً هو منها بريء / . مـنها عزـله أكابر الصحابة من أعمالهم وولاها دونهم من أقاربه كأبي موسى الأشعري عن البصرة وعمرو بن العاص عن مصـر وعمار بن ياسر عن الكوفة والمغيرة بن شعبة عنها أيضاً وابن مسعود عنها أيضاً وأشخصه إلى المدينة . و جوابه أنه إنما فعل ذلك لأعذار أوجبت عليه ذلك فأما أبو موسى فإن جند عمله شكوا شحه وجند الكوفة نقموا عليه أنه أمرهم بأمر عمر لهم بطاعته بفتح رامهرمز ففتحوها وسبوا نساءها وذراريها فلما بلغه ذلك قال إني كنت أمنتهم فكتبوا لعمر فأمر بتحليفه فحاف فأمـر برد ما أخذ منهم فرفعوه لعمر فعتب عليه وقال لو وجدنا من يكفينا عملك عزلناك فلما توفي عمر اشتد غضب الجنديين علـيه فعزله عثمان خوف الفتنة . و أما عمرو بن العاص فلإكثار أهل مصر شكايته وقد عزله عمر لذلك ثم رده لما ظهر له التنصـل ممـا شـكوه منه وتوليته ابن أبي سرح بدله فهو وإن كان ارتد في زمنه فأهدر دمه يوم الفتح أسلم وصلح حاله بل ظهرت منه في ولايته آثار محمودة كفتح طائفة كثيرة من تلك النواحي وكفاه فخراً أن عبد ا بن عمرو بن العاص قاتل تحت رايـته ككثـير من الصحابة بل وجدوه أقوم لسياسة الأمر من عمرو بن العاص ومن أحسن محاسنه اعتزاله الفريقين لما قتل عـثمان وأنـه لم يقاتل مسلماً بعد قتاله المشركين . و أما عمار فالذي عزله عمر لا عثمان . و أما المغيرة فأنهي لعثمان أنه ارتشـى فلمـا رأى تصميمهم على ذلك ظهر أن المصلحة في عزله وإن كانوا كاذبين عليه . و أما ابن مسعود فكان ينقم على عـثمان كثـيراً فظهـرت له المصلحة في عزله على أن المجتهد لا يعترض عليه في الأمور الاجتهادية لكن أولئك الملاعين المعترضـين لا فهـم لهم بل ولا عقل . و منها أنه أسرف في بيت المال حيث أعطى أكثره لأقاربه كالحكم الذي رده للمدينة وكـان النبي نفاه عنها إلى الطائف وكاتبه مروان أعطاه مائة ألف وخمس أفريقية والحارث أعطاه عشر ما يباع بسوق المدينة وجاءه أبو موسى بحلية ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته وأنفق أكثر بيت المال في ضياعه ودوره . و جواب ذلك أن أكثر ذلـك مخـتلق عليه ورده الحكم إنما كان لكونه وعده بذلك لما استأذنه فيه فنقله للشيخين فلم يقبلاه لكونه واحداً فلما ولي قضى بعلمـه كمـا هـو قول أكثر الفقهاء على أن الحكم تاب مما نفي لأجله . و الحق في مروان أن ما تعذر نقله من أثاث أفريقية وحـيوانها اشتراه من ابن أبي سرح الأمير بمائة ألف نقد أكثرها وسبق مبشراً بفتحها فترك عثمان له البقية جزاء لبشارته فإن قلـوب المسلمين كانت في غاية القلق بشدة أمر إفريقية وللإمام أن يعطي المبشر ما يراه لائقاً بتعبه وخطر بشارته وتلك المئة ألـف إنما جهزها من مال بيت الحارث وثروة عثمان جاهلية وإسلاماً لا تنكر وما ذكروه في العشور غير صحيح نعم جعل له السوق لينظر فيه بالمصلحة فوقع منه جور فعزله . و قصة أبي موسى ذكرها ابن إسحاق /بسند فيه مجهول /وهو ليس بحجة في ذلك وغنى عثمان الواسع وإنفاقه في غزوة تبوك بما هو مشهور عنه يمنع نسبة ذلك وأقل منه وأكثر إليه غاية الأمر أنه لو سلم أنه أكثر من إعطاء أقاربه من بيت المال كان اجتهاداً منه فلا يعترض به عليه وزعم أنه منع أن لا يشتري أحد قبل وكيله وأن لا تسـير سـفينة من البحرين إلا في تجارته باطل على أنه كان متبسطاً في التجارات فلعله حمى سفنه أن لا يركب فيها غـيره وفوض لزيد بن ثابت نظر بيت المال ففضلت منه فضلة فصرفها في عمارة ما زاده في مسجده فتقولوا أنه صرفها في عمـارة دوره كمـا تقولـوا أنه حمى لنفسه مع أنه حمى لإبل الصدقة وأنه أقطع أكثر أراضي بيت المال مع أنه إنما أذن في الإحـياء على أنه عوض أشراف اليمن مثل ما تركوه من أراضيهم لما جاءوا إلى المدينة ليستمروا بها تجاه الأعداء وذلك فيه

مصـلحة عامة فلا يعترض به . و منها أنه حبس عطاء ابن مسعود وأبي بن كعب ونفى أبا ذر إلى الربذة وأشخص عبادة بن الصامت من الشام إلى المدينة لما اشتكاه معاوية وهجر ابن مسعود وقال لابن عوف إنك منافق وضرب عمار بن ياسر وانتهك حـرمة كعب بن عجرة فضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال وكذلك حرمة الأشتر النخعي . و جواب ذلك أن حبسه لعطـاء ابن مسعود وهجره له فلما بلغه عنه مما يوجب ذلك إبقاء لأبهة الولاية لا سيما وكل منهما مجتهد فلا يعترض ما فعله أحدهمـا مـع الآخـر نعم زعم أن عثمان أمر بضربه باطل ولو فرضت صحته لم يكن بأعظم من ضرب عمر لسعد بن أبي وقـاص بـالدرة على رأسه حيث لم يقم له وقال إنك لم تهب الخلافة فأردت أن تعرف أن الخلافة لا تهابك ولم يتغير سعد من ذلـك فابن مسعود أولى لأنه كان يجبه عثمان بما لا يبقي له حرمة ولا أبهة أصلاً بل رأى عمر أبياً يمشي وخلفه جماعة فعلاه بـالدرة وقـال إن هذا فتنة لك ولهم فلم يتغير أبي على أن عثمان جاء لابن مسعود وبالغ في استرضائه فقيل قبله واستغفر له وقـيل لا وكذلـك مـا وقع له مع أبي ذر فإنه كان يتجاسر عليه بما يخرم أبهة ولايته فما فعله معه ومع غيره إنما هو صيانة لمنصـب الشريعة وحماية لحرمة الدين وإن عذر أبو ذر بقصده منه أن يجري على ما كان عليه الشيخان على أنه جاء أن أبا ذر إنما اختار التحول اعتزالاً للناس مع أمر عثمان له بعدمه وقوله له أقم عندي تغدو عليك اللقاح وتروح فقال لا حاجة لي في الدنـيا وقضـية عبادة باطلة من أصلها وكذا قصة عبد الرحمن بن عوف رضي ا عنهما وإنما كان مستوحشاً منه لأنه كان يجـبهه كثيراً ولم يضرب عماراً إنما ضربه غلمانه لما كرر إرسالهم إليه ليجيء إلى المسجد حتى يعاتبه في أشياء نقمها عليه وهـو يعتذر إليه فلم يقبل وقد حلف عثمان وغلظ أنه لم يأمرهم بذلك ثم بالغ في استرضائه وظهر منه ما يدل على أنه رضي عنه . و فعله بكعب ما ذكر فعذره فيه أنه كتب إليه فأغلظ عليه ثم استدرك عثمان ذلك فبالغ في استرضائه فخلع قميصه ودفع إليه سوطاً ليقتص منه فعفا ثم صار من خواصه . و ما فعله بالأشتر معذور فيه فإنه رأس فتنة في زمان عثمان بل هو السبب في قتله بل جاء أنه هو الذي باشر قتله بيده فأعمى ا بصائرهم كيف لم يذموا فعل هذا المارق وذموا فعل من شهد له الصادق المصـدوق بأنـه الإمام الحق وأنه يقتل شهيداً مظلوماً وأنه من أهل الجنة . ومنها أنه أحرق المصاحف التي فيها القرآن . و جوابـه أن هذا من فضائله لأن حذيفة وغيره أنهوا إليه أن أهل الشام والعراق اختلفوا في القرآن ويقول بعضهم لبعض قرآني خـير مـن قرآنك وهذا يكاد أن يكون كفراً فرأى عثمان أن يجمع الناس على مصحف واحد فأخذ صحف أبي بكر التي جمع القرآن فيها فانتسخ منها مصحفاً وأمر الناس بالتزام ما فيه ثم كتب منه مصاحف وأرسلها إلى البلدان وأمر بذلك لاختلاف الأمة ومـن ثـم قال علي كرم ا وجهه وا لو وليت لفعلت الذي فعل عثمان وقال لا تسبوا عثمان في جمعه ذلك فإنه لم يعمله إلا عـن ملأ منا وقد بسطت هذه القصة وما فيها من الفوائد في شرح المشكاة . و منها تركه قتل عبيد ا بن عمر بقتله الهرمزان وجفيـنة وبنتاً صغيرة لأبي لؤلؤة قاتل عمر مع إشارة علي والصحابة بقتله . و جواب ذلك أن جفينة نصراني وابنة أبي لؤلؤة أبوهـا مجوسي وأمها حالها مجهول فلم يتحقق إسلامها وأما الهرمزان فهو المشير والآمر لأبي لؤلؤة على قتل عمر وجماعة مجتهدون على أن الآمر يقتل كالمأمور على أنه خشي ثوران فتنة عظيمة لما أراد قتله لو توفرت فيه الشروط لقالت قبائل من قريش لا يقتل عمر أمس وابنه اليوم فترك قتل عبيد ا واسترضى أهل الهرمزان . ومنها إتمامه الصلاة بمنى لما حج بالناس . و جوابه أن هذه مسألة اجتهادية فالاعتراض بها جهل قبيح وغباوة ظاهرة إذ أكثر العلماء على أن القصر جائز لا واجب . و منها أنه كان غادراً لما وقع له مع محمد بن أبي بكر رضي ا عنه مما يأتي قريباً . و جوابه إنه حلف لهم كما يأتي فصدقوه إلا مـن فـي قلـبه مرض . و الحاصل أنه صح عن الصادق المصدوق أنه على الحق وأن له الجنة وأنه يقتل مظلوماً وأمر باتـباعه ومن هو كذلك كيف يعترض عليه بأكثر تلك الترهات أو بجميع ما مر من الاعتراضات وصح أيضاً أنه أشار إليه أنه سـيتولى الخلافـة وأن المنافقيـن سيراودونه على خلعه وأنه لا يطيعهم هذا مع ما علم من سابقته وكثرة إنفاقه في سبيل ا وغيرهما مما مر في مآثره رضي ا تعالى عنه

الباب الثامن في خلافة علي كرم ا وجهه ولنقدم عليها قصة قتل عثمان رضي ا عنه لما أنها مترتبة على قتله بمبايعة أهل الحل والعقد له حينئذ كما يأتي

/ مقتل عثمان وخلافة علي رضي ا عنهما / . أخرج ابن سعد عن الزهري قال ولي عثمان اثنتي عشرة سنة فلم ينقم عليه الناس شيئاً مدة ست سنين بل كان أحب إلى قريش من عمر لأن عمر كان شديداً عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم ثم توانى في أمرهم واستعمل أقاربه وأهل بيته في الست الأواخر وأعطاهم المال متأولاً في ذلك الصلة التي أمر ا بها وقال إن أبـا بكر وعمر تركا من ذلك ما كان لهما وإني أخذته فقسمته في أقربائي فأنكر عليه ذلك . و أخرج ابن عساكر عن الزهري قـال قلـت لابـن المسيب هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان ما كان شأن الناس وشأنه ولم خذله أصحاب محمد فقال ابن المسـيب قـتل عـثمان مظلوماً ومن قتله كان ظالماً ومن خذله كان معذوراً فقلت كيف قال لأنه لما ولي كره ولايته نفر من الصـحابة لأنه كان يحب قومه فكان كثيراً ما يولي بني أمية ممن لم يكن له صحبة فكان يجيء من أمرائه ما تنكره الصحابة وكـان يستعتب فيهم فلا يعزلهم فلما كان في الست الأواخر استأثر بني عمه فولاهم دون غيرهم وأمرهم بتقوى ا فولى عبد ا بـن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وقد كان قبل ذلك من عثمان هنات إلى عبد ا بـن مسـعود وأبـي ذر وعمار بن ياسر فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عـثمان لحال عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح فكتب إليه كتاباً يتهدده فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجـل فـنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم فقام طلحة بن عبيد ا فكلم عثمان بكـلام شـديد وأرسـلت عائشة إليه تقول له تقدم إليك أصحاب محمد وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت فهذا قد قتل منهم رجلاً فأنصـفهم مـن عـاملك ودخل عليه علي بن أبي طالب فقال إنما يسألونك رجلاً مكان رجل وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه فقال لهم اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر فكتـب عهده وولاه وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبي سرح فخرج محمد ومـن معـه فلما كان على مسيرة ثلاث من المدينة إذ هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير خبطاً كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال أصحاب محمد بن أبي بكر ما قضيتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال لهم أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر فقال له رجل منهم هذا عامل مصر قال ليس هذا أريد وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه رجلاً فأخذه وجاء بـه إلـيه فقال له رجل غلام من أنت فأقبل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان فقال له محمد إلى من أرسلت قال إلى عامل مصر قال له بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كـتاباً وكانـت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبـي سـرح فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء يتظلم إلي منك حتى يأتيك رأيي فـي ذلـك إن شـاء ا تعالى فلما قرأوا الكتاب فزعوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفعوا الكـتاب إلـى رجـل مـنهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب محمد ثم فضوا الكتاب بمحضـر مـنهم وأخبروهم بقصة الغلام واقرأوهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وزاد ذلك من كان غضـب لابـن مسعود وأبي ذر وعمار حنقا وغيظاً وقام أصحاب محمد فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما قرأوا الكـتاب وحاصـر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بني تيم وغيرهم فلما رأى ذلك علي بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدري ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له علي أهذا الغلام غلامك قال نعم قال والبعير بعيرك قال نعم قال فأنت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف با ما كتب هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به قال له علي فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به فحلف با ما كتبت هذا الكـتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط فعرفوا أنه خط مروان وشكوا في أمر عثمان وسألوه أن يدفع إليهم مـروان فأبى وكان مروان عنده في الدار فخرج أصحاب محمد من عنده غضاباً وشكوا في أمره وعلموا أن عثمان لا يحلف

بـباطل إلا أن قومـاً قالوا لا يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجلين من أصحاب محمد بغير حق فإن يكن عثمان كتبه عزلناه وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمـر مروان ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان وخشي عليه القتل وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال أفيكم علي فقالوا لا قال أفيكم سعد قالوا لا فسكت ثم قال ألا أحد يبلغ علياً فيسقينا ماء فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه فبلغ علياً أن عـثمان يـراد قـتله فقال إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عـثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه وبعث الزبير ابنه وطلحة ابنه وبعث عدة من أصحاب محمد أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا علـى عـثمان ويسألونه إخراج مروان فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر ورمى الناس باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدمـاء على بابه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى علي فخشي محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة فأخذ بيد الرجلين فقال لهما إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدم على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد فتسور محمد وصـاحباه مـن دار رجـل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان ولا يعلم أحد ممن كان معه لأن كل من كان معه كانوا فوق البـيوت ولم يكن معه إلا امرأته فقال لهما محمد مكانكما فإن معه امرأته حتى أبدأ كما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجآه حـتى تقـتلاه فدخـل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان وا لو رآك أبوك لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فـتوجآه حـتى قـتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها أحد لما كان في الدار من الجلبة وصعدت امرأته إلى الناس وقالت إن أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحاً فبلغ الخبر علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا فقال علي لا بنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبد ا بن الزبـير وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله وجاء الناس يهرعون إليه فقالوا له نبايعك فمد يدك فلابد من أمير فقال علي ليس ذلـك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى علياً فقالوا ما نرى أحداً أحـق بها منك مد يدك نبايعك فبايعوه وهرب مروان وولده وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا أدري دخـل علـيه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر وأخبرت علياً والناس بما صنع فدعا علي محمداً فسأله عما ذكرت امـرأة عـثمان فقال محمد لم تكذب قد وا دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكرني أبي فقمت عنه وأنا تائب إلى ا تعالى وا ما قتلـته ولا أمسـكته فقالت امرأته صدق ولكنه أدخلهما . قال ابن سعد وكانت مبايعة علي بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان بها من الصحابة ويقال إن طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين ثم خرجا إلى مكة وعائشة رضي ا عـنها بها فأخذاها وخرجا إلى البصرة يطلبون بدم عثمان وبلغ ذلك علياً فخرج إلى العراق فلقي بالبصرة طلحة والزبير ومن معهـم وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وبلغ عدد القتلى ثلاثة عشر ألفاً وقـد أقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة ثم انصرف إلى الكوفة ثم خرج عليه معاوية ومن معه بالشام فبلغ علياً فسار فالتقوا بصـفين فـي صفر سنة سبع وثلاثين ودام القتال بها أياماً فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها مكيدة من عمرو بن العـاص وكتبوا بينهم كتاباً أن يوافوا رأس الحول بأذرح فينظروا في أمر الأمة وافترق الناس ورجع معاوية إلى الشام وعلي إلى الكوفة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا لا حكم إلا وعسكروا بحر وراء فبعث إليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم فرجع منهم قوم كثير وثبت قوم وساروا إلى النهروان فسار إليهم علي فقتلهم وقتل منهم ذي الثدية الذي أخبر بـه النبـي وذلـك سنة ثمان وثلاثين واجتمع الناس بأذرح في شعبان من هذه السنة وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغـيرهما مـن الصحابة فقدم عمرو أبا موسى الأشعري مكيدة منه فتكلم فخلع علياً وتكلم عمرو فأمر معاوية وبايع له وتفرق الناس على هذا وصار علي في خلاف من أصحابه حتى صار يعض على أصبعه ويقول أعصى ويطاع معاوية . هذا ملخص

تلك الوقائع ولها بسط لا تحتمله هذه العجالة على أن الاختصار في هذا المقام هو اللائق فقد قال (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)
وقـد أخـبر بوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة رضي ا عنها والزبير علياً كما أخرجه الحاكم وصححه البيهقي عن أم سلمة
قالت ذكر رسول ا خروج أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضي ا عنها فقال (انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت) ثم
التفـت إلـى علي فقال (إن وليت من أمرها شيئاً فارفق) . و أخرج البزار وأبو نعيم عن ابن عباس مرفوعاً أيتكن صاحبة
الجمل الأحمر تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب فيقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعد ما كادت لا تنجو . و أخرج الحاكم وصححه
والبيهقـي عن أبي الأسود قال شهدت الزبير خرج يريد علياً فقال له علي أنشدك ا هل سمعت رسول ا يقول (تقاتله وأنت
لـه ظـالم) فمضى الزبير منصرفاً وفي رواية أبي يعلى والبيهقي فقال الزبير بلى ولكن نسيت . تنبيه علم مما مر أن الحقيق
بالخلافـة بعـد الأئمـة الـثلاثة هو الإمام المرتضى والولي المجتبى علي بن أبي طالب باتفاق أهل الحل والعقد عليه كطلحة
والزبـير وأبـي موسى وابن عباس وخزيمة بن ثابت وأبي الهيثم بن التيهان ومحمد بن مسلمة وعمار بن ياسر . و في شرح
المقاصـد عن بعض المتكلمين أن الإجماع انعقد على ذلك ووجه انعقاده في زمن الشورى على أنها له أو لعثمان وهذا إجماع
علـى أنه لولا عثمان لكانت لعلي فحين خرج عثمان بقتله من البيت علم أنها بقيت لعلي إجماعاً ومن ثم قال إمام الحرمين ولا
اكـتراث مـن قال لا إجماع على إمامة علي فإن الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت الفتنة لأمور أخرى مركز شبكات الكمبيوتر
الصواعق المحرقه على أهل الرفض والضلال و الزندقه ج٢ ابن حجر الهيتمي

الباب التاسع في مآثره وفضائله ونبذ من أحواله رضي ا عنه وفيه فصول

/ الفصـل الأول في إسلامه وهجرته وغيرهما / . أسلم رضي ا عنه وهو ابن عشر سنين وقيل تسع وقيل ثمان وقيل دون
ذلـك قديما بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة إنه أول من أسلم ونقل بعضهم الإجماع عليه ومر
الجمع بين هذا الإجماع والإجماع على أن أبا بكر أول من أسلم . ونقل أبو يعلى عنه قال بعث رسول ا يوم الاثنين وأسلمت
يـوم الثلاثاء . وأخرج ابن سعد عن الحسن بن زيد بن الحسن قال لم يعبد الأوثان قط لصغره . أي ومن ثم يقال فيه كرم ا
وجهـه وألحـق بـه الصـديق في ذلك لما قيل إنه لم يعبد صنما قط . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول ا
بالمؤاخـاة وصـهره على فاطمة سيدة نساء العالمين وأحد السابقين إلى الإسلام وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين
والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول ا وعرض عليه أبو الأسود الدؤلي وأبو
عـبد الرحمـن السلمي وعبد الرحمن بن أبي ليلى . ولما هاجر النبي إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياما حتى يؤدي عنه
أمانـته والودائع والوصايا التي كانت عند النبي ثم يلحقه بأهله ففعل ذلك . وشهد مع النبي سائر المشاهد إلا تبوك إنه استخلفه
على المدينة وقال له حينئذ (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) كما مر . له في جميع المشاهد الآثار المشهورة وأصابه يوم
أحد ست عشرة ضربة وأعطاه النبي اللواء في مواطن كثيرة سيما يوم خيبر وأخبر أن الفتح يكون على يده كما في الصحيحين
وحمل يومئذ باب حصنها على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها وأنهم جروه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلا وفي
روايـة أنه تناول بابا من الحصن حصن خيبر فتترس به عن نفسه فلم يزل يقاتل وهو في يده حتى فتح ا عليهم ثم ألقاه فأراد
ثمانـية أن يلقوه فما استطاعوا / الفصل الثاني في فضائله رضي ا عنه وكرم ا وجهه / . وهي كثيرة عظيمة شهيرة حتى
قال أحمد ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي . وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد
من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي . قال بعض المتأخرين من ذرية أهل البيت النبوي وسبب ذلك وا أعلم
أن ا تعالى أطلع نبيه على ما يكون بعده مما ابتلي به علي وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح
الأمـة بإشـهاره بتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع
من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحا للأمة أيضا ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبه على المنابر
ووافقهم الخوارج لعنهم ا بل قالوا بكفره اشتغلت جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت نصحا للأمة ونصرة
للحـق . ثـم اعلـم أنه سيأتي في فضائل أهل البيت أحاديث مستكثرة من فضائله فلتكن منك على ذكر وإنه مر في كثير من

الأحاديث السابقة في فضائل أبي بكر جمل من فضائل علي واقتصرت هنا على أربعين حديثا لأنها من غرر فضائله . الحديث الأول أخـرج الشيخان عن سعد بن وقاص وأحمد والبزار عن أبي سعيد الخدري والطبراني عن أسماء بنت عميس وأم سلمة وحبشي ابن جنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة وعلي والبراء بن عازب وزيد بن أرقم أن رسول ا خلف علي بن أبـي طالب في غزوة تبوك فقال يا رسول ا تخلفني في النساء والصبيان فقال (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسـى غـير أنـه لا نبي بعدي) . ومر الكلام على هذا الحديث مستوفى في الثاني عشر من الشبه . الحديث الثاني أخرج الشيخان أيضا عن سهل بن سعد والطبراني عن ابن عمر وابن أبي ليلى وعمران بن حصين والبزار عن ابن عباس أن رسول ا قـال يوم خيبر (لأعطين الراية غدا رجلا يفتح ا على يديه يحب ا ورسوله ويحبه ا ورسوله) فبات الناس يذكرون أي يخوضـون ويتحدثون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول ا كلهم يرجو أن يعطاها فقال (أين علي بن أبي طالب) فقيل يشتكي عينيه . قال (فأرسلوا إليه) فأتي به فبصق رسول ا في عينيه ودعا له فبرىء حتى كان لم يكن به وجـع فأعطاه الراية . وأخرج الترمذي عن عائشة رضي ا عنها كانت فاطمة أحب الناس إلى رسول ا وزوجها علي أحب الرجال إليه . الحديث الثالث أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزلت هذه الآية (ندع أبناءنا وأبناءكم) آل عمران ٦١ دعـا رسول ا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال (اللهم هؤلاء أهلي) . الحديث الرابع قال يوم غدير خم من كنت مولاه فعلـي مـولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه الحديث وقد مر في حادي عشر الشبه وأنه رواه عن النبي ثلاثون صحابيا وأن كثـيرا من طرقه صحيح أو حسن ومر الكلام ثم على معناه مستوفى . وروى البيهقي أنه ظهر علي من البعد . فقال (أنا سيد العالمين وهو سيد العرب) . ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس بلفظ (أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب) . وقال إنه صحيح ولم يخرجاه وله شواهد كلها ضعيفة كما بينه بعض محققي المحدثين . بل جنح الذهبي إلى الحكم على ذلك بالوضع وعلـى فـرض صحته فسيادته لهم إما من حيث النسب أو نحوه فلا يستلزم أفضليته على الخلفاء الثلاثة قبله لما مر من الأدلة الصـريحة فـي ذلك . الحديث الخامس أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال قال رسول ا (إن ا أمرني بحب أربعـة وأخبرنـي أنـه يحبهم) . قيل يا رسول ا سمهم لنا . قال (علي منهم) يقول ذلك ثلاثا وأبو ذر والمقداد وسلمان . الحديـث السادس أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جنادة قال قال رسول ا (علي مني وأنا من علي ولا يـؤدي عنـي إلا أنا أو علي) . الحديث السابع أخرج الترمذي عن ابن عمر قال آخى النبي بين أصحابه فجاء علي تدمع عيـناه فقال يا رسول ا آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد . فقال (أنت أخي في الدنيا والآخرة) . الحديث الثامن أخرج مسلم عن علي قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق . وأخـرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا . الحديث التاسع أخرج البزار والطبراني في الأوسـط عن جابر بن عبد ا والطبراني والحاكم والعقيلي في الضعفاء وابن عدي عن ابن عمر والترمذي والحاكم عن علي قال قال رسول ا (أنا من مدينة العلم وعلي بابها) وفي رواية (فمن أراد العلم فليأت الباب) وفي أخرى عند الترمذي عن علـي (أنـا دار الحكمة وعلي بابها) . وفي أخرى عند ابن عدي (علي باب علمي) . وقد اضطرب الناس في هذا الحديث فجماعة على أنه موضوع منهم ابن الجوزي والنووي وناهيك بهما معرفة بالحديث وطرقه حتى قال بعض محققي المحدثين لم يـأت بعد النووي من يدانيه في علم الحديث فضلا عن أن يساويه . وبالغ الحاكم على عادته وقال إن الحديث صحيح وصوب بعض محققي المتأخرين المطلعين من المحدثين أنه حديث حسن ومر الكلام عليه . الحديث العاشر أخرج الحاكم وصححه عن علـي قال بعثني رسول ا إلى اليمن فقلت يا رسول ا بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء . فضرب صدري بيده ثم قال (اللهم اهد قلبه وثبت لسانه) فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين . قيل وسبب قوله (أقضاكم علي) السـابق في أحاديث أبي بكر أن رسول ا كان جالسا مع جماعة من أصحابه فجاء خصمان فقال أحدهما يا رسول ا إن لي حمـارا وإن لهذا بقرة وإن بقرته قتلت حماري فبدأ رجل من الحاضرين فقال لا ضمان على البهائم فقال . اقض بينهما يا علي فقال علي لهما أكانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدودا والآخر مرسلا فقال كان الحمار مشدودا والبقرة مرسلة وصاحبها

معهـا فقـال علي على صاحب البقرة ضمان الحمار فأقر رسول ا حكمه وأمضى قضاءه . الحديث الحادي عشر أخرج ابن سعد عن علي أنه قيل له مالك أكثر أصحاب رسول ا حديثا قال إني كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني . الحديث الثاني عشر أخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن جابر بن عبد ا قال قال رسول ا (الناس من شجر شتى وأنا وعلي من شجرة واحدة) . الحديث الثالث عشر أخرج البزار عن سعد قال قال رسول ا لعلي (لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غـيري وغـيرك) . الحديث الرابع عشر أخرج الطبراني والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت كان رسول ا إذا غضب لم يجترىء أحد أن يكلمه إلا علي . الحديث الخامس عشر أخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي ا عنه أن النبي قال (الـنظر إلى علي عبادة) إسناده حسن . الحديث السادس عشر أخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول ا (مـن آذى عليا فقد آذاني) . الحديث السابع عشر أخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمة عن رسول ا قال (من أحب علـيا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب ا ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض ا) . الحديث الثامن عشر أخـرج أحمـد والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت سمعت رسول ا يقول (من سب عليا فقد سبني) . الحديث التاسع عشر أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول ا قال لعلي (إنك تقاتل عن تأويل القرآن كما قاتلت على تـنزيله) . الحديـث العشرون أخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن علي قال دعاني رسول ا فقال (إن فيك مثلا من عيسى أبغضـته الـيهود حـتى بهـتوا أمه وأحبته النصارى حتى نزلوه بالمنزلة الذي ليس به) ألا وإنه يهلك في اثنان محب مفرط يقرظنـي بما ليس في ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني . الحديث الحادي والعشرون أخرج الطبراني في الأوسط عن أم سـلمة قالت سمعت رسول ا يقول (علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض) . الحديث الثاني والعشـرون أخـرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبي قال لعلي (أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقـر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى يبل منه هذه يعني لحيته) وقد ورد ذلك من حديث علي وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم . وأخرج أبو يعلى عن عائشة قالت رأيت النبي التزم عليا وقبله وهو يقول (بأبي الوحيد الشهيد) . وروى الطبرانـي وأبو يعلى بسند رجاله ثقات إلا واحدا منهم فإنه موثق أيضا أنه قال له يوما (من أشقى الأولين) قال الذي عقر الناقة يا رسول ا . قال صدقت . قال (فمن أشقى الآخرين) قال لا علم لي يا رسول ا قال (الذي يضربك على هذه) وأشار إلى يافوخه كان علي رضي ا عنه يقول لأهل العراق أي عند تضجره منهم وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه يعنـي لحيته من هذه ووضع يده على مقدم رأسه . وصح أيضا أن ابن سلام قال له لا تقدم العراق فإني أخشى أن يصيبك بها ذبـاب السيف . فقال علي وايم ا لقد أخبرني به رسول ا قال أبو الأسود فما رأيت كاليوم قط محاربا يخبر بذا عن نفسه . الحديـث الثالـث والعشرون أخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال اشتكى الناس عليا فقام رسول ا فينا خطيبا . فقال (لا تشكو عليا فوا إنه لأخيشن في ذات ا أو في سبيل ا) . الحديث الرابع والعشرون أخرج أحمد والضياء عن زيد بـن أرقـم أن رسول ا قال (إني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم وإني وا ما سددت شيئا ولا فتحته ولكنـي أمـرت بشـيء فاتبعته) . ولا يشكل هذا الحديث بما مر في أحاديث خلافة أبي بكر من أمره بسد الخوخ جميعها إلا خوخة أبي بكر لأن ذلك فيه التصريح بأن أمره بالسد كان في مرض موته وهذا ليس فيه ذلك فيحمل هذا على أمر متقدم على المـرض فلأجـل ذلـك اتضح قول العلماء إن ذاك فيه إشارة إلى خلافة أبي بكر على أن ذاك الحديث أصح من هذا وأشهد . الحديث الخامس والعشرون أخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين أن رسول ا قال (ما تريدون من علي ما تريدون مـن علـي ماتريدون من علي إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي) ومر الكلام في حادي عشر الشبه على هذا الحديـث وبـيان معـناه وما فيه . الحديث السادس والعشرون أخرج الطبراني عن أنب مسعود أن النبي قال (إن ا تبارك وتعـالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي) . الحديث السابع والعشرون أخرج الطبراني عن جابر والخطيب عن ابن عباس أن النبـي قـال (إن ا جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب) . الحديث الثامن والعشرون أخـرج الديلمي عن عائشة أن النبي قال (خير إخوتي علي وخير أعمامي حمزة) . الحديث التاسع والعشرون أخرج الديلمي

أيضا عن عائشة والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي قال (السبق ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلـى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب) . الحديث الثلاثون أخرج ابن النجار عن ابن عباس أن النبي قال (الصديقون ثلاثة حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي ابن أبي طالب) . الحديث الحادي والثلاثون أخـرج أبو نعيم وابن عساكر عن أبي ليلى أن رسول ا قال (الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس قال يا قوم اتبعوا المرسـلين وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي ا وعلي بن أبي طالب وهو أ فضلهم) . الحديث الثانـي والـثلاثون أخرج الخطيب عن أنس أن النبي قال (عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب) . الحديث الثالث والـثلاثون أخـرج الحـاكم عن جابر أن النبي قال (علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله) . الحديـث الرابع والثلاثون أخرج الدارقطني في الأفراد عن ابن عباس أن النبي قال (علي باب حطة من دخل منه كان مؤمنا ومـن خـرج منه كان كافرا) . الحديث الخامس والثلاثون أخرج الخطيب عن البراء والديلمي عن ابن عباس أن النبي قال (علي مني بمنزلة رأسي من بدني) . الحديث السادس والثلاثون أخرج البيهقي والديلمي عن أنس أن النبي قال (علي يزهر في الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا) . الحديث السابع والثلاثون أخرج ابن عدي عن علي أن النبي قال (علي يعسوب المؤمنين والمـال يعسـوب المنافقين) . الحديث الثامن والثلاثون أخرج البزار عن أنس أن النبي قال (علي يقضي ديني) . الحديث التاسـع والثلاثون أخرج الترمذي والنسائي والحاكم أن النبي قال (إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان) . الحديث الأربعـون أخـرج الشيخان عن سهل أن النبي وجد عليا مضطجعا في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي يمسحه عنه ويقول قم أبا تراب . فلذلك كانت هذه الكنية أحب الكنى إليه لأنه كناه بها ومر أن النبي قال (أربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق ولا يحبهم إلا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي) . وأخرجه النسائي والحاكم عن علي أن النبي قال إن كل نبي أعطي سبعة نجباء رفقاء وأعطيت أنا أربعة عشر علي والحسن والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر . الحديث . وأخـرج ابـن المظفـر وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد الخدري قال خرج علينا رسول ا في مرضه الذي توفي فيه ونحن في صـلاة الغـداة فقـال (إني تركت فيكم كتاب ا عز وجل وسنتي فاستنطقوا القرآن بسنتي فإنه لن تعمى أبصاركم ولن تزل أقدامكـم ولـن تقصـر أيديكـم ما أخذتم بهما ثم قال (أوصيكم بهذين خيرا وأشار إلى علي والعباس لا يكف عنهما أحد ولا يحفظهمـا علـي إلا أعطاه ا نورا حتى يرد به علي يوم القيامة) . وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن عوف قال لما فتح رسول ا مكة انصرف إلى الطائف فحصرها سبع عشرة ليلة أو تسع عشرة ليلة ثم قام خطيبا فحمد ا وأثنى عليه ثم قال (أوصـيكم بعترتي خيرا وإن موعدكم الحوض مني والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن إليكم رجلا مني أو كنفسـي يضـرب أعناقكم) ثم أخذ بيد علي رضي ا عنه ثم قال (هو هذا) وفيه رجل اختلف في تضعيفه وبقية رجاله ثقات . وفي رواية أنه قال في مرض موته (أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال هذا علي مع القرآن والقرآن مع علـي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألهما ما خلفت فيهما) . وأخرج أحمد في المناقب عن علي قال طلبني النبي في حائط فضربني برجله وقال (قم فوا لأرضيك أنت أخي وأبو ولدي فقاتل على سنتي من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومـن مـات على عهدك فقد قضى نحبه ومن مات يحبك بعد موتك ختم ا له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت) . وأخرج الدارقطني أن عليا قال للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاما طويلا من جملته أنشدكم با هل فيكم أحد قال لـه رسـول ا (يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيري قالوا اللهم لا) . ومعناه ما رواه غيره عن علي الرضا أنه قـال له (أنـت قسيم الجنة والنار فيوم القيامة تقول النار هذا لي وهذا لك) . وروى ابن السماك أن أبا بكر قال له رضي ا عـنهما سمعت رسول ا يقول (لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز) . وأخرج البخاري عن علي رضي ا عـنه أنـه قـال أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة . قال قيس وفيهم نزلت هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) الحج ١٩ قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وشيبة بن ربيعة

وعتـبة بن ربيعة والوليد بن عتبة / الفصل الثالث في ثناء الصحابة والسلف عليه / . أخرج ابن سعد عن أبي هريرة قال قال عمـر بن الخطاب علي أقضانا . وأخرج الحاكم عن ابن مسعود قال أقضي أهل المدينة علي وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قـال إذا حدثنا ثقة عن علي الفتيا لا نعدوها . أي لا نتجاوزها . وأخرج عن سعيد بن المسيب قال كان عمر بن الخطاب يتعوذ با من معضلة ليس لها أبو الحسن يعني عليا . وأخرج عنه قال لم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني إلا علي . وأخرج ابن عسـاكر عـن ابن مسعود رضي ا عنه قال أفرض أهل المدينة وأقضاها علي . وذكر عند عائشة رضي ا عنها فقالت إنه أعلـم من بقي بالسنة . وقال مسروق انتهى علم أصحاب رسول ا إلى عمر وعلي وابن مسعود . وقال عبد ا بن عياش بن أبي ربيعة كان لعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان له القدم في الإسلام والصهر برسول ا والفقه في السنة والنجدة فـي الحـرب والجود في المال . وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال ما أنزل ا (يا أيها الذين آمنوا) إلا وعلـي أميرها وشريفها ولقد عاتب ا أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر عليا إلا بخير . وأخرج ابن عساكر عنه قال ما نزل في أحد من كتاب ا تعالى ما نزل في علي . وأخرج ابن عساكر عنه قال نزل في علي ثلاثمائة آية . وأخرج الطبراني عـنه قـال كانـت لعلـي ثمان عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة . وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة قال قال عمر بن الخطاب لقد أعطي علي ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من حمر النعم فسئل ما هي قال تزويجه ابنته وسكناه فـي المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له والراية يوم خيبر . وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه . وأخرج أحمد وأبو يعلـى بسـند صحيح عن علي قال ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول ا وجهي وتفل في عيني يوم خيبر حين أعطاني الـراية . ولمـا دخل الكوفة دخل عليه حكم من العرب فقال وا يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعـتك وهـي كانت أحوج إليك منك إليها . وأخرج السلفي في الطيوريات عن عبد ا بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي عن علي ومعاوية فقال اعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه شيئا فلم يجدوه فجاؤا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيدا منهم له / الفصل الرابع في نبذ من كلماته وقضاياه الدالة علىعلو قدره علما وحكمة وزهدا ومعرفة با تعالى

. أخرج ابن سعد عنه قال وا ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا . وأخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال قال علي سلوني عن كتاب ا فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلـت أم بنهار أم في سهل أم جبل . وأخرج ابن أبي داود عن محمد بن سيرين قال لما توفي رسول ا أبطأ علي عن بيعة أبي بكر فلقيه أبو بكر فقال أكرهت إمارتي فقال لا ولكن آليت لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن فزعموا أنه كتـبه على تنزيله قال محمد ابن سيرين لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم . ومن كراماته الباهرة أن الشمس ردت علي لما كـان رأس النبي في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصل العصر فما سري عنه إلا وقد غربت الشمس فقال النبي (اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس) فطلعت بعدما غربت . وحديث ردها صححه الطحاوي والقاضي في الشـفاء وحسـنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره وردوا علىجمع قالوا إنه موضوع وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردها في محل المنع . بل نقول كما أن ردها خصوصية كذلك إدراك العصر الآن أداء خصوصية وكرامة على أن في في ذلك أعني أن الشمس إذا غربت ثم عادت هل يعود الوقت بعودها ترددا حكيته مع بيان المتجه منه في شرح العباب في أوائل كتاب الصـلاة . قـال سـبط ابن الجوزي وفي الباب حكاية عجيبة حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق أنهم شاهدوا أبا منصور المظفـر بن أردشير القباوي الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث ونمقه بألفاظه وذكر فضائل أهل البيت فغطت سحابة الشمس حـتى ظـن الـناس أنها قد غابت فقام على المنبر وأومأ إلى الشمس وأنشد . (لا تغربي يا شمس حتى ينتهي % مدحي لآل المصـطفى ولنجله) . (واثني عنانك إن أردت ثناءهم % أنسيت إذ كان الوقوف لأجله) . (إن كان للمولى وقوفك فليكن % هذا الوقوف لخيله ورجله) . قالوا فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت . وأخرج عبد الرزاق عن حجر المرادي قال قال لي علـي كيف بك إذا أمرت أن تلعنني قلت أو كائن ذلك قال نعم . قلت فكيف أصنع قال العني ولا تبرأ مني . قال فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج وكان أميرا من قبل عبد الملك بن مروان على اليمن أن ألعن عليا فقلت إن الأمير أمرني إن ألعن عليا

فالعـنوه لعنه ا فما فطن لها إلا رجل . أي لأنه إنما لعن الأمير ولم يلعن عليا فهذا من كرامات علي وإخباره بالغيب . ومن كراماته أيضا أنه حدث بحديث فكذبه رجل فقال له أدعو عليك إن كنت كاذبا قال ادع فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره . وأخـرج ابـن المدائنـي عن مجمع أن عليا كان يكنس بيت المال ثم يصلى فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسـلمين . وجلـس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فمر بهما ثالث فأجلساه فأكلوا الأرغفة الثمانـية على السواء ثم طرح لهما الثالث ثمانية دراهم عوضا عما أكله من طعامهما فتنازعا فصاحب الخمسة أرغفة يقول إن له خمسة دراهم ولصاحب الثلاثة ثلاثة وصاحب الثلاثة يدعي أن له أربعة ونصفا فاختصما إلى علي فقال لصاحب الثلاثة خذ مـا رضي به صاحبك وهو الثلاثة فإن ذلك خير لك . فقال لا رضيت إلا بمر الحق فقال علي ليس لك في مر الحق إلا درهم واحـد فسأله عن بيان وجه ذلك فقال علي أليست الثمانية أرغفة أربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة ولا يعلم أكثركم أكلا فـتحملون علـى السواء فأكلت أنت ثمانية أثلاث والذي لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث والذي له خمسة عشر ثلثا فبقي له سبعة ولك واحد فله سبعة بسبعته ولك واحد بواحدك فقال رضيت الآن . وأتى برجل فقيل له زعم هذا أنه احتلم بأمي . فقـال اذهب فأقمه في الشمس فاضرب ظله . ومن كلامه الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . لو كشـف الغطـاء ما ازددت يقينا . ماهلك امرؤ عرف قدره . قيمة كل امرىء ما يحسنه . من عرف نفسه فقد عرف ربه كذا نسـب هـذا إليه والمشهور أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي المرء مخبوء تحت لسانه . من عذب لسانه كثر إخوانه . بالبر يسـتعبد الحر . بشر مال البخيل بحادث أو وارث . لا تنظر الذي قال وانظر إلى ما قال . الجزع عند البلاء تمام المحنة . لا ظفر مع البغي . لا ثناء مع الكبر . ولا صحة مع النهم والتخم . لا شرف مع سوء الأدب . لا راحة مع الحسد . لا سؤدد مع الانتقام . لا صواب مع ترك المشورة . لا مروءة للكذوب . لا كرم أعز من التقى . لا شفيع أنجح من التوبة . لا لباس أجمل من العافية . لا داء أعيى من الجهل . المرء عدو ما جهله . رحم ا امرءا عرف قدره ولم يتعد طوره . إعادة الاعتذار تذكير بالذنب . النصح بين الملأ تقريع . نعمة الجاهل كروضة على مزبلة . الجزع أتعب من الصبر . المسؤول حر حتى يعد . أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة . الحكمة ضالة المؤمن . البخل جامع لمساوىء العيوب . إذا حلت المقادير ضلت التدابير . عبد الشهوة أذل مـن عبد الرق . الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له . كفى بالذنب شفيعا للمذنب . السعيد من وعظ بغيره . الإحسان يقطع اللسان . أفقر الفقر الحمق . أغنى الغنى العقل . الطامع في وثاق الذل . ليس العجب ممن هلك كيف هلك بل العجب ممن نجا كيف نجا . احذروا نفار النعم فما شارد بمردود . أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع . إذا وصلت إليكم النعم فلا تنفروا أقصـاها بقلـة الشكر . إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه وعلى صفحات وجهه . البخيل يستعجل الفقر ويعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء . لسان العاقل وراء قلـبه وقلـب الأحمـق وراء لسانه العلم يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع . العلم خير من المال . العلم يحرسك وأنت تحـرس المال . العلم حاكم والمال محكوم عليه . قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك هذا يفتى وينفر الناس بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه . أقل الناس قيمة أقلهم علما إذ قيمة كل امرىء ما يحسنه . وكلامه رضي ا عنه في هذا الأسلوب البديع كثـير تركته خوف الإطالة . ومن كلامه أيضا كونوا في الناس كالنحلة في الطير إنه ليس في الطير شيء إلا وهو يستضعفها ولو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها . خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن للمـرء مـا اكتسـب وهو يوم القيامة مع من أحب . ومنه كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل . فإنه لن يقل عمل مع الـتقوى وكيف يقل عمل متقبل . ومنه يا حملة القرآن اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملـون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا حتى إن الـرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى ا . ومنه لا يخافن أحد مـنكم إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه ولا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم ولا يستحيي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول أعلم . الصـبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . ومنه الفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من نفسه رحمة ا ولا يرخص لهم في

معاصـي ا ولم يؤمنهم عذاب ا ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره . ومنه لا خير في عبادة لا علم فيها ولا خير في علم لا فهـم معـه ولا خير في قراءة لا تدبر فيها . ومنه ما أبردها على كبدي إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول ا أعلم . ومنه من أراد أن ينصـف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه . ومنه سبع من الشيطان شدة الغضب وشدة العطاس وشدة التثاؤب والقـيء والرعاف والنجوى والنوم عند الذكر . ومنه الحزم سوء الظن وهو حديث ولفظه (إن من الحزم سوء الظن) . ومنه التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين والعقل خير صاحب والأدب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب . وقال لما سئل عن القدر طريق مظلم لا تسلكه وبحر عميق لا تلجه سر ا قد خفي عليك فلا تفشه . أيها السائل إن ا خلقك كما شاء أو كما شئت قال بل كما شاء . قال فيستعملك كما شاء . وقال إن للنكبات نهايات لا بد لأحد إذا نكب أن ينتهي إليها فينبغي للعاقل إذا أصـابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها فإن في رفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها . وسئل عن السخاء فقال ما كـان مـنه ابـتداء فأما ما كان عن مسألة فحياء وتكرم . وأثنى عليه عدو له فأطراه فقال إني لست كما تقول وأنا فوق ما في نفسك . وقال جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والنغص في اللذة قيل وما النغص قال لا ينال شهوة حلال إلا جاءه ما ينغصه إياها . وقال له عدوه ثبتك ا فقال على صدرك . ولما ضربه ابن ملجم قال للحسن وقد دخل عليه باكيا يا بنـي احفظ عني أربعا وأربعا قال وما هن يا أبت قال إن أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الكـرم حسن الخلق . قال فالأربع الأخر قال إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب وإياك ومصادقة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه . وقال له يهودي متى كان ربنا فتغير وجهه قال لم يكن فكان هو كان ولا كينونة كان بلا كيف كان ليس له قـبل ولا غاية انقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية فأسلم اليهودي . وافتقد درعا وهو بصفين فوجدها عند يهودي فحاكمه فـيها إلى قاضيه شريح وجلس بجنبه وقال لولا أن خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس ولكني سمعت رسول ا يقول (لا تسـووا بينهم في المجالس) وفي رواية (اصغروهم من حيث أصغرهم ا) ثم ادعى بها فأنكر اليهودي فطلب شريح بينة مـن علي فأتى بقنبر والحسن فقال له شريح شهادة الابن لأبيه لا تجوز فقال اليهودي أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد أن لا إله إلا ا وأشهد أن محمدا رسول ا وأن الدرع درعك . وأخرج الواقدي عن ابن عباس قال كان مع علـي أربعـة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فنزل فيه (الذين ينفقون أموالهـم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف بم ولا هم يحزنون) البقرة ٢٧٤ . وقال معاوية لضرار بـن حمـزة صف لي عليا فقال اعفني فقال أقسمت عيلك با فقال كان وا بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته بالنهار وكان غزير الدمعة طويـل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن وا مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف مـن عدله وأشهد لقدر رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ السليم أي اللديغ ويبكـي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري ألي أو إلي تشوفت هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك قليل آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق . فبكى معاوية وقال رحم ا أبا الحسن كان وا كذلك . وسبب مفارقـة أخـيه عقيل له أنه كان يعطيه كل يوم من الشعير ما يكفي عياله فاشتهى عليه أولاده مريسا فصار يوفر كل يوم شيئا قلـيلا حتى اجتمع عنده ما اشترى به سمنا وتمرا وصنع لهم فدعوا عليا إليه فلما جاء وقدم له ذلك سأل عنه فقصوا عليه ذلك فقال أو كان يكفيكم ذاك بعد الذي عزلتم منه قالوا نعم فنقص عنه مما كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم وقال لا يحل لي أن أزيـد مـن ذلك . فغضب فحمى له حديدة وقربها من خده وهو غافل فتأوه فقال تجزع من هذه وتعرضني لنار جهنم فقال لأذهبن إلى من يعطيني تبرا ويطعمني تمرا فلحق بمعاوية . وقد قال معاوية يوما لولا علم بأني خير له من أخيه ما أقام عندنا وتـركه . فقال له عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وقد آثرت دنياي وأسأل ا خاتمة خير . وأخرج ابن

عساكر أن عقيلا سأل عليا فقال إني محتاج وإني فقير فأعطني قال اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك فألح عليه فقـال لـرجل خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقل له دق هذه الأقفال وخذ ما في الحوانيت . قال تريد أن تتخذني سـارقا قال وأنت تريد أن تتخذني سارقا أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكما دونهم . قال لآتين معاوية . قال أنت قال أنت وذاك فـأتى معاوية فسأله فأعطاه مئة ألف ثم قال اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به علي وما أوليتك فصعد فحمد ا وأثنى عليه ثـم قال أيها الناس إني أخبركم إني أردت عليا على دينه فاختار دينه وإني أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه . وقال معاويـة لخالد بن معمر لم أحببت عليا علينا قال على ثلاث خصال على حلمه إذا غضب وعلى صدقه إذا قال وعلى عدله إذا حكـم . ولمـا وصـل إليه فخر من معاوية قال لغلامه اكتب إليه ثم أملى عليه . (محمد النبي أخي وصهري % وحمزة سيد الشـهداء عمـي) . (وجعفر الذي يمسي ويضحي % يطير مع الملائكة ابن أمي) . (وبنت محمد سكني وعرسي % منوط لحمها بدمي ولحمي) . (وسبطا أحمد ابناي منها % فأيكمو له سهم كسهمي) . (سبقتكم إلى الإسلام طرا % غلاما ما بلغت أوان حلمـي) . قـال البيهقي إن هذا الشعر مما يجب على كل أحد متوان في علي حفظه ليعلم مفاخره في الإسلام . ومناقب علي وفضائله أكثر من أن تحصى . ومن كلام الشافعي رضي ا عنه . (إن نحن فضلنا عليا فإننا % روافض بالتفضيل عند ذوي الجهـل) . (وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته % رميت بنصب عند ذكري للفضل) . (فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما % بحبهما حتى أوسد في الرمل) . وقال أيضا رضي ا عنه . (قالوا ترفضت قلت كلا % ما الرفض ديني ولا اعتقادي) . (لكن توليت غير شك % خير إمام وخير هادي) . (إن كان حب الولي رفضا % فإنني أرفض العباد) . وقال أيضا رضي ا عـنه . (يـا راكبا قف بالمحصب من منى % واهتف بساكن خيفها والناهض) . (سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى % فيضـا كملـتطم الفرات الفائض) . (إن كان رفضا حب آل محمد % فليشهد الثقلان إني رافضي) . قال البيهقي وإنما قال الشـافعي فـي ذلك حين نسبه الخوارج إلى الرفض حسدا وبغيا . وله أيضا وقد قال له المزني إنك رجل توالي أهل البيت فلو عملـت في هذا الباب أبياتا فقال . (وما زال كتما منك حتى كأنني % برد جواب السائلين لأعجم) . (وأكتم ودي مع صفاء مودتـى % لتسـلم من قول الوشاة وأسلم) / الفصل الخامس في وفاته رضي ا عنه / . سببها أنه لما طال النزاع بينه وبين معاويـة رضـي ا عنهما انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم المرادي البرك وعمرو التيميين فاجتمعوا بمكة وتعـاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة عليا ومعاوية وعمرو بن العاص ويريحوا العباد منهم فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال الـبرك أنا لكم بمعاوية وقال عمرو أنا لكم بعمرو وتعاهدوا على أن ذلك يكون ليلة حادي عشر أو ليلة سابع عشر رمضان ثم توجـه كـل منهم إلى مصر صاحبه . فقدم ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد ووافقه منهم شبيب بن عجـرة الأشـجعي وغيره فلما كانت ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين استيقظ علي سحرا وقال لابنه الحسن رأيت الليلة رسول ا فقلت يا رسول ا ما لقيت من أمتك خيرا فقال لي ادع ا عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم خيرا لي منهم وأبدلهم بـي شرا لهم مني . وأقبل عليه الأوز يصحن في وجهه فطردوهن فقال دعوهن فإنهن نوائح ودخل عليه المؤذن فقال الصلاة فخـرج علـي من الباب ينادي أيها الناس الصلاة الصلاة فشد عليه شبيب فضربه بالسيف فوقع سيفه بالباب وضربه ابن ملجم بسـيفه فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل دماغه وهرب فشبيب دخل منزله فدخل عليه رجل من بني أمية فقتله . وأما ابن ملجم فشـد عليه الناس من كل جانب فلحقه رجل من همدان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه وأخذ السيف منه وجاء به إلىعلي فنظر إلـيه وقـال الـنفس بالنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني وإن سلمت رأيت فيه رأيي . وفي رواية والجروح قصاص . فأمسك وأوثق وأقام علي الجمعة ولاسبت وتوفي ليلة الأحد وغسله الحسن والحسين وعبد ا بن جعفر ومحمد بن الحنفية يصب الماء وكفـن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وصلى عليه الحسن وكبر عليه سبعا ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلا أو بالقرى موضع يزار الآن أو بين منزله والجامع الأعظم أقوال . ثم قطعت أطراف ابن ملجم وجعل في قوصرة وأحرقوه بالنار . وقيل بل أمر الحسـن بضرب عنقه ثم حرقت جيفته أم الهيثم بنت الأسود النخعية وكان علي في شهر رمضان الذي قتل فيه يفطر ليلة عند الحسـن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد ا بن جعفر ولا يزيد على ثلاث لقم ويقول أحب أن ألقى ا وأنا خميص فلما كانت

الليلة التي قتل في صبيحتها أكثر الخروج والنظر إلى السماء وجعل يقول وا ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التي وعدت فلما خرج وقت السحر ضربه ابن ملجم الضربة الموعود بها كما قدمنا في أحاديث فضائله . وعمي قبر علي لئلا ينبشه الخوارج .
وقـال شريك نقله ابنه الحسن إلى المدينة . وأخرج ابن عساكر أنه لما قتل حملوه ليدفنوه مع رسول ا فبينما هم في مسيرهم لـيلا إذ نـد الجمل الذي عليه فلم يدر أين ذهب ولم يقدر عليه فلذلك يقول أهل العراق هو في السحاب . وقال غيره إن البعير وقـع في بلاد طيء فأخذوه ودفنوه . وكان لعلي حين قتل ثلاث وستون سنة وقيل أربع وستون وقيل خمس وستون وقيل سبع وخمسون وقيل ثمان وخمسون . وسئل وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى (رجال صدقوا ماعاهدوا ا عليه فمنهم من قضـى نحـبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) الأحزاب ٢٣ فقال اللهم غفرا هذه الآية نزلت في وفي عمي حمزة وفي ابن عمـي عبـيدة بـن الحرث بن عبد المطلب فأما عبيدة فقضى نحبه شهيدا يوم بدر وحمزة قضى نحبه شهيدا يوم أحد وأما أنا فأنـتظر أشـقاها يخضب هذه من هذه وأشار بيده إلى لحيته وراسه عهد عهده إلي حبيبي أبو القاسم . ولما أصيب دعا الحسن والحسين رضي ا عنهم فقال لهما أوصيكما بتقوى ا ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شيء زوي منها عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضعيف واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم أنصارا واعملا ولا تأخذكما في ا لومة لائم ثم نظر إلى ولده محمد ابن الحنفية فقال له هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم . فقال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويـك لعظم حقهما عليك ولا توثق أمرا دونهما ثم قال أوصيكما به فإنه أخوكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه .
ثـم لم ينطق إلا بلا إله إلا ا إلى أن قبض كرم ا وجهه . وروي أن عليا جاءه ابن ملجم يستحمله فحمله ثم قال رضي ا عـنه . (أريد حياته ويريد قتلي % عذيرك من خليلك من مراد) . ثم قال هذا وا قاتلي فقيل له ألا تقتله فقال فمن يقتلني .
وفـي المستدرك عن السدي قال كان ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج يقال لها قطام فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم وقتل علي وفي ذلك يقول الفرزدق . (فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة % كمهر قطام بينا غير معجم) . وفي رواية من فصيح وأعجم . (ثلاثة آلاف وعبد وقينة % وضرب علي بالحسام المصمم) . (فلا مهر أعلى من علي وإن علا % ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم)

الباب العاشر في خلافة الحسن وفضائله ومزاياه وكراماته وفيه فصول

/ الفصل الأول في خلافته / . هو آخر الخلفاء الراشدين بنص جده ولي الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأياما خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقا لما اخبر به جده الصادق المصدوق بقوله (الخلافة بعدي ثلاثون سنة) . فإن تلك الستة الأشهر هي المكملة لتلك الثلاثين فكانت خلافته منصوصا عليها وقام عليها إجماع من ذكر فلا مرية في حقيتها ولذا أناب معاوية عنه وأقر له معاوية بذلك كما ستعلمه مما يأتي قريبا في خطبته حيث قال إن معاوية نازعني حقا وهو لي دونه .
وفـي كـتاب الصلح والنزول عن الخلافة لمعاوية . وبعد تلك الأشهر الستة سار إلى معاوية في أربعين ألفا وسار إليه معاوية فلما تراءى الجمعان علم الحسن أنه لن يغلب أحد الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى فكتب إلى معاوية يخبر أنه يصير الأمر إليه على ان تكون له الخلافة من بعده وعلى أن لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه وعلى أن يقضـي عـنه ديونه فأجابه معاوية إلى طلب إلا عشرة فلم يزل يراجع حتى بعث إليه برق أبيض وقال اكتب ما شئت فيه فأنا ألـتزمه . كـذا فـي كتب السير . والذي في صحيح البخاري عن الحسن البصري رضي ا عنه قال استقبل الحسن بن علي معاويـة بكتائب لا أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص لمعاوية إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها فقال معاوية وكان وا خـير الرجلـين أي عمـرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور المسلمين من لي بنسائهم من لي بضيعتهم فبعـث إلـيه رجلـين مـن قريش من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبدالرحمن بن عامر فقال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضـا علـيه وقولا له واطلبا إليه فدخلا عليه وتكلما وقالا له وطلبا إليه فقال لهما الحسن بن علي رضي ا عنهما إنا بنو عـبد المطلـب قـد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها . قالا له فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسـألك . قال من لي بهذا قالا نحن لك به . فما سألهما شيئا إلا قالا نحن لك به فصالحه . انتهى . ويمكن الجمع بأن معاوية

أرسـل إليه أولا فكتب الحسن إليه يطلب ما ذكر ولما تصالحا كتب به الحسن كتابا لمعاوية صورته . بسم ا الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي رضي ا عنهما معاوية بن أبي سفيان . صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين على أن يعمـل فيهم بكتاب ا تعالى وسنة رسول ا وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهدا بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض ا تعالى في شامهم وعـراقهم وحجازهم ويمنهم وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا وعلى معاوية بن ابي سفيان بذلك عهد ا وميثاقه وأن لا يبتغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول ا غائلـة سرا ولا جهرا ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق . أشهد عليه فلان وفلان بن فلان وكفى با شهيدا . ولما انبرم الصـلح التمس معاوية من الحسن أن يتكلم بجمع من الناس ويعلمهم أنه قد بايع معاوية وسلم إليه الأمر فأجابه إلى ذلك فصعد المنبر فحمد ا وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد وقال أيها الناس إن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور . . . إلى أن قـال وقد علمتم أن ا تعالى جل ذكره وعز اسمه هداكم بجدي وأنقذكم من الضلالة وخلصكم من الجهالة وأعزكم به بعد الذلة وكثركم به بعد القلة إن معاوية نازعني حقا هو لي دونه فنظرت إصلاح الأمة وقطع الفتنة وقد كنتم بايعتموني علىأن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه وقد بايعته ورأيت أن حقن الدماء خير من سـفكها ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين . ومما شرح ا به صدره في هذا الصلح ظهـور معجزة النبي في قوله في حق الحسن (إن ابني هذا سيد وسيصلح ا به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) . /رواه الـبخاري/ . وأخرج الدولابي أن الحسن قال إن كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه ا وحقن دماء المسلمين . وكان نزوله عنها سنة إحدى وأربعين في شهر ربيع الأول وقيل الآخر وقيل في جمادى الأولـى فكان أصحابه يقولون له يا عار المؤمنين . فيقول العار خير من النار . وقال رجل السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك . ثم ارتحل من الكوفة إلىالمدينة وأقام بها / الفصل الثاني في فضائله رضـي ا عنه / . الحديث الاول أخرج الشيخان عن البراء قال رأيت رسول ا والحسن على عاتقه وهو يقول (اللهم إني أحـبه فأحـبه) . الحديث الثاني أخرج البخاري عن أبي بكرة قال سمعت رسول ا على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول (إن ابني هذا سيد ولعل ا أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) . الحديث الثالث أخرج عن ابن عمـر قال قال النبي (هما ريحانتاي من الدنيا) يعني الحسن والحسين . الحديث الرابع أخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخـدري قال قال رسول ا (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) . الحديث الخامس أخرج الترمذي عن أسامة بن زيد قـال رأيـت رسـول ا والحسن والحسين على وركيه فقال (هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما) . الحديـث السـادس أخـرج الترمذي عن أنس قال سئل رسول ا أي أهل بيتك أحب إليك قال (الحسن والحسين) . الحديث السـابع أخرج الحاكم عن ابن عباس قال أقبل النبي وقد حمل الحسن على رقبته فلقيه رجل المركب فقال نعم الركب ركبت يا غـلام فقـال رسـول ا (ونعم الراكب هو) . الحديث الثامن أخرج ابن سعد عن عبد ا بن الزبير قال أشبه أهل النبي به وأحـبهم إلـيه الحسن رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ولقد رأيته وهو راكـع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر . الحديث التاسع أخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال كـان رسول ا يدفع لسانه للحسن بن علي فإذا رأى الصبي حمرة اللسان يهش إليه . الحديث العاشر أخرج الحاكم عن زهير بـن الأقمر قال قام الحسن بن علي يخطب فقام رجل من أزد شنوءة فقال أشهد لقد رأيت رسول ا واضعه على حبوته وهو يقـول (من أحبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب) ولولا كرامة النبي ما حدثت به أحدا . الحديث الحادي عشر أخرج أبو نعيم فـي الحلية عن أبي بكرة قال كان النبي يصلي بنا فيجيء الحسن وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره مرة ومرة على رقبته فيرفعه النبي رفعا رفيقا فلما فرغ من الصلاة قالوا يا رسول ا إنك تصنع بهذا الصبي شيئا لا تصنعه بأحد . فقال النبـي (إن هـذا وإن هـذا رحانتي ابني سيد وحسبي أن يصلح ا تعالى به بين فئتين من المسلمين) . الحديث الثاني عشر

أخـرج الشـيخان عن أبي هريرة أن النبي قال (اللهم إني أحبه وأحب من يحبه) يعني الحسن . وفي رواية (اللهم إني إحبه فأحـبه وأحـب من يحبه) . قال أبو هريرة فما كان أحد أحب إلي من الحسن بعد أن قال رسول ا ما قال . وفي حديث أبي هريرة أيضا عند الحافظ السلفي فقال ما رأيت الحسن بن علي قط إلا فاضت عيناي دموعا وذلك أن رسول ا خرج يوما وأنا فـي المسـجد فأخذ بيدي واتكأ علي حتى جئنا سوق بني قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد ثم قال ادع ابني قال فـأتى الحسن بن علي يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول ا يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول (اللهم إني أحبه فأحبه وأحـب مـن يحـبه) ثلاث مرات . وروى أحمد (من أحبني وأحب هذين يعني حسنا وحسينا وأباهما وأمهما كان معي في درجتـي يوم القيامة) ورواه الترمذي بلفظ (كان معي في الجنة . وقال /حديث غريب/ . وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيـث المقـام بـل مـن جهة رفع الحجاب نظير ما في قوله تعالى (فأولئك مع الذين أنعم ا عليهم من النبيين والصديقين والشـهداء والصـالحين وحسن أولئك رفيقا) النساء ٦٩ / الفصل الثالث في بعض مآثره / . كان رضي ا عنه سيدا كريما حلـيما زاهـدا ذا سـكينة ووقـار وحشمة جوادا ممدوحا وسيأتي بسط شيء من ذلك . أخرج أبو نعيم في الحلية أنه قال إني لأسـتحيي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته . فمشى عشرين حجة . وأخرج الحاكم عن عبد ا بن عمر قال لقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد بين يديه . وأخرج أبو نعيم أنه خرج من ماله مرتين وقاسم ا تعالى ماله ثلاث مـرات حتى أنه كان ليعطي نعلا ويمسك نعلا ويعطي خفا ويمسك خفا . وسمع رجلا يسأل ربه عز وجل عشرة آلاف درهم فبعـث بها إليه . وجاءه رجل يشكو إليه حاله وفقره وقلة ذات يده بعد أن كان مثريا فقال يا هذا حق سؤالك يعظم لدي معرفتي بمـا يجـب لك ويكبر علي ويدي تعجز عن نيلك ما أنت أهله والكثير في ذات ا قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فإن قبلت الميسـور ورفعت عني مؤنة الاحتفال والاهتمام لما أتكلفه فعلت . فقال يا ابن بنت رسول ا أقبل القليل وأشكر العطية وأعذر على المنع . فأحضر الحسن وكيله وحاسبه وقال هات الفاضل . فأحضر خمسين ألف درهم وقال ما فعلت في الخمسمائة دينار التي معك قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها . فدفعها والخمسين ألفا إلى الرجل واعتذر منه . وأضافته هو والحسين وعبد ا بن جعفر عجوز فأعطاها ألف دينار وألف شاة وأعطاها الحسين مثل ذلك وأعطاها عبد ا بن جعفر مثلهما ألفي شاة وألفي ديـنار . وأخـرج الـبزار وغيره عنه أنه لما استخاف بينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وهو ساجد ثم خطب الناس فقال يا أهل العراق اتقوا ا فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال ا فيهم (إنما يريد ا ليذهب عنكم الـرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) الأحزاب ٢٣ فما زال يقولها حتى ما بقي أحد في المسجد إلا وهو يبكي . وأخرج ابن سـعد عن عمير بن إسحاق أنه لم يسمع منه كلمة فحش إلا مرة كان بينه وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض فقال ليس له عندنا إلا ما أرغم أنفه . قال فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه . وأرسل إليه مروان يسبه وكان عاملا على المدينة ويسـب عليا كل جمعة على المنبر فقال الحسن لرسوله ارجع إليه فقل له إني وا لا أمحو عنك شيئا مما قلت بأن اسبك ولكن موعـدي وموعدك ا فإن كنت صادقا فجزاك ا خيرا بصدقك وإن كنت كاذبا فا أشد نقمة . وأغلظ عليه مروان مرة وهو ساكت ثم امتخط بيمينه فقال له الحسن ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج أف لك . فسكت مروان . وكان رضي ا عـنه مطلاقا للنساء وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه وأحصن تسعين امرأة . وأخرج ابن سعد عن علي أنه قال يا أهل الكوفـة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق . فقال رجل من همدان لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق . ولما مات بكى مروان في جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا وأشار بيده إلى الجبل . وأخرج ابن عساكر أنه قيل له إن أبا ذر يقول الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة إلي فقال رحم ا أبـا ذر أما أنا فأقول من اتكل إلى حسن اختيار ا لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختار ا له . وكان عطاؤه كل سنة مائة ألـف فحبسـها عنه معاوية في بعض السنين فحصل له إضافة شديدة . قال فدعوت بداوة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي ثم أمسكت فرأيت رسول ا في المنام فقال كيف أنت يا حسن فقلت بخير يا ابت وشكوت إليه تأخر المال عني فقال أدعوت بدواة لتكتـب إلـى مخلوق مثلك تذكره ذلك قلت نعم يا رسول ا فكيف أصنع فقال قل اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي

عمن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك اللهم وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي ولم تنته إليه رغبتي ولم تبلغه مسألتي ولم يجـر علـى لساني مما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا أرحم الراحمين . قال فوا ما ألححت فيه أسـبوعا حـتى بعث إلي معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت الحمد الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه فرأيت النبـي فـي المنام فقال (يا حسن كيف أنت) فقلت بخير يا رسول ا وحدثته بحديثي فقال (يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق) . ولما احتضر قال لأخيه يا أخي إن أباك قد استشرف لهذا الأمر فصرفه ا عنه ووليها أبو بكر ثم استشرف لها وصرفت عنه إلى عمر ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان فلما قتل عثمان بويع ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له وإني وا ما أرى أن يجمع ا فينا النبوة والخلافة فلا أعرفن بما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك . وقـد كنـت طلبـت إلى عائشة رضي ا عنها أن أدفن مع رسول ا فقالت نعم فإذا مت فأطلب ذلك إليها وما أظن القوم إلا سـيمنعونك فـإن فعلـوا فلا تراجعهم . فلما مات أتى الحسين عائشة رضي ا عنها فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان فلبس الحسـين ومـن معه السلاح حتى رده أبو هريرة ثم دفن بالبقيع إلى جنب أمه رضي ا عنهما . وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي دس إليها يزيد أن تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت فمرض أربعين يوما فلما مات بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال لها إنا لم نرضك للحسن فنرضاك لأنفسنا . وبموته مسموما شهيدا جزم غير واحـد من المتقدمين كقتادة وأبي بكر بن حفص والمتأخرين كالزين العراقي في مقدمة شرح التقريب . وكانت وفاته سنة بسع وأربعين أو خمسين أو إحدى وخمسين أقوال والأكثرون على الثاني كما قاله جماعة وغلط الواقدي ما عدا الأول سيما من قال سـنة سـت وخمسين . ومن قال سنة تسع وخمسين . وجهد به أخوه أن يخبره بمن سقاه فلم يخبره وقال ا أشد نقمة إن كان الـذي أظن وإلا فلا يقتل بي وا برىء . وفي رواية يا أخي قد حضرت وفاتي ودنا فراقي اك وإني لاحق بربي وأجد كبدي تتقطـع وإنـي لعـارف من أين دهيت فأنا أخاصمه إلى ا تعالى فبحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشيء فأذا أذا قضيت نحبي فقمصني وغسلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول ا أجدد به عهدا ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد فاطمـة بنـت أسد فادفني هناك وأقسم عليك با أن لا تريق في أمري محجمة دم . وفي رواية إني يا أخي سقيت السم ثلاث مرات لم أسقه مثل هذه المرة . فقال من سقاك قال ما سؤالك عن هذا تريد أن تقاتلهم أكل أمرهم إلى ا . أخرجه ابن عبد البر . وفي أخرى لقد سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة ولقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبها بعود فقال له الحسين أي أخـي مـن سقاك قال وما تريد إليه أتريد أن تقتله قال نعم . قال لئن كان الذي أظن فا أشد نقمة وإن كان غيره فلا يقتل بي بريء . ورأى كأن مكتوبا بين عينيه (قل هو ا أحد) فاستبشر به هو وأهل بيته فقصوها على ابن المسيب فقال إن صدقت رؤيـاه فقـل مـا بقي من أجله فما بقي إلا أياما حتى مات . وصلى عليه سعيد بن العاص لأنه كان واليا على المدينة من قبل معاويـة ودفـن عند جدته بنت أسد بقبته المشهورة وعمره سبع وأربعون سنة كان منها مع ريسول ا سبع سنين ثم مع أبيه ثلاثون سنة ثم خليفة ستة أشهر ثم تسع سنين ونصف سنة بالمدينة رضي ا عنه

الباب الحادي عشر في فضائل أهل البيت النبوي وفيه فصول

ولـنقدم على ذلك أصله وهو تزويج النبي فاطمة من علي كرم ا وجههما وذلك أواخر السنة الثانية من الهجرة على الأصح وكـان سنها خمس عشرة سنة ونحو نصف سنة وسنة إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها حتى ماتت وأراده فمنعه خوفا عليها لشدة غيرتها عن أنس كما عند ابن أبي حاتم ولأحمد نحوه قال جاء أبو بكر وعمر يخطبان فاطمة إلى النبي فسـكت ولـم يرجع إليهما شيئا فانطلقا إلى علي كرم ا وجهه يأمرانه بطلب ذلك . قال علي فنبهاني لأمر فقمت أجر ردائي حـتى أتيت إلى النبي فقلت تزوجني فاطمة قال وعندك شيء قلت فرسي وبدني فقال أما فرسك فلا بدلك منها وأما بدنك فبعها فبعـتها بأربعمائة وثمانين فجئته بها فوضعها في حجره فقبض منها قبضة فقال أي بلال ابتع لنا بها طيبا وأمرهم أن يجهزوها فجعـل لهـا سـرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف . وقال لعلي إذا أتتك فلا تحدث شيئا حتى آتيك فجاءت مع أم أيمن فقعـدت في جانب البيت وأنا في جانب وجاء رسول ا فقال ههنا أخي فقالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم ودخل

فقـال لفاطمـة ائتيني بماء فقامت إلى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلـى رأسها وقال اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال لها أدبري فأدبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلـك بعلـي ثم قال ادخل بأهلك بسم ا والبركة . وفي رواية أخرى عن أنس أيضا عند أبي الخير القزويني الحاكمي خطبها علـي بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضي ا عنهم فقال قد أمرني ربي بذلك قال أنس ثم دعاني النبي بعد أيام فقال ادع أبا بكـر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الأنصار فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان علي غائبا قال (الحمد المحمود بنعمـته المعـبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره في سمائه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته ومـيزهم بأحكامـه وأعـزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد إن ا تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضـا أوشج به الأرحام أي ألف بينها وجعلها مختلطة مشتبكة وألزمها الأنام فقال عز من قائل (وهو الذي خلق من الماء بشـرا فجعلـه نسبا وصهرا وكان ربك قديرا) الفرقان ٥٤ فأمر ا تعالى يجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب (يمحو ا ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) الرعد ٣٩ ثم إن ا تعالى أمرني أن أزوج فاطمـة من علي بن أبي طالب فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي) . ثم دعا بطبق مـن بسـر ثـم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي في وجهه ثم قال (إن ا عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائـة مثقال فضة أرضيت بذلك) قال قد رضيت بذلك يا رسول ا . فقال (جمع ا شملكما وأعز جدكما وبارك عليكما وأخـرج منكما كثيرا طيبا) . قال أنس فوا لقد أخرج ا منهما الكثير الطيب . تنبيه ظاهر هذه القصة لا يوافق مذهبنا من اشتراط الإيجاب والقبول فورا بلفظ التزويج أو النكاح دون نحو رضيت واشتراط عدم التعليق لكنها واقعة حال محتملة أن عليا قـبل فـورا لما بلغه الخبر . وعندنا أن من زوج غائبا بإيجاب صحيح كما هنا فبلغه الخبر فقال فورا قبلت تزويجها أو قبلت نكاحهـا صـح . وقوله إن رضي بذلك . ليس تعليقا حقيقيا لأن الأمر منوط برضا الزوج وإن لم يذكر فذكره تصريح بالواقع ووقع لبعض الشافعية ممن لم يتقن الفقه هنا كلام غير ملائم فليجتنب . تنبيه آخر أشار الذهبي في الميزان إلى أن هذه الرواية كذب فقال في ترجمة محمد بن دينار راوي الحديث أتى بحديث كذب ولا ندري من هو . انتهى . قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجـر فـي لسان الميزان والخبر المذكور أسنده عن أنس قال بينا أنا عند النبي إذ غشيه الوحي فلما سري عنه قال (إن ربي أمرنـي أن أزوج فاطمة من علي فانطلق فادع أبا بكر وعمر) وسمى جماعة من المهاجرين وبعددهم من الأنصار فلما أخذوا مجالسـهم خطب النبي فقال (الحمد المحمود بنعمته) فذكر الخطبة والعقد وقدر الصداق وذكر البشر والدعاء . أخرجه ابن عساكر في ترجمته عن أبي القاسم النسيب بسند له إلى محمد بن نهار بن أبي المحياة عن عبد الملك بن خيار ابن عم يحيى بن معيـن عن محمد هذا عن هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس . قال ابن عساكر غريب ثم نقل عن محمد بن طاهر أنـه ذكـره في تكملة الكامل والراوي فيه جهالة . انتهى . وبه يعلم أن إطلاق الذهبي كونه كذبا فيه نظر وإنما هو غريب في سـنده مجهـول وسـيأتي في الآية الثانية عشرة بسط يتعلق بذلك وفيه عن النسائي بسند صحيح ما يرد على الذهبي ويبين أن للقصـة أصلا أصيلا فليكن منك على ذكر / الفصل الأول في الآيات الواردة فيهم / . الآية الأولى قال ا تعالى (إنما يريد ا ليذهـب عـنكم الـرجس أهـل البيت ويطهركم تطهيرا) الأحزاب ٣٣ . أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسـن والحسين لتذكير ضمير عنكم وما بعده . وقيل نزلت في نسائه لقوله (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) الأحزاب ٣٤ ونسـب لابـن عباس ومن ثم كان مولاه عكرمة ينادي به في السوق . وقيل المراد النبي وحده وقال آخرون نزلت في نسائه لأنهـم فـي بيت سكناه ولقوله تعالى (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) وأهل بيته نسبة وهم من تحرم الصدقة عليهم . واعتمده جمـع ورجحوه وأيده ابن كثير بأنهن سبب النزول وهو داخل قطعا إما وحده على قوله أو مع غيره على الأصح . وورد في ذلـك أحاديث منها ما يصلح متمسكا للأول ومنها ما يصلح متمسكا للآخر وهو أكثرها فلذا كان هو المعتمد كما تقرر . ولنذكر من تلك الأحاديث جملة فنقول أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في خمسة النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين . وأخـرجه ابن جرير مرفوعا بلفظ (أنزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي والحسن والحسين وفاطمة) . وأخرجه الطبراني

أيضـا . ولمسلم أنه أدخل أولئك تحت كساء عليه وقرأ هذه الآية . وصح أنه جعل على هؤلاء كساء وقال (اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي أي خاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) فقالت أم سلمة وأنا معهم قال (إنك على خير) . وفي رواية أنـه قال بعد تطهيرا (أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم) . وفي أخرى ألقى عليهم كساء ووضع يده عليهم ثم قال (اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد) . وفي أخرى أن الآية نزلت ببيـت أم سـلمة فأرسل إليهم وجللهم بكساء ثم قال نحو ما مر وفي أخرى أنهم جاءوا واجتمعوا فنزلت فإن صحتا حمل على نـزولها مرتين . وفي أخرى أنه قال (اللهم أهلي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) ثلاثا وأن أم سلمة قالت له ألست من أهلـك قال بلى وأنه أدخلها في الكساء بعدما قضى دعاءه لهم . وفي أخرى أنه لما جمعهم ودعا لهم بأطول مما مر قال واثلة وعلي يا رسول ا فقال (اللهم وعلى واثلة) . وفي رواية صحيحة قال واثلة وأنا من أهلك قال وأنت من أهلي قال واثلة إنها لمن أرجى ما أرجو . قال البيهقي وكأنه جعله في حكم الأهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا . وأشار المحب الطبرى إلـى أن هـذا الفعل تكرر منه في بيت أم سلمة وبيت فاطمة وغيرهما وبه جمع بين اختلاف الروايات في هيئة اجتماعهم وما جللهـم بـه ومـا دعا به لهم وما أجاب به واثلة وأم سلمة ويؤيد ذلك رواية أنه قال نحو ذلك لهؤلاء وهم في بيت فاطمة وفي روايـة أنه ضم إلى هؤلاء بقية بناته وأقاربه وأزواجه وصح عن أم سلمة فقلت يا رسول ا أما أنا من أهل بيتك فقال بلى إن شـاء ا . وذهـب الثعلبـي إلى أن المراد من أهل البيت في الآية جميع بني هاشم . ويؤيده الحديث الحسن أنه اشتمل على العـباس وبنيه بملاءة ثم قال (يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من الناسر كستري إياهم بملاءتي هذه) فأمنـت أسـكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا . وفي رواية فيها من وثقه ابن معين وضعفه غيره ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وذلك قوله عز وجل (إنما يريد ا ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) الأحزاب ٣٣ . والحاصـل أن أهل بيت السكنى داخلون في الآية لأنهم المخاطبون بها ولما كان أهل بيت النسب تخفى إرادتهم منها بين بما فعلـه مع من مر أن المراد من أهل البيت هنا ما يعم أهل بيت سكناه كأزواجه وأهل بيت نسبه وهم جميع بني هاشم والمطلب وقـد ورد عن الحسن من طرق بعضها سنده حسن وأنا من أهل البيت الذين أذهب ا عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . فبيت النسب مراد في الآية كبيت السكنى ومن ثم أخرج مسلم عن زيد ابن أرقم أنه لما سئل أنساؤه من أهل بيته فقال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم ا الصدقة عليهم . فأشار إلى أن نساءه من أهل بيت سكناه الذين امتازوا بكرامات وخصوصيات أيضا لا من أهل بيت نسبه وإنما أولئك من حرمت عليهم الصدقة . ثم هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بإنما المفيدة لحصر إرادته تعالى في أمرهم على إذهاب الرجس الذي هو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به عنه وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة . وسيأتي في بعض الطرق تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته إذ منه إلهام الإنابة إلى ا تعالى وإدامة الأعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهـرة لكونهـا صارت ملكا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها بالخلافة الباطنة حتى ذهب قوم إلى ان قطب الأولياء في كل زمـن لا يكون إلا منهم وممن قال يكون من غيرهم الأستاذ أبو العباس المرسي كما نقله عنه تلميذه التاج ابن عطاء ا . ومن تطهـيرهم تحـريم صـدقة الفرض بل والنفل على قول لمالك عليهم لأنها أوساخ الناس مع كونها تنبىء عن ذل الآخذ وعز المـأخوذ منه وعوضوا عنها خمس خمس الفيء والغنيمة المنبىء عن عز الآخذ وذل المأخوذ منه ومن ثم كان المعتمد دخول أهـل بيت النسب في الآية ولذا اختصوا بمشاركته في تحريم صدقة الفرض والزكاة والنذر والكفارة وغيرها . وخالف بعض المتأخريـن فبحـث أن الـنذر كالنفل وليس كما قال وامتاز بحرمة النفل وإن كان على جهة عامة أو غير متقوم على الأصح واخـتار الماوردي حل صلاته في المساجد وشربه من سقاية زمزم وبئر رومة واستدل الشافعي رضي ا عنه لحل النفل لهم بقول الباقر لما عوتب في شربه من سقايات بين مكة والمدينة إنما حرم علينا الصدقة المفروضة . ووجهه أن مثله لا يقال من قـبل الرأي لتعلقه بالخصائص فيكون مرسلا لأن الباقر تابعي جليل وقد اعتضد مرسله بقول أكثر أهل العلم وتحريم ذلك يعم بني هاشم والمطلب مواليهم قيل وأزواجه وهو ضعيف وإن حكى ابن عبد البر الإجماع عليه ولزوم نفقتهن بعد الموت لا يحرم

الأخـذ إلا مـن جهة الفقر والمسكنة بخلافه بجهة أخرى كدين أو سفر كما هو مقرر في الفقه وفي خبر أنها تحل لبعض بني هاشم من بعض لكنه ضعيف مرسل فلا حجة فيه . وشربه من سقاية زمزم واقعة حال تحتمل أن الماء الذي فيها من نزعه أو نزع مأذونه فلم يتحقق أنه من صدقة العباس . وحكمة ختم الآية بتطهير المبالغة في وصولهم لأعلاه وفي رفع التجوز عنه ثم تـنويه تنويـن التعظيم والتكثير والإعجاز المفيد إلى أنه ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف ثم أكد ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله (اللهم هؤلاء أهل بيتي) إلى آخر ما مر وبإدخاله نفسه معهم في العد لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه بل في رواية أنه اندرج معهم جبريل وميكائيل إشارة إلى علي قدرهم وأكده أيضا بطلب الصلاة عليهم بقوله (فاجعل صلاتك . . .) إلـى آخر ما مر وأكده أيضا بقوله (أنا حرب لمن حاربهم . . .) إلى آخر ما مر أيضا وفي رواية أنه قال بعد ذلك (ألا مـن آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى ا تعالى) . وفي أخرى (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد بي حتى يحبني ولا يحبنـي يحـب ذوي قرابتـي فأقـامهم مقام نفسه ومن ثم صح أنه قال (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب ا وعترتـي) وألحقـوا به أيضا في قصة المباهلة في آية (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) آل عمران ٦١ الآية فغدا محتضنا الحسـن آخـذا بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها . وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد في آية المباهلة كما أنهم من جملـة المـراد بآية (إنما يريد ا ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) فالمراد بأهل البيت فيها وفي كل ما جاء في فضلهم أو فضـل الآل أو ذوي القـربى جميع آله وهم مؤمنو بني هاشم والمطلب وخبر (آلي كل مؤمن تقي) ضعيف بالمرة ولو صح لـتأيد به . جمع بعضهم بين الأحاديث بأن الآل في الدعاء لهم في نحو الصلاة يشمل كل مؤمن تقي وفي حرمة الصدقة عليهم مخـتص بمؤمن بني هاشم والمطلب وأيد ذلك الشمول بخبر البخاري (ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثا) . (اللهم اجعل رزق آل محمـد قوتا) . وفي قول إن الآل هم الأزواج والذرية فقط . الآية الثانية قوله تعالى (إن ا وملائكته يصلون على النبـي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) الأحزاب ٥٦ . صح عن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسـول قـد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) إلى آخره وفي روايـة الحاكم فقلنا يا رسول ا كيف الصلاة عليكم أهل البيت قال (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) إلى آخره فسؤالهم بعد نزول الآية وإجابتهم باللهم صل على محمد وعلى آل محمد إلى آخره دليل ظاهر على ان الأمر بالصلاة على أهل بيـته وبقية آله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر فلما أجيبوا به دل على ان الصلاة عليهم من جملة المأمور به وأنه أقامهم في ذلـك مقام نفسه لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم ومن ثم لما أدخل من مر في الكساء قال (اللهم إنهم منـي وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علي وعليهم) . وقضية استجابة هذا الدعاء أن ا صلى عليهم معـه فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه ويروى (لا تصلوا علي الصلاة البتراء) فقالوا وما الصلاة البتراء قال (تقولـون اللهـم صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) ولا ينافي ما تقدم حذف الآل في حديـث الصـحيحين قالوا يا رسول ا كيف نصلي عليك قال (قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم) إلى آخره لأن ذكر الآل ثبت في روايات أخر وبه يعلم أنه قال ذلك كله فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظه الآخر ثـم عطـف الأزواج والذريـة على الآل في كثير من الروايات يقتضي أنهما ليسا من الآل وهو واضح في الأزواج بناء على الأصـح في الآل أنهم مؤمنو بني هاشم والمطلب وأما الذرية فمن الآل على سائر الأقوال فذكرهم بعد الآل للإشارة إلى عظيم شـرفهم . روى أبـو داود (مـن سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على النبي محمد وأزواجـه أمهـات المؤمنيـن وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد) . وقولهم علمنا كيف نسلم عليك . أشـاروا بـه إلى السلام عليه في التشهد كما قال البيهقي وغيره . ويدل له خبر مسلم أمرنا ا أن نصلي عليك فكيف نصلي علـيك فسـكت النبـي حتى تمنينا أننا لم نسأله ثم قال (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) الحديث . وزاد آخره (والسـلام كمـا قـد علمتم) أي من العلم ويروى من التعليم لأنه كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة وصح أن رجلا قال يا رسول ا أما السلام عليكم فقد عرفناه فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا صلى ا عليك فصمت حتى أحببنا

أن الـرجل لم يسأله فقال (إذا أنتم صليتم علي فقولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد) الحديث . ولا يقال تفـرد بـه ابن إسحق ومسلم لم يخرج له إلا في المتابعات لأنا نقول الأئمة وثقوه وإنما هو مدلس فقط وقد زالت علة التدليس بتصـريحه فيه بالتحديث فاتضح أن ذلك خرج مخرج البيان للأمر الوارد في الآية . ويوافقه قوله قولوا فإنها صيغة أمر وهو للوجوب وما صح عن ابن مسعود بتشهيد الرجل في الصلاة ثم يصلي على النبي ثم يدعو لنفسه فهذا الترتيب منه لا يكون من قـبل الـرأي فيكون في حكم المرفوع . وصح أيضا أنه سمع رجلا يدعو في صلاته لم يحمد ا ولم يصل على النبي فقال (عجـل هذا) ثم دعاه فقال له أو لغيره (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلي على النبي ثم يدعو بما شاء) . ومحـل البداءة بالتحميد والثناء على ا تعالى جلوس التشهد . وبهذا كله اتضح قول الشافعي رضي ا عنه بوجوب الصلاة علـى النبـي فـي التشهد لما علمت منه أنه صح عنه الأمر بوجوبها فيه ومن أنه صح عن ابن مسعود تعيين محلها وهو بين التشهد والدعاء فكان القول بوجوبها لذلك الذي ذهب إليه الشافعي هو الحق الموافق لصريح السنة ولقواعد الأصوليين ويدل له أيضـا أحاديث صحيحة كثيرة استوعبتها في شرحي الإرشاد والعباب مع بيان الرد الواضح على من شنع على الشافعي وبيان أن الشـافعي لم يشذ بل قال به قبله جماعة من الصحابة كابن مسعود وابن عمر وجابر وأبي مسعود البدري وغيرهم والتابعين كالشـعبي والـباقر وغـيرهم كإسحاق بن راهويه وأحمد بل لمالك قول موافق للشافعي رجحه جماعة من أصحابه . قال شيخ الإسـلام خاتمة الحفاظ ابن حجر لم أر عن أحد من الصحابة والتابعين التصريح بعدم الوجوب إلا ما نقل عن إبراهيم النخعي من إشعاره بأن غيره كان قائلا بالوجوب انتهى . فزعم أن الشافعي شذ وأنه خالف في ذلك فقهاء الأمصار مجرد دعةباطلة لا يلتفـت إلـيها ولا يعول عليها ومن ثم قال ابن القيم أجمعوا على مشروعية الصلاة عليه في التشهد وإنما أختلفوا في الوجوب والاستحباب ففي تمسك من لم يوجبها بعمل السلف نظر لأنهم كانوا يأتون بها في صلاتهم فإن أريد بعملهم اعتقادهم احتاج إلى نقل صريح عنهم بعدم الوجوب وأنى يوجد ذلك قال وأما قول عياض إن الناس شنعوا على الشافعي . فلا معنى له فأي شناعة في ذلك لأنه لم يخالف في ذلك نصا ولا إجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك من محاسن مذهبه و در القائل حيـث قال . (وإذا محاسني اللاتي أدل بها % صارت ذنوبا فقل لي كيف أعتذر) . واعلم أن النووي نقل عن العلماء كراهة إفـراد الصلاة والسلام عليه ومن ثم قال بعض الحفاظ كنت أكتب الحديث فأكتب الصلاة فقط فرأيت النبي في النوم . فقال لي أما تتم الصلاة في كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا صليت عليه وسلمت . ولا يحتج بتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لأن السلام سبقها فـي التشـهد فـلا إفـراد فيه وقد جاء ذكر الصلاة مقرونة بالسلام في مواطن منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الطبراني في الدعاء مرفوعا وكذا في غيره وإنما حذف في بعض المواطن اختصارا وكذا حذف الآل . وقد اخرج الديلمي أنه قـال (الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وأهل بيته اللهم صل على محمد وآله) . وكأن قضية الأحاديث السابقة وجوب الصـلاة علـى الآل في التشهد الأخير كما هو قول الشافعي خلافا لما يوهمه . كلام الروضة وأصلها ورجحه بعض أصحابه ومـال إلـيه البيهقي ومن ادعى الإجماع علىعدم الوجوب فقد سها لكن بقية الأصحاب قد ذهبوا إلى أن اختلاف تلك الروايات مـن أجـل أنها وقائع متعددة فلم يوجبوا إلا ما اتفقت الطرق عليه وهو أصل الصلاة عليه وما زاد فهو من قبيل الأكمل ولذا استدلوا على عدم وجوب قوله (كما صليت على إبراهيم) بسقوطه في بعض الطرق وللشافعي رضي ا عنه . (يا أهل بيت رسـول ا حـبكم % فرض من ا في القرآن أنزله) . (كفاكم من عظيم القدر أنكم % من لم يصل عليكم لا صلاة له) . فيحـتمل لا صـلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة على الآل ويحتمل لا صلاة له كاملة فيوافق أظهر قوليه . الآيـة الثالـثة قوله تعالى (سلام على آل ياسين) الصافات ١٣٠ . فقد نقل جماعة من المفسرين عن ابن عباس رضي ا عنهما أن المراد بذلك سلام على آل محمد . وكذا قاله الكلبي وعليه فهو داخل بطريق الأولى أو النص كما في اللهم صل على آل أبي أوفى . لكن أكثر المفسرين على أن المراد إلياس عليه السلام وهو قضية السياق . تنبيه لفظ السلام في نحو هذه الجملة خـبر مـراد به الإنشاء والطلب على الأصح والطلب يستدعي مطلوبا منه وطلبه تعالى من غيره محال فالمراد بسلامه تعالى على عباده إما بشارتهم بالسلامة وإما حقيقة الطلب فكأنه طلب من نفسه إذ سلامه تعالى يرجع لكلامه النفسي الأزلي وتضمنه

الطالـب منه لإنالة السلامة الكاملة للمسلم عليه غير محال إذ هو طلب نفسي مقتض لتعلق الإرادة به والطلب من النفس معقول يعلمه كل أحد من نفسه فالحاصل أنه تعالى طلب لهم منه إنالتهم السلامة الكاملة فيتعلق ذلك بهم في الوقت الذي أراد ا تعالى تخصيصـهم بـه كما في أمره ونهيه المتعلقين بنا مع قدمهما . وذكر الفخر الرازي أن أهل بيته يساوونه في خمسة أشياء في السلام قال السلام عليك أيها النبي وقال تعالى (سلام على آل ياسين) الصافات ١٣٠ . وفي الصلاة عليهم في التشهد . وفي الطهـارة قـال تعـالى (طه) طه ١ أي يا طاهر وقال (ويطهركم تطهيرا) الأحزاب ١٣٣ . وفي تحريم الصدقة . وفي المحـبة قال تعالى (فاتبعوني يحببكم ا) آل عمران وقال (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) الشورى ٢٣ . الآيـة الـرابعة قوـله تعالى (وقفوهم إنهم مسؤولون) الصافات ٢٤ . أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أن النبي قال (وقفوهم إنهم مسؤولون عن ولاية علي) . وكأن هذا هو مراد الواحدي بقوله روي في قوله تعالى (وقفوهم إنهم مسؤولون) أي عـن ولاية علي وأهل البيت لأن ا أمر نبيه أن يعرف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجرا إلا المودة في القربى والمعنى أنهم يسألون هل والوهم حق الموالاة كما أوصاهم النبي أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة . انتهى . وأشـار بقوـله كما أوصاهم النبي إلى الأحاديث الواردة في ذلك وهي كثيرة وسيأتي منها جملة في الفصل الثاني . ومن ذلك حديـث مسـلم عن زيد بن أرقم قال قام فينا رسول ا خطيبا فحمد ا وأثنى عليه ثم قال . (أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر مـثلكم يوشـك أن يأتيـي رسـول ربي عز وجل فأجيبه وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب ا عز وجل فيه الهدى والنور فتمسـكوا بكـتاب ا عز وجل وخذوا به وحث فيه ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم ا عز وجل في أهل بيتي) ثلاث مـرات فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته قال بلى إن نساءه من أهل بيته لكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم . وأخرج الترمذي وقال حسن غريب أنه قال (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب ا عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما) . وأخرجه أحمـد فـي مسـنده بمعناه ولفظه (إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب ا حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتـي أهـل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بم تخلفوني فيهما وسـنده لا بـأس به . وفي رواية أن ذلك كان في حجة الوداع وفي اخرى مثله يعني كتاب ا كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومثلهم أي أهل بيته كمثل باب حطة من دخله غفرت له الذنوب . وذكر ابن الجوزي لذلك في العلل المتناهية وهم أو غفلة عن استحضار بقية طرقه بل في مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال ذلك يوم غدير خم وهو ماء بالجحفة كما مر وزاد (أذكركم ا في أهل بيتي) قلنا لزيد من أهل بيته نساؤه قال لا وأيم ا إن المرأة تكون من الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومهـا أهـل بيـته أهلـه وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده . وفي رواية صحيحة (إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما وهما كتاب ا وأهل بيتي عترتي) . زاد الطبراني (إني سألت ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فـتهلكوا ولا تعلموهـم فإنهم أعلم منكم) . وفي رواية كتاب ا وسنتي وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب لأن السـنة مبينة له فأغنى ذكره عن ذكرها . والحاصل أن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت ويسـتفاد مـن مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة . ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشـرين صحابيا ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه وفي بعض تلك الطرق انه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم وفي أخرى أنه قاله لما قام خطيـبا بعد انصرافه من الطائف كما مر ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكـتاب العزيـز والعترة الطاهرة . وفي رواية عند الطبراني عن ابن عمر آخر ما تكلم به النبي (أخلفوني في أهل بيتي) . وفـي أخرى عند الطبراني وأبي الشيخ (إن عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ ا دينه ودنياه ومن لم يحفظهن لم يحفـظ ا دنـياه ولا آخرته) قلت ما هن قال (حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي) . وفي رواية للبخاري عن الصديق

رضـي ا عنه من قوله يا أيها الناس ارقبوا محمدا في أهل بيته . أي احفظوه فيهم فلا تؤذوهم . وأخرج ابن سعد والملا في سـيرته أنـه قال (استوصوا بأهل بيتي خيرا فإني أخاصمكم عنهم غدا ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار) . وأنـه قال (من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند ا عهدا) . وأخرج الأول (أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنـيا فمـن شـاء اتخذ إلى ربه سبيلا) . والثاني حديث (في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحـريف الضـالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى ا عز وجل فانظروا من توفدون) . وأخرج أحمد خبر (الحمد الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت) . وفي خبر حسن (ألا إن عيبتي وكرشي أهل بيتي والأنصار فاقبلوا مـن محسـنهم وتجـاوزوا عن مسيئهم) . تنبيه سمى رسول ا القرآن وعترته وهي بالمثناة الفوقية الأهل والنسل والرهط الأدنون ثقلين لأن الثقل كل نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كل منهما معدن العلوم الدينة والأسرار والحكم العلية والأحكام الشـرعية ولـذا حث على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم وقال (الحمد الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت) . وقيل سميا ثقليـن لـثقل وجـوب رعاية حقوقهما ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب ا وسنة رسوله إذ هم الذين لا يفـارقون الكتاب إلى الحوض ويؤيده الخبر السابق (ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) . وتميزوا بذلك لأنهم عن بقية العلماء لأن ا أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة وقد مر بعضها وسيأتي الخبر الذي في قـريش (تعلمـوا مـنهم فـإنهم أعلـم مـنكم) فإذا ثبت هذا العموم لقريش فأهل البيت منهم أولى منهم بذلك امتازوا عنهم بخصوصـيات لا يشـاركهم فيها بقية قريش . وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك ولهذا كانوا أمانا لأهل الأرض كما يأتي ويشهد لذلك الخبر السابق (في كـل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي) إلى آخره . ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم ا وجهـه لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته ومن ثم قال أبو بكر رضي ا عنه علي عترة رسول ا . أي الذين حث علـى التمسـك بهـم فخصه بما قلنا وكذلك خصه بما مر يوم غدير خم . والمراد بالعيبة والكرش في الخبر السابق آنفا أنهم موضـع سره وأمانته ومعادن نفائس معارفه وحضرته إذ كل من العيبة والكرش مستودع لما يخفى فيه مما به القوام والصلاح لأن الأول لمـا يحرز فيه نفائس الأمتعة والثاني مستقر الغذاء الذي به النمو وقوام البنية وقيل هما مثلان لاختصاصهم بالأمور الظاهـرة والباطـنة إذ مظروف الكرش باطن والعيبة ظاهر وعلى كل فهذا غاية في التعطف عليهم والوصية بهم . ومعنى (وتجاوزوا عن مسيئهم) أي في غير الحدود وحقوق الآدميين . وهذا أيضا محمل الخبر الصحيح (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم) ومـن ثم ورد في رواية (إلا الحدود) وفسرهم الشافعي بأنهم الذين لا يعرفون بالشر . ويقرب منه قول غيره هم أصحاب الصغائر دون الكبائر وقيل من إذا أذنب تاب . الآية الخامسة قوله تعالى (واعتصموا بحبل ا جميعا ولا تفرقوا) آل عمران ١٠٣ . أخـرج الثعلبـي في تفسيرها عن جعفر الصادق رضي ا عنه أنه قال نحن حبل ا الذي قال ا فيه (واعتصموا بحـبل ا جميعا ولا تفرقوا) وكان جده زين العابدين إذا تلا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا وكونوا مع الصادقين) الـتوبة ١١٩ يقـول دعاء طويلا يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدرجات العلية وعلى وصف المحن وما انتحلته المبتدعة المفارقون لأئمة الدين والشجرة النبوية ثم يقول وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوا بآرائهم واتهموا مأثور الخبر . . . إلى أن قال فإلى من يفزع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام هذه الملة ودانت الأمة بالفرقة والاخـتلاف يكفر بعضهم بعضا وا تعالى يقول (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) آل عمران ١٠٥ فمـن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكم إلى أهل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج ا بهم علـى عـباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهـب ا عـنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب . الآية السادسة قوله تعالى (أم يحسـدون الـناس على ما آتاهم ا من فضله) النساء ٥٤ . أخرج أبو الحسن المغازلي عن الباقر رضي ا عنه أنه قال في هـذه الآية نحن الناس وا . الآية السا بعة قوله تعالى (وما كان ا ليعذبهم وأنت فيهم) الأنفال ٣٣ . أشار إلى وجود ذلك

المعـنى في أهل بيته وإنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو أمانا لهم وفي ذلك أحاديث كثيرة يأتي بعضها ومنها (النجوم أمان لأهـل السـماء وأهـل بيتي أمان لأمتي) أخرجه جماعة كلهم بسند ضعيف وفي رواية ضعيفة أيضا (أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون) . وفي أخرى لأحمد (فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض) . وفي رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس) . وجاء من طرق عديـدة يقـوي بعضها بعضا (إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا) وفي رواية مسلم (ومن تخاف عنها غـرق) وفي رواية (هلك وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له) وفي رواية (غفر له الذنـوب) . وقال بعضهم يحتمل أن المراد بأهل البيت الذين هم أمان علماؤهم لأنهم الذين يهتدى بهم كالنجوم والذين إذا فقدوا جاء أهل الأرض من الآيات ما يوعدون وذلك عند نزول المهدي لما يأتي في أحاديثه أن عيسى يصلي خلفه ويقتل الدجال في زمنه وبعد ذلك تتتابع الايات بل في مسلم أن الناس بعد قتل عيسى للدجال يمكثون سبع سنين ثم يرسل ا ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال حبة من خير أو إيمان إلا قبضه فيبقى شرار في خفة الطير وأحلام السباع لا يعـرفون معروفا ولا ينكرون منكرا . الحديث . قال ويحتمل وهو الأظهر عندي أن المراد بهم سائر أهل البيت فإن ا لما خلـق الدنـيا بأسرها من أجل النبي جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته لأنهم يساوونه في أشياء مر عن الرازي بعضها ولأنه قال في حقهم (اللهم إنهم مني وأنا منهم) ولأنهم بضعة منه بواسطة أن فاطمة رضي ا عنها أمهم بضعته فأقيموا مقامه في الأمـان . انـتهى ملخصا . ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مر أن من أحبهم وعظمهم شكرا لنعمة ٣ ٤٤٧ مشرفهم وأخذ بهدي علمـائهم نجا من ظلمة المخالفات ومن تخاف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان . ومر في خبر (أن من حفظ حرمة الإسلام وحرمة النبي وحرمة رحمه حفظ ا تعالى دينه ودنياه ومن لم يحفظ لم يحفظ ا دنياه ولا آخرته) . وورد (يـرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين السبابتين) ويشهد له خبر (المرء مع من أحب) . وبباب حطة أن ا تعـالى جعـل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحاء أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سببا للمغفرة وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سببا لها كما سيأتي قريبا . الآية الثامنة قوله تعالى (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) طـه ٨٢ . قال ثابت البناني اهتدى إلى ولاية أهل بيته . وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر أيضا . وأخرج الديلمي مرفوعا (إنما سميت ابنتي فاطمة لأن ا فطمها ومحبيها عن النار) . وأخرج أحمد أنه أخذ بيد الحسنين وقال (من أحبني وأحب هذين واباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيام) . ولفظ الترمذي وقال حسن غريب (وكان معي في الجنة) . ومعنى المعية هـنا معية القرب والشهود لا معية المكان والمنزل . وأخرج ابن سعد عن علي أخبرني رسول ا أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمـة والحسـن والحسين قلت يا رسول ا فمحبونا قال من ورائكم . ومر في فضائل أبي بكر رضي ا عنه أنه أول من يدخـل الجـنة . وفـي فضـائل عمر رضي ا عنه ذلك أيضا ومر الجمع بينهما بما يعلم به محمل هذا الحديث . ولا تتوهم الرافضـة والشـيعة قـبحهم ا من هذه الأحاديث أنهم محبوا أهل البيت لأنهم أفرطوا في محبتهم حتى جرهم ذلك إلى تكفير الصـحابة وتضليل الأمة وقد قال علي يهلك في محب مفرط يقرظني بما ليس في . ومر خبر لا يجتمع حب علي وبغض أبي بكـر وعمر في قلب مؤمن . وهؤلاء الضالون الحمقى أفرطوا فيه وفي اهل بيته فكانت محبتهم عارا عليهم وبوارا قاتلهم ا أنى يؤفكون . وأخرج الطبراني بسند ضعيف أن عليا أتي يوم البصرة بذهب وفضة فقال ابيضي واصفري غري غيري غري أهـل الشام غدا إذا ظهروا عليك . فشق قوله ذلك على الناس فذكر ذلك له فأذن في الناس فدخلوا عليه فقال إن خليلي قال (يا علـي إنـك سـتقدم على ا وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضابا مقمحين) ثم جمع علي يده إلى عنقه يريهم الإقمـاح . وشـيعته هم أهل السنة لأنهم الذين أحبوهم كما أمر ا أمرنا ورسوله وأما غيرهم فاعداؤه في الحقيقة لأن المحبة الخارجـة عن الشرع الجائرة عن سنن الهدى هي العداوة الكبرى فلذا كانت سببا لهلاكهم كما مر آنفا عن لاصادص المصدوق . وأعداؤهـم الخـوارج ونحوهم من أهل الشام لا معاوية ونحوه من الصحابة لأنهم متأولون فلهم أجر وله هو وشيعته أجران

رضي ا عنهم . ويؤيد ما قلناه من أن أولئك المبتدعة الرافضة والشيعة ونحوهما ليسوا من شيعة علي وذريته بل من أعدائهم مـا أخرجه صاحب المطالب العالية عن علي ومن جملته أنه مر على جمع فأسرعوا إليه قياما فقال من القوم فقالوا من شيعتك يـا أمير المؤمنين . فقال لهم خيرا ثم قال يا هؤلاء مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبتنا فأمسكوا حياء فقال له من معه نسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة شيعتكم . فقال شيعتنا هم العارفون با العاملون بأمر ا أهل الفضـائل الـناطقون بالصـواب مأكولهم القوت وملبوسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع نجعوا بطاعته وخضعوا إليه بعبادته مضوا غاضين أبصارهم عما حرم ا عليهم رامقين أسماعهم على العلم بربهم نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت منهم في الرخاء رضوا عن ا تعالى بالقضاء فلولا الآجال التي كتب ا تعالى لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى لقاء ا والثواب وخوفا من أليم العقاب عظم الخالق في انفسهم وصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكهـا متكـئون وهـم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون صبروا أياما قليلة فأعقبتهم راحة طويلة أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وطلبـتهم فأعجزوها أما الليل فصافون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن ترتيلا يعظون أنفسهم بأمثاله ويستشفون لدائهم بدوائه تارة وتارة يفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يمجدون جبارا عظيما ويجأرون إليه في فكاك رقابهم . هذا ليلهم فأما نهارهم فحكماء علماء بررة أتقياء براهم خوف باريهم فهم كالقداح تحسبهم مرضى أو قد خولطوا وما هم بذلك بل خاسرهم من عظمة ربهم وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم وذهلت منه عقولهم فإذا أشفقوا من ذلك بادروا إلى ا تعـالى بالأعمـال الزاكية لا يرضون له بالقليل ولا يستكثرون له الجزيل فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ترى لأحدهم قوة في دين وحزما في لين وإيمانا في يقين وحرصا على علم وفهما في فقه وعلما في حلم وكيسا في قصد وقصدا في غـنى وتجملا في فاقة وصبرا في شفقة وخشوعا في عبادة ورحمة لمجهود وإعطاء في حق ورفقا في كسب وطلبا في حلال ونشاطا في هدى واعتصاما في شهوة لا يغره ما جهله ولا يدع إحصاء ما عمله يستبطىء نفسه في العلم وهو من صالح عمله علـى وجل يصبح وشغله الذكر ويمسي وهمه الشكر يبيت حذرا من سنة الغفلة ويصبح فرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ورغبـته فـيما يبقى وزهادته فيما يفنى وقد قرن العلم بالعمل والعلم بالحلم دائما نشاطه بعيدا كسله قريبا أمله قليلا ز متوقعا أجله عاشقا قلبه شاكرا ربه قانعا نفسه محرزا دينه كاظما غيظه آمنا منه جاره سهلا أمره معدوما كبره بينا صبره كثيرا ذكره لا يعمـل شيئا من الخير رياء ولا يتركه حياء . أولئك شيعتنا وأحبتنا ومنا ومعنا ألا هؤلاء شوقا إليهم . فصاح بعض من معه وهـو همام بن عباد بن خيثم وكان من المتعبدين صيحة فوقع مغشيا عليه فحركوه فإذا هو فارق الدنيا فغسل وصلى عليه أمير المؤمنين ومن معه . فتأمل وفقك ا لطاعته وأدام عليك من سوابغ نعمه وحمايته هذه الأوصاف الجليلة الرفيعة الباهرة الكاملة المنـيعة تعلم أنها لا توجد إلا في أكابر العارفين لأئمة الوارثين فهؤلاء هم شيعة علي رضي ا تعالى عنه وأهل بيته . وأما الرافضـة والشـيعة ونحوهمـا إخـوان الشياطين وأعداء الدين وسفهاء العقول ومخالفوا الفروع والأصول ومنتحلو الضلال ومسـتحقو عظيم العقاب والنكال فهم ليسوا بشيعة لأهل البيت المبرئين من الرجس المطهرين من شوائب الدنس لأنهم أفرطوا وفـرطوا في جنب ا فاستحقوا منه أن يبقيهم متحيرين في مهالك الضلال والاشتباه وإنما هم شيعة إبليس اللعين وخلفاء أبنائه المتمرديـن فعلـيهم لعنة ا وملائكته والناس أجمعين وكيف يزعم محبة قوم من لم يتخلق قط بخلق من أخلاقهم ولا عمل في عمـره بقول من أقوالهم ولا تأسى في دهره بفعل من أفعالهم ولا تأهل لفهم شيء من أحوالهم ليست هذه محبة في الحقيقة بل بغضـة عـند أئمـة الشريعة والطريقة إذ حقيقة المحبة طاعة المحبوب وإيثار محابه ومرضاته على محاب النفس ومرضاتها والـتأدب بآدابـه وأخلاقـه ومـن ثم قال علي كرم ا وجهه لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر . لأنهما ضدان وهما لا يجـتمعان . الآيـة التاسـعة قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونسائنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة ا على الكاذبين) آل عمران ٦١ . قال في الكشاف لا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء وهم علي وفاطمة والحسنان لأنها لما نزلت دعاهم فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلـي خلفهمـا فعلم أنهم المراد من الآية وأن أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا

والآخـرة . ويوضـح ذلك أحاديث نذكرها مع ما يتعلق بها تتميما للفائدة فنقول . صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال على المنبر (ما بال أقوام يقولون إن رحم رسول ا لا ينفع قومه يوم القيامة بلى وا إن رحمي موصولة افي الدنيا والآخرة وإني أيهـا الناس فرط لكم على الحوض) . وفي رواية ضعيفة وإن صححها الحاكم أنه بلغه أن قائلا قال لبريدة إن محمدا لن يغني عنك من ا شيئا . فخطب ثم قال (ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينفع بل حتى حاء وحكم أي هما قبيلتان من اليمن أني لأشفع فأشفع حتى إن من أشفع له فيشفع حتى إن إبليس ليتطاول طمعا في الشفاعة) . وأخرج الدارقطني أن عليا يوم الشورى احـتج على أهلها فقال لهم أنشدكم با هل فيكم أحد أقرب إلى رسول ا في الرحم مني ومن جعله نفسه وأبناءه أبناءه ونساؤه نسـاءه غـيري قـالوا اللهم لا الحديث . وأخرج الطبراني إن ا عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وإن ا تعالى جعل ذريتـي فـي صلب علي بن أبي طالب . وأخرج أبو الخير الحاكمي وصاحب كنوز المطالب في بني أبي طالب أن عليا دخل علـى النبي وعنده العباس فسلم فرد عليه السلام وقام فعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه فقال له العباس أتحبه قال يا عـم وا أشد حبا له مني إن ا عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا زاد الثاني في روايته إنـه إذا كـان يـوم القـيامة دعي الناس بأسماء أمهاتهم سترا من ا عليهم إلا هذا وذريته فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لصحة ولادتهـم . وأبـو يعلى والطبراني أنه قال (كل بني أم ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم) وله طرق يقـوي بعضها بعضا وقول ابن الجوزي بعد أن أورد ذلك في العلل المتناهية إنه لا يصح . غير جيد كيف وكثرة طرقه ربما توصـله إلى درجة الحسن بل صح عن عمر أنه خطب أم كلثوم من علي فاعتل بصغرها وبأنه أعدها لابن أخيه جعفر فقال له ما أردت الباءة ولكن سمعت رسول ا يقول (كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لأبـيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم) وفي رواية أخرجها البيهقي والدارقطني بسند رجاله من أكابر أهل البيت أن علـيا عزل بناته لولد أخيه جعفر فلقيه عمر رضي ا تعالى عنهما فقال له يا أبا الحسن أنكحني ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة بنـت رسول ا . فقال قد حبستها لولد أخي جعفر . فقال عمر إنه وا ما على وجه الأرض من يرصد من حسن صحبتها ما أرصـد فأنكحني يا أبا الحسن فقال قد أنكحتكها فعاد عمر إلى مجلسه بالروضة مجلس المهاجرين والأنصار فقال رفئوني قالوا بمـن يا أمير المؤمنين قال بأم كلثوم بنت علي وأخذ يحدث أنه سمع رسول ا يقول (كل صهر أو سبب أو نسب ينقطع يوم القـيامة إلا صهري وسببي ونسبي) وأنه كان لي صحبة فأحببت أن يكون لي معها سبب . وبهذا الحديث المروي من طريقة أهل البيت يزداد التعجب من إنكار جماعة من جهلة أهل البيت في أزمنتنا تزويج عمر بأم كلثوم . لكن لا عجب لأن أولئك لم يخالطوا العلماء ومع ذلك استولى على عقولهم جهلة الروافض فأدخلوا فيها ذلك فقلدوهم فيه وما دروا أنه عين الكذب ومكابرة للحـس إذ مـن مارس العلم وطالع كتب الأخبار والسنن علم ضرورة أن عليا زوجها له وأن إنكار ذلك جهل وعناد ومكابرة للحس وخبال في العقل وفساد في الدين . وفي رواية للبيهقي أن عمر لما قال فأحببت ان يكون لي من رسول ا سبب ونسب فقام علي للحسنين زوجا عمكما . فقالا هي امرأة من النساء تختار لنفسها . فقام علي مغضبا فأمسك الحسن ثوبه وقال لا صبر لنا على هجرانك يا أبتاه فزوجاه . وفي رواية أن عمر صعد المنبر فقال أيها الناس إنه وا ما حملني على الإلحاح على علي فـي ابنته إلا أني سمعت رسول ا يقول كل سبب ونسب وصهر ينقطع إلا سببي وصهري وإنهما يأتيان يوم القيامة فيشفعان لصـاحبهما وفـي رواية أنه لما أكثر تردده إلى علي اعتل بصغرها فقال له ما حملني على كثرة ترددي إليك إلا أني سمعت رسـول ا يقـول كل حسب ونسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي وسببي وصهري فأمر بها علي فزينت وبعث بها إليه فلما رآها قام إليها وأجلسها في حجره وقبلها ودعا لها فلما قامت أخذ بساقها وقال لها قولي لأبيك قد رضيت قد رضـيت فلما جاءت قال لها ما قال لك فذكرت له جميع ما فعله وما قاله وأنكحها إياه فولدت له زيدا مات رجلا . وفي رواية أنـه لما خطبها إليه قال حتى استأذن فاستأذن ولد فاطمة فأذنوا له . وفي رواية أن الحسين سكت وتكلم الحسن فحمد ا وأثنى علـيه ثم قال يا أبتاه من بعد عمر صحب رسول ا وتوفي وهو عنه راض ثم ولي الخلافة فعدل . فقال له أبوه صدقت ولكن كرهـت أن أقطـع أمـرا دونكما ثم قال لها انطلقي إلى أمير المؤمنين فقولي له إن أبي يقرئك السلام ويقول لك إنا قد قضينا

حاجـتك التي طلبت فأخذها عمر وضمها إليه وأعلم من عنده أنه تزوجها فقيل له إنها صبية صغيرة فذكر الحديث السابق وفي آخـره أردت أن يكـون بيني وبين رسول ا سبب وصهر . وتقبيله وضمه لها على جهة الإكرام لأنها لصغرها لم تبلغ حدا تشتهى حتى يحرم ذلك ولولا صغرها لما بعث بها أبوها كذلك ثم حديث عمر هذا جاء عن جماعة آخرين من الصحابة كالمنذر وابن عباس وابن الزبير وابن عمر . قال الذهبي وإسناده صالح . تنبيه علم مما ذكر في هذه الأحاديث عظيم نفع الانتساب إليه ولا ينافـيه مـا في أحاديث أخر من حثه لأهل بيته على خشية ا واتقائه وطاعته وأن القرب إليه يوم القيامة إنما هو بالتقوى فمن ذلك الحديث الصحيح أنه لما نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) الشعراء ٢١٤ دعا قريشا فاجتمعوا فعم وخص وطلب منهم أن ينقذوا أنفسهم من النار إلى أن قال (يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من ا شيئا غير أن لكم رحما سيأبلها ببلالها) . وأخرج أبو الشيخ عن ابن حبان (يا بني هاشم لا يأتين الناس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على ظهورهم وتأتون بالدنيا على ظهوركم لا أغني عنكم من ا شيئا) . وأخرج البخاري في الأدب المفرد (إن أوليائـي يـوم القيامة المتقون وإن كان نسب أقرب من نسب لا تأتي الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون يا محمد فأقول هكذا وهكذا) وأعرض في كلا عطفيه . وأخرج الطبراني (إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي وليس كذلك إن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا) . وأخرج الشيخان عن عمرو بن العاص رضي ا عنه قال سمعت رسول ا جهارا غير سر يقول (إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي ا وصالح المؤمنين) زاد البخاري (لكن لهـم رحم سأبلها ببلالها) . يعني سأصلها بصلتها . ووجه عدم المنافاة كما قاله المحب الطبري وغيره من العلماء أنه لا يملك لأحد شيئا لا نفعا ولا ضرا لكن ا عز وجل يملكه نفع أقاربه وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة فهو لا يملك إلا ما يملكه لـه مولاه كما أشار إليه بقوله (غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها) وكذا معنى قوله (لا أغني عنكم من ا شيئا) أي بمجرد نفسـي من غير ما يكرمني به ا من نحو شفاعة أو مغفرة وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف والحث على العمل والحرص على أن يكونوا أولى الناس حظا في تقوى ا وخشيته ثم أومأ إلى حق رحمه إشارة إلى إدخال نوع طمأنينة عليهم . وقيل هذا قبل علمه بأن الانتساب إليه ينفع وبأنه يشفع في إدخال قوم الجنة بغير حساب ورفع درجات آخرين وإخراج قوم من النار ولما خفـي ذلـك الجمـع عن بعضهم حمل حديث (كل سبب ونسب) على أن المراد أن أمته يوم القيامة ينسبون إليه بخلاف أمم الأنبياء لا ينسبون إليهم وهو بعيد . وإن حكاه وجها في الروضة بل يرده ما مر من استناد عمر إليه في الحرص على تزويجه بـأم كلـثوم وإقـرار علي والمهاجرين والأنصار له على ذلك ويرده على ذلك ويرده أيضا ذكر الصهر والحسب مع السبب والنسب كما مر وغضبه لما قيل إن قرابته لا تنفع . على أن في حديث البخاري ما يقتضي نسبة بقية الأمم إلى أنبيائهم فإن فيه (يجيء نوح عليه السلام وأمته فيقول ا تعالى هل بلغت فيقول أي رب نعم فيقول لأمته هل بلغكم . .) الحديث . وكذا جاء في غيره . واعلم أنه استفيد من قوله في الحديث السابق (إن أوليائي منكم المتقون) وقوله (إنما وليي ا وصالح المؤمنين) أن نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من أهل بيته وإن لم تنتف لكن ينتفي عنهم بسبب عصيانهم ولاية ا ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب إليه بارتكابهم ما يسوءه عند عرض عملهم عليه ومن ثم يعرض عمن يقول له منهم يوم القيامة يا محمد كما فـي الحديث السابق . وقد قال الحسن بن الحسن السبط لبعض الغلاة فيهم ويحكم أحبونا فإن أطعنا ا فأحبونا وإن عصيناه فابغضـونا ويحكم لو كل ا نافعا بقرابة من رسول ا بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا وا إني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وإن يؤتى المحسن منا أجره مرتين . وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى (يا نساء النبي من يـأت منكـن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) الأحزاب ٣٠ . خاتمة علم من الأحاديث السابقة اتجاه قول صاحب التلخـيص مـن أصحابنا من خصائصه أن أولاد بناته ينسبون إليه وأولاد بنات غيره لا ينسبون إلى جدهم من الكفاءة وغيرها وأنكـر ذلك القفال وقال لا خصوصية بل كان أحد ينسب إليه اولاد بناته . ويرده الخبر السابق (كل بني أم ينتمون إلى عصبة) إلـى آخره ثم معنى الانتساب إليه الذي هو من خصوصياته أنه يطلق عليه أنه أب لهم وأنهم بنوه حتى يعتبر ذلك في الكفاءة فـلا يكـافىء شريفة هاشمية غير شريف . وقولهم إن بني هاشم والمطلب أكفاء محله فيما عدا هذه الصورة كما بينته بما فيه

كفاية في إفتاء طويل مسطر في الفتاوى وحتى . يدخلون في الوقف على أولاده والوصية لهم وأما أولاد بنات غيره فلا تجري فيهم مع جدهم لأمهم هذه الأحكام . نعم يستوي الجد للأب والأم في الانتساب إليهما من حيث تطلق الذرية والنسل والعقب عليهم فأراد صاحب التلخيص بالخصوصية ما مر وأراد القفال بعدمها هذا وحينئذ فلا خلاف بينهما في الحقيقة . ومن فوائد ذلك أيضا أنه يجوز أن يقال للحسنين أبناء رسول ا وهو أب لهما اتفاقا ولا يجري فيه القول الضعيف لأنه لا يجوز أن يقال له أب المؤمنين ولا عبرة بمن منع ذلك حتى في الحسنين من الأمويين للخبر الصحيح الآتي في الحسن إن ابني هذا سيد . ومعاوية وإن نقل القرطبي عنه ذلك لكن نقل عنه ما يقتضي أنه رجع عن ذلك وغير معاوية من بقية الأمويين المانع لذلك لا يعتد به وعلى الأصح فقوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) الأحزاب ٤٠ إنما سيق لانقطاع حكم التبني لا لمنع هذا الإطلاق المراد به أنه أبو المؤمنين في الاحترام والإكرام . الآية العاشرة قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) الضحى ٥ . نقل القرطبي عن ابن عباس رضي ا عنهما أنه قال رضي محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وقاله السدي . انتهى . وأخرج الحاكم وصححه أنه قال (وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم) . وأخرج الملا (سألت ربي أن لا يدخل النار أحد من أهل بيتي فأعطاني ذلك) . وأخرج أحمد في المناقب أنه قال (يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم) . وأخرج الطبراني عن علي قال سمعت رسول ا يقول (أول من يرد علي الحوض أهل بيتي ومن أحبني من أمتي) . وهو ضعيف والذي صح (أول من يرد علي الحوض فقراء المهاجرين) فإن صح الأول أيضا حمل على أن أولئك أول من يرد بعد هؤلاء . وأخرج المخلص والطبراني والدارقطني (أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني من اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولا أفضل) . وعند البزار والطبراني وغيرهما (أول من أشفع له من أمتي من أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف) . ويجمع بينهما بأن ذاك فيه ترتيب من حيث القبائل وهذا فيه ترتيب من حيث البلدان فيحتمل أن المراد البداءة في قريش بأهل المدينة ثم مكة ثم الطائف وكذا في الأنصار ثم من بعدهم ومن أهل مكة بذلك على هذا الترتيب ومن أهل الطائف بذلك كذلك . وأخرج تمام والبزار والطبراني وأبو نعيم أنه قال (إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم ا ذريتها على النار) وفي رواية (فحرمها ا وذريتها على النار) . وأخرج الحافظ أبو القاسم الدمشقي أنه قال (يا فاطمة لم سميت فاطمة) قال علي لم سميت فاطمة يا رسول ا قال (إن ا قد فطمها وذريتها من النار) . وأخرج النسائي (إن ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث إنما سماها فاطمة لأن ا فطمها ومحبيها عن النار) . وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات أنه قال لها (إن ا غير معذبك ولا أحد من ولدك) . وورد أيضا (يا عباس إن ا غير معذبك ولا أحد من ولدك) . وصح (يا بني عبد المطلب) وفي رواية (يا بني هاشم إني قد سألت ا عز وجل لكم أن يجعلكم رحماء نجباء وسألته أن يهدي ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم) . وأخرج الديلمي وغيره أنه قال (نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وجعفر بن أبي طالب والحسن والحسين والمهدي) . وفي حديث ضعيف عن علي شكوت إلى رسول ا حسد الناس فقال لي (أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا) . وأخرج أحمد في المناقب أنه قال لعلي (أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا) . ومر عن علي في الآية الثامنة بيان صفة تلك الشيعة فراجع ذلك فإنه مهم وبه تبين لك أن الفرقة المسماة بالشيعة الآن إنما هم شيعة إبليس لأنه استولى على عقولهم فأضلها ضلالا مبينا . وأخرج الطبراني أنه قال لعلي (أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن . وسنده ضعيف لكن يشهد له ما صح عن ابن عباس (إن ا يرفع ذرية المؤمن معه في درجته وإن كانوا دونه في العمل) ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) الطور ٢١ الآية . وأخرج الديلمي (يا علي إن ا قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فأبشر فإنك الأنزع البطين) . وهو /ضعيف/ . وكذا خبر (أنت وشيعتك تردون علي الحوض رواة مرويين مبيضة وجوهكم وإن عدوك يردون علي

الحـوض ظمـاء مقمحيـن) . ضعيف أيضا . ومر بيان صفات شيعته فاحذر من غرور الضالين وتمويه الجاحدين الرافضة والشيعة ونحوهما (قاتلهم ا أنى يؤفكون) التوبة ٣٠ . الآية الحادية عشرة قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولـئك هم خير البرية) البينة ٧ . أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس رضي ا عنهما أن هذه الآية لما نزلت قـال النبـي لعلي (هو أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضابا مقمحين) قال ومن عـدوي قال (من تبرأ منك ولعنك) . وخبر (السابقون إلى ظل العرش يوم القيامة طوبى لهم) . قيل ومن هم يا رسول ا قال (شيعتك يا علي ومحبوك) فيه كذاب . واستحضر ما مر في صفات شيعته واستحضر أيضا الأخبار السابقة في المقدمات أول الـباب فـي الرافضـة . وأخـرج الدارقطني (يا أبا الحسن أما أنت وشيعتك في الجنة وإن قوما يزعمون أنهم يحبونك يصـغرون الإسـلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشـركون) . قال الدارقطني لهذا الحديث عندنا طرقات كثيرة ثم أخرج عن أم سلمة رضي ا عنها قالت كانت ليلتي وكان النبـي عندي فأتته فاطمة فتبعها علي رضي ا عنهما فقال النبي (يا علي أنت وأصحابك في الجنة أنت وشيعتك في الجنة إلا أنه ممن يزعم ممن يحبك أقوام يصغرون الإسلام يلفظونه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم لهم نبز يقال لهم الرافضة فجاهدهم فإنهم مشركون) قالوا يا رسول ا ما العلامة فيهم قال (لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف) . ومن ثم قال موسى بن علي بن الحسين بن علي وكان فاضلا عن أبيه عن جده إنما شيعتنا منأطاع ا ورسوله وعمل أعمالنا . الآية الثانية عشـرة قوله تعالى (وإنه لعلم للساعة) الزخرف ٦١ . قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين إن هذه الآية نزلت في المهـدي وستأتي الأحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوي وحينئذ ففي الآية دلالة على البركة في نسل فاطمة رضي ا عـنهما وأن ا ليخرج منهما كثيرا طيبا وأن يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة . وسر ذلك أنه أعاذها وذريتها من الشـيطان الرجـيم . ودعا لعلي بمثل ذلك وشرح ذلك كله يعلم بسياق الأحاديث الدالة عليه . وأخرج النسائي بسند صحيح أن نفـرا مـن الأنصار قالوا لعلي رضي ا عنه لو كانت عندك فاطمة . فدخل على النبي يعني ليخطبها فسلم عليه فقال له (ما حاجة ابن أبي طالب) قال فذكرت فاطمة . فقال (مرحبا وأهلا) فخرج إلى الرهط من الأنصار ينتظرونه فقالوا له ما وراءك قـال ما أدري غير أنه قال لي مرحبا وأهلا قالوا يكفيك من رسول ا أحدهما قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب فلما كان بعد مـا زوجـه قال له (يا علي إنه لا بد للعرس من وليمة) . قال سعد رضي ا عنه عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار آصـعا من ذرة فلما كان ليلة البناء قال (يا علي لا تحدث شيئا حتى تلقاني) فدعا بماء فتوضأ به ثم أفرغه على علي وفاطمة رضـي ا تعـالى عـنهما فقال (اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما) وفي رواية (في شملهما) وهو بالـتحريك الجماع وفي أخرى (شبليهما) قيل وهو تضعيف فإن صحت فالشبل ولد الأسد فيكون ذلك كشفا واطلاعا منه على أنهـا تلـد الحسنين فأطلق عليهما شبلين وهما كذلك . وأخرج أبو علي الحسن بن شاذان أن جبريل جاء إلى النبي فقال إن ا يأمـرك أن تزوج فاطمة من علي فدعا جماعة من أصحابه فقال (الحمد المحمود بنعمته) الخطبة المشهورة ثم زوج عليا وكـان غائـبا وفي آخرها (فجمع ا شملهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة) فلما حضـر علـي تبسم وقال له (إن ا أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك) فقال قد رضيتها يا رسـول ا ثم خر علي ساجدا شكرا فلما رفع رأسه قال له (بارك ا لكما وبارك فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب) . قال أنس رضي ا عنه وا لقد أخرج ا منهما الكثير الطيب وأخرج أكثره أبو الخير القزويني الحاكمي . والعقد لـه مـع غيبته سائغ لأن من خصائصه أن ينكح من شاء لمن شاء بلا إذن لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم على أنه يحتمل أنه بحضـور وكيله ويحتمل أنه إعلام لهم بما سيفعله وقوله قد رضيتها يحتمل أنه إخبار عن رضاه بوقوع العقد السابق من وكيله فهـي واقعة حال محتملة . وأخرج أبو داود السجستاني أن أبا بكر خطبها فأعرض عنه ثم عمر فأعرض عنه فأتيا عليا فنبهاه إلى خطبتها فجاء فخطبها فقال له (ما معك) فقال فرسي وبدني . قال (أما فرسك فلا بد لك منه وأما بدنك فبعها وائتني بها) فـباعها باربعمائة وثمانين ثم وضعها في حجره فقبض منها قبضة وأمر بلالا أن يشتري بها طيبا ثم أمرهم أن يجهزوها فعمل

لهـا سريرا شريط وفي شريط وسادة من أدم حشوها ليف وملأ البيت كثيبا يعني رملا وأمر أم أيمن أن تنطلق إلى ابنته وقال لعلـي (لا تعجل حتى آتيك) ثم أتاهم فقال لأم أيمن ههنا أخي قالت أخوك وتزوجه ابنتك قال (نعم) فدخل على فاطمة ودعا بماء فأتته بقدح فيه ماء فمج فيه ثم نضح على رأسها وبين ثدييها وقال (اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ثم قـال لعلي (ائتني بماء) فعلمت ما يريد فملأت القعب فأتيته به فنضح منه على رأسي وبين كتفي وقال (اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم) . ثم قال (ادخل بأهلك على اسم ا تعالى وبركته) وأخرج أحمد وأبو حاتم نحوه . وقد ظهرت بـركة دعائه في نسلهما فكان منه من مضى ومن يأتي ولو لم يكن في الآتين إلا الإمام المهدي لكفى وسيأتي في الفصل الثاني جملـة مسـتكثرة مـن الأحاديث المبشرة به . ومن ذلك ما أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة والبيهقي وآخرون (المهدي من عترتي من ولد فاطمة) . وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه (لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث ا فيه رجـلا مـن عترتي) وفي رواية (رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا) وفي رواية لمن عدا الأخير (لا تذهب الدنـيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي) وفي أخرى لأبي داود والترمذي (لو لم يبق من الدنيا إلا يـوم واحد لطول ا ذلك اليوم حتى يبعث ا فيه رجلا من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما) . وأحمد وغيره (المهدي منا أهل البيت يصلحه ا في ليلة) . والطبراني (المهدي منا يختم الدين بنا كما فتح بنا) . والحاكم في صحيحه (يحل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه حـتى لا يجد الرجل ملجأ فيبعث ا رجلا من عترتي أهل بيتي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يحبه ساكن الأرض وساكن السماء وترسل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها لا تمسك فيها شيئا يعيش فيهم سبع سنين أو ثمانيا أو تسعا يتمـنى الأحـياء الأموات مما صنع ا بأهل الأرض من خيره) . وروى الطبراني والبزار نحوه وفيه (يمكث فيكم سبعا أو ثمانيا فإن أكثر فتسعا) . وفي رواية لأبي داود والحاكم (يملك فيكم سبع سنين) وفي أخرى للترمذي . (إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا فيجيء إليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن) يعمل رواية وفي رواية (فيلبث في ذلك ستا أو سبعا أو ثمانيا أو تسع سنين) . وسيأتي أن الذي اتفقت عليه الأحاديث سبع سنين من غـير شك . وأخرج أحمد ومسلم (يكون في آخر الزمان خليفة يحثو المال حثيا ولا يعده عدا) . وابن ماجه مرفوعا (يخرج نـاس مـن المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه) . وصح أن اسمه يوافق اسم النبي واسم أبيه اسم أبيه . وأخرج ابن ماجة بينما نحن عند رسول ا إذ أقبل فئة من بني هاشم فلما رآهم اغرورقت عيناه وتغير لونه . قال فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه فقال (إنا أهل بيت اختار ا لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء شديدا وتطريدا حتى يأتي قوم من قـبل المشرق معهم رايات سود فيسالون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجـل مـن أهل بيتي فيملؤها قسطا كما ملأوها جورا فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج) . وفي سنده من هو سـيء الحفظ مع اختلاطه في آخر عمره . وأخرج أحمد عن ثوبان مرفوعا (إذا رأيتم الرايات السود قد خرجت من خراسان فأتوهـا ولو حبوا على الثلج فإن فيها خليفة ا المهدي) وفي سنده مضعف له مناكير . وإنما أخرج له مسلم متابعة ولا حجة في هذا والذي قبله لو فرض انهما صحيحان لمن زعم أن المهدي ثالث خلفاء بني العباس . وأخرج نصير بن حماد مرفوعا (هـو رجـل من عترتي يقاتل عن سنتي كما قاتلت انا على الوحي . وأخرج أبو نعيم ليبعثن ا رجلا من عترتي أفرق الثنايا أجلـى الجـبهة يمـلأ الأرض عـدلا يفيض المال فيضا) . وأخرج الروياني والطبراني وغيرهما (المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا يرضى لخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطـير فـي الجـو يملك عشرين سنة) . وأخرج الطبراني مرفوعا (يلتفت المهدي وقد نزل عيسى ابن مريم عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء فيقول المهدي تقدم فصل بالناس فيقول عيسى إنما أقيمت الصلاة لك فيصلي خلف رجل من ولـدي) الحديـث . وفـي صحيح ابن حبان في إمامة المهدي نحوه . وصح مرفوعا (ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهـدي تعـال صل بنا فيقول لا إن بعضكم أئمة على بعض تكرمة ا هذه الأمة) . وأخرج ابن ماجة والحاكم أنه قال (لا

يـزداد الأمـر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبارا ولا الناس إلا شحا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدي إلا عيسى ابن مـريم) أي لا مهـدي علـى الحقيقة سواه لوضعه الجزية وإهلاكه الملل المخالفة لملتنا كما صحت به الأحاديث أو لا مهدي معصوما إلا هو ولقد قال إبراهيم بن ميسرة لطاوس عمر بن عبد العزيز المهدي قال لا إنه لم يستكمل العدل كله . أي فهو من جملـة المهديين وليس الموعود به آخر الزمان وقد صرح أحمد وغيره بأنه من المهديين المذكورين في قوله (عليكم بسنتي وسـنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) . ثم تأويل حديث (لا مهدي إلا عيسى) إنما هو على تقدير ثبوته وإلا فقد قال الحـاكم أوردتـه تعجبا لا محتجا به . وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد وقد قال الحاكم إنه مجهول واختلف عنه في إسناده وصـرح النسـائي بأنه منكر وجزم غيره من الحفاظ بان الأحاديث التي قبله أي الناصة على أن المهدي من ولد فاطمة أصح إسنادا . وأخرج ابن عساكر عن علي (إذا قام قائم آل محمد جمع ا أهل المشرق وأهل المغرب فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة وأمـا الأبـدال فمن أهل الشام) وصح أنه قال (يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه نـاس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليهم بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمديـنة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إلـيهم بعـثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الإسـلام بجرانه إلى الأرض) وأخرج الطبراني أنه قال لفاطمة (نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبـيك حمـزة ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء هو ابن عم أبيك جعفر ومناسبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهمـا ابناك) والمراد أنه يتشعب منهما قبيلتان ويكون من نسلهما خلق كثير ومنا المهدي . وأخرج ابن ماجه أنه قال (لو لم يـبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول ا ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي يملك جبل الديلم والقسطنطينية) . وصح عند الحـاكم عـن ابن عباس رضي ا عنهما منا أهل البيت أربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي . فإن أراد بـأهل البيت ما يشمل جميع بني هاشم ويكون الثلاثة الأول من نسل العباس والأخير من نسل فاطمة فلا إشكال فيه . وإن أراد أن هـؤلاء الأربعة من نسل العباس أمكن حمل المهدي في كلامه على ثالث خلفاء بني العباس لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز فـي بنـي أمية لما أوتيه من العدل التام والسيرة الحسنة ولأنه جاء في الحديث الصحيح أن اسم المهدي يوافق اسم النبي واسم أبيه اسم أبيه . والمهدي هذا كذلك لأنه محمد بن عبد ا المنصور ويؤيد ذلك خبر ابن عدي المهدي من ولد العباس عمي لكن قـال الذهبي تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم وكان يضع الحديث . ولا ينافي هذا الحمل وصف ابن عباس للمهدي في كلامه بأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وتأمن البهائم السباع في زمنه وتلقي الأرض أفلاذ كبدها أي أمثال الأسطوان من الذهب والفضة لأن هذه الأوصاف يمكن تطبيقها على المهدي العباسي وإذا أمكن حمل كلامه على ما ذكرناه لم يناف الأحاديث الصـحيحة السـابقة أن المهدي من ولد فاطمة لأن المراد بالمهدي فيها الآتي آخر الزمان الذي يأتم به عيسى صلى ا عليه وعلـى نبينا وسلم . ورواية (إنه يلي الأمر بعد المهدي اثنا عشر رجلا ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين وآخر من غـيرهم) واهية جدا . كما قاله شيخ الإسلام والحافظ الشهاب ابن حجر أي مع مخالفتها للأحاديث الصحيحة أنه آخر الزمان وأن عيسـى يـأتم بـه ولخبر الطبراني (سيكون من بعدي خلفاء ثم من بعد الخلفاء أمراء ثم من بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملـوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دونـه) وفـي نسخة ما يقوونه وعلى ما حملنا عليه كلام ابن عباس يمكن أن يحمل ما رواه هو عن النبي (لن تهلك أمة أنا أولهـا وعيسـى ابن مريم آخرها والمهدي وسطها) أخرجه أبو نعيم . فيكون المراد به المهدي العباسي ثم رأيت بعضهم قال المـراد بالوسـط فـي خبر (لن تهلك أمة أنا أولها ومهديها وسطها والمسيح ابن مريم آخرها) ما قبل الآخر . وأخرج أحمد والمـاوردي أنـه قال (أبشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ويقسم المال صحاحا بالسوية ويملأ قلوب أمة محمد غـنى ويسـعهم عدله حتى إنه يأمر مناديا فينادي من له حاجة إلي فما يأتيه أحد إلا رجل واحد يأتيه فيسأله فيقول ائت السادن

حتى يعطيك فيأتيه فيقول أنا رسول المهدي إليك لتعطيني مالا فيقول أحث فيحثي مالا يستطيع أن يحمله فيلقي حتى يكون قدر مـا يسـتطيع أن يحمل فيخرج به فيندم فيقول أنا كنت أجشع أمة محمد نفسا كلهم دعي إلى هذا المال فتركه غيري فيرد عليه فـيقول إنا لا نقبل شيئا أعطيناه فيلبث في ذلك ستا أو سبعا أو ثمانيا أو تسع سنين ولا خير في الحياة بعده) . تنبيه الأظهر أن خـروج المهدي قبل نزول عيسى عليه السلام وقيل بعده . قال أبو الحسن الآبري قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عـن المصـطفى بخـروجه وأنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلا وأنه يخرج مع عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسـلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه . انتهى . وما ذكره من أن المهـدي يصـلي بعيسى هو الذي دلت عليه الأحاديث كما علمت . وأما ما صححه السعد التفتازاني من أن عيسى هو الإمام بالمهدي لأنه أفضل فإمامته أولى فلا شاهد له فيما علل به لأن القصد بإمامة المهدي لعيسى إنما هو إظهار أنه نزل تابعا لنبينا حاكما بشريعته غير مستقل بشيء من شريعة نفسه واقتداؤه ببعض هذه الأمة مع كونه أفضل من ذلك الإمام الذي اقتدى به فيه من إذاعة ذلك وإظهاره ما لا يخفى على أنه يمكن الجمع بأن يقال إن عيسى يقتدي بالمهدي أو لا لإظهار ذلك الغرض ثم بعد ذلـك يقتدي المهدي به على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل وبه يجتمع القولان . وروى أبو داود في سننه أنه من ولد الحسن . وكأن سره ترك الحسن الخلافة عز وجل شفقة على الأمة فجعل ا القائم بالخلافة الحق عند شدة الحاجة إليها مـن ولده ليملأ الأرض عدلا . ورواية كونه من ولد الحسين واهية جدا ومع ذلك لا حجة فيه لما زعمته الرافضة أن المهدي هـو الإمام أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن العسكري ثاني عشر الأئمة الآتين في الفصل الآتي على اعتقاد الإمامية . ومما يـرد عليهم ما صح أن اسم أبي المهدي يوافق اسم أبي النبي واسم أبي محمد الحجة لا يوافق ذلك ويرده أيضا قول علي مولد المهـدي بالمديـنة . ومحمد الحجة هذ إنما ولد بسر من رأى سنة خمس وخمسين ومائتين . ومن المجازفات والجهالات زعم بعضـهم أن رواية إنه من أولاد الحسن ورواية اسم أبيه اسم أبي كل منهما وهم . وزعمه أيضا أن الأمة أجمعت على أنه من أولاد الحسين وأنى له بتوهيم الرواة بالتشهي ونقل الإجماع بمجرد التخمين والحدس والقائلون من الرافضة بأن الحجة هذا هو المهـدي يقولون لم يخاف أبوه غيره ومات وعمره خمس سنين آتاه ا فيها الحكمة كما آتاها يحيى عليه الصلاة والسلام صبيا وجعلـه إمامـا في حال الطفولية كما جعل عيسى عليه السلام . كذلك توفي أبوه بسر من رأى وتستر هو بالمدينة وله غيبتان صغرى من منذ ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وكبرى وفي آخرها يقوم وكان فقده يوم الجمعة سنة ست وتسعين ومائتيـن . فلم يدر أين ذهب خاف على نفسه فغاب فقال ابن خلكان والشيعة ترى فيه أنه المنتظر والقائم المهدي وهو صاحب السـرداب عـندهم وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون خروجه آخر الزمان من السرداب بسر من رأى دخله في دار أبيه وأمه تـنظر إلـيه سنة خمس وستين ومائتين وعمره حينئذ تسع سنين فلم يعد يخرج إليها وقيل دخله وعمره أربع وقيل خمس وقيل سـبعة عشر . انتهى ملخصا . والكثير على أن العسكري لم يكن له ولد لطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لما مات فدل طلبه أن أخاه لا ولد له وإلا لم يسعه الطلب وحكى السبكي عن جمهور الرافضة أنهم قائلون بأنه لا عقب للعسكري وأنه لم يثبت له ولـد بعـد أن تعصب قوم لإثباته وأن أخاه جعفرا أخذ ميراثه . وجعفر هذا ضللته فرقة من لاشيعة ونسبوه للكذب في ادعائه مـيراث أخيه ولذا سموه واتبعه فرقة وأثبتوا له الإمامة . والحاصل أنهم تنازعوا في المنتظر بعد وفاة العسكري على عشرين فـرقة وأن الجمهـور غير الإمامية على أن المهدي غير الحجة هذا إذ تغيب شخص هذه المدة المديدة من خوارق العادات فلو كـان هـو لكان وصفه بذلك أظهر من وصفه بغير ذلك مما مر . ثم المقرر في الشريعة المطهرة أن الصغير لا تصح ولايته فكـيف ساغ لهؤلاء الحمقى المغفلين أن يزعموا إمامة من عمره خمس سنين وأنه أوتي الحكم صبيا مع أنه لم يخبر به ما ذلك إلا مجازفـة وجـراءة على الشريعة الغراء . قال بعض أهل البيت وليت شعري من المخبر لهم بهذا وما طريقه ولقد صاروا بذلـك وبوقوفهـم بالخـيل علـى ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم ضحكة لأولي الألباب ولقد أحسن القائل . (ما آن للسرداب أن يلد الذي % كلمتموه وبجهلكم ماآنا) . (فعلى عقولكم العفاء فإنكم % ثلثتم العنقاء والغيلانا) . وزعمت فرقة من الشيعة أن الإمام المهدي هو أبو القاسم محمد بن علي بن عمر بن الحسين السبط حبسه المعتصم فنقبت شيعته الحبس وأخرجوه

وذهـبوا به فلم يعرف له خبر . وفرقة أن الإمام المهدي محمد ابن الحنفية . قيل فقد بعد أخويه السبطين وقيل قبلهما وأنه حي بجبال رضوى . ولم تعد الرافضة من أهل البيت زيد بن علي بن الحسين مع أنه إمام جليل من الطبقة الثانية من التابعين بايعه كثـيرون بالكوفـة وطلبت منه الرافضة أن يتبرأ من الشيخين لينصروه فقال بل أتولاهما فقالوا إذا نرفضك . فقال اذهبوا فأنتم الرافضة . فسموا بذلك من حينئذ . وكان جملة من بايعه خمسة عشر ألفا وعند مبايعتهم قال له بعض بني العباس يا ابن عم لا يغـرنك هـؤلاء من نفسك ففي أهل بيتك لك أتم العبر وفي خذلانهم إياهم كفاية . ولما أبى إلا الخروج تقاعد عنه جماعة ممن بايعه وقالوا الإمام جعفر الصادق ابن أخيه الباقر فلم يبق معه إلا مائتا رجل وعشرون رجلا فجاء الحجاج بجموعه فهزم زيدا وأصـابه سهم في جبهته فمات فدفن بأرض نهر وأجري الماء عليه ثم علم الحجاج به فنبشه ثم بعث برأسه وصلب جثته سنة إحدى أو اثنتين وعشرين ومائة واستمر مصلوبا حتى مات هشام بن عبد الملك وقام الوليد فدفنه وقيل بل كتب لعامله اعمد إلى عجل أهل العراق فحرقه ثم انسفه في اليم نسفا ففعل به ذلك . ورؤي النبي مستندا إلى جذعه المصلوب عليه وهو يقول للناس هكـذا تفعلون بولدي . وروى غير واحد أنهم صلبوه مجردا فنسجت العنكبوت على عورته في يومه . ولم يعدوا أيضا إسحاق بـن جعفـر الصـادق مع جلالة قدره حتى كان سفيان بن عيينة يقول عنه حدثني الثقة الرضى . وذهبت فرقة من الشيعة إلى إمامته . ثم من عجيب تناقض الرافضة أنهم لم يدعوها لزيد وإسحاق مع جلالتهما وادعاء زيد لها ومن قواعدهم أنها تثبت لمن ادعاها من أهل البيت وأظهر خوارق العادة الدالة على صدقه وادعوها لمحمد الحجة مع أنه لم يدعها ولا أظهر ذلك لغيبته عن أبيه صغيرا على ما زعموا واختفائه بحيث لم يره إلا آحاد زعموا رؤيته وكذبهم غيرهم فيها وقالوا لا وجود له أصلا كما مر فكـيف يثبت له ذلك بمجرد الإمكان ويكتفي العاقل بذلك في باب العقائد ثم أي فائدة في إثبات الإمامة لعاجز عن أعبائها ثم ما هـي الطـريق المثبتة لأن كل واحد من الأئمة المذكورين ادعى الإمامة بمعنى ولاية الخلق وأظهر الخوارق على ذلك مع أن الطـافح مـن كلمـاتهم الثابتة دال علىأنهم لا يدعون ذلك بل يبعدون منه وإن كانوا أهلا له ذكر ذلك بعض أهل البيت النبوي الذين طهر ا قلوبهم من الزيغ والضلال ونزه عقولهم من السفه وتناقض الآراء لتمسكهم بواضح البرهان وصحيح الاستدلال وألسـنتهم عـن الكذب والبهتان الموجب لأولئك غاية البوار والنكار . الآية الثالثة عشرة قوله تعالى (وعلى الأعراف رجال يعـرفون كلا بسيماهم) الأعراف ٤٦ . أخرج الثعلبي في تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي ا عنهما أنه قال الأعراف موضـع عـال مـن الصـراط عليه العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضـيهم بسواد الوجوه . وأورد الديلمي وابنه معا لكن بلا إسناد أن عليا رضي ا عنه قال قال رسول ا (اللهم ارزق من أبغضـني وأهـل بيتـي كثرة المال والعيال) . كفاهم بذلك أن يكثر مالهم فيطول حسابهم وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم . وحكمـة الدعاء عليهم بذلك أنه لا حامل على بغضه وبغض أهل بيته إلا الميل إلى الدنيا لما جبلوا عليه من محبة المال والولد فدعا عليهم بتكثير ذلك مع سلبهم نعمته فلا يكون إلا نقمة عليهم لكفرانهم نعمة من هدوا على يديه إيثارا للدنيا بخلاف من دعا لـه بتكثـير ذلـك كأنس رضي ا عنه إذ القصد به كون ذلك نعمة عليهم فيتوصل به إلى ما رتبه عليه من الأمور الأخروية والدنـيوية النافعة . الآية الرابعة عشرة قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) إلى قوله (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) الشورى ٢٣ ٢٥ . اعلم أن هذه الآيـة مشـتملة علـى مقاصد وتوابع / المقصد الأول في تفسيرها / . أخرج أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عـباس رضـي ا عـنهما أن هذه الآية لما نزلت قالوا يا رسول ا من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال (علي وفاطمـة وابناهما) . وفي سنده شيعي غال لكنه صدوق . وروى أبو الشيخ وغيره عن علي كرم ا وجهه فينا آل حم آية لا يحفـظ مودتـنا إلى كل مؤمن ثم قرأ (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) . وأخرج البزار والطبراني عن الحسن رضـي ا عـنه من طرق بعضها حسان أنه خطب خطبة من جملتها من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد ثم تلا (واتبعت ملة آبائي إبراهيم) الآية يوسف ٣٨ ثم قال أنا ابن البشير أنا ابن النذير ثم قال وأنا من أهل البيت الذين افـترض ا عـز وجل مودتهم وموالاتهم فقال فيما أنزل على محمد (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) وفي

رواية الذين افترض ا مودتهم على كل مسلم وأنزل فيهم (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نـزد له فـيها حسنا) الشورى ٢٣ واقتراف الحسنات مودتنا أهل البيت . وأخرج الطبراني عن زين العابدين أنه لما جيء به أسـيرا عقـب مقـتل أبـيه الحسـين رضي ا عنهما وأقيم علىدرج دمشق قال بعض جفاة أهل الشام الحمد الذي قتلكم واستأصـلكم وقطـع قـرن الفتنة فقال له ما قرأت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلى المودة في القربى) قال وأنتم هم قال نعم . وللشيخ الجليل شمس الدين ابن العربي رحمه ا . (رأيت ولائي آل طه فريضة % على رغم أهل البعد يورثني القربا) . (فمـا طلب المبعوث أجرا على الهدى % بتبليغه إلا المودة في القربى) . وأخرج أحمد عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول ا من قرابتك . . . الحديث . وأخرج الثعلبي عن ابن عباس في (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) قال المـودة لآل محمد . ونقل الثعلبي والبغوي عنه أنه لما نزل قوله تعالى (قل لا اسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قال قـوم في نفوسهم ما يريد إلا أن يحثنا على قرابته من بعده فأخبر جبريل النبي أنهم اتهموه فأنزل (أم يقولون افترى على ا كذبا) الشورى ٢٤ الآية فقال القوم يا رسول ا إنك صادق . فنزل (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) الشورى ٢٥ . ونقل القرطبـي وغـيره عـن السـدي أنه قال في قوله تعالى (إن ا لغفور شكور) الشورى ٢٣ غفور لذنوب آل محمد شكور لحسـناتهم . ورأى ابـن عباس حمل القربى في الآية على العموم ففي البخاري وغيره عنه أن ابن جبير لما فسر القربى بآل محمـد قـال له عجلـت أي في التفسير إنه لم يكن بطن في قريش إلا كان فيه قرابة فقال (إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القـرابة) وفـي رواية عنه (قل لا أسألكم على ما أدعوكم عليه أجرا إلا المودة تودوني بقرابتي فيكم وتحفظوني في ذلك) . وفـي أخرى عنه أنهم لما أبوا أن يبايعوه أنزل ا عليه ذلك فقال (يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني) وتـبعه على ذلك عكرمة فقال كانت قريش تصل الأرحام في الجاهلية فلما دعاهم إلى ا خالفوه وقاطعوه فأمرهم بصلة الرحم التي بينهم وبينهم . فقال (إن لم تحفظوني فيما جئت به فاحفظوني لقرابتي فيكم) . وجرى على ذلك أيضا قتادة والسدي وعبد الرحمـن بـن زيـد بـن أسلم وغيرهم ويؤيده أن السورة مكية ورواية نزولها بالمدينة لما فخرت الأنصار على العباس وابنه ضعيفة . وعلى فرض صحتها تكون نزلت مرتين ومع ذلك فهذا كله لا ينافي ما مر من تخصيص القربى بالآل لأن من ذهب إلـيه كابـن جبير اقتصر على أخص أفراد القربى وبين أن حفظهم آكد من حفظ بقية تلك الأفراد ويستفاد من الاقتصار عليهم طلـب مودته وحفظه بالأولى لأنه إذا طلب حفظهم لأجله فحفظه هو أولى بذلك وأحرى ولذا لم ينسب ابن عباس ابن جبير إلى الخطـأ بـل إلـى العجلة أي عن تأمل ان القصد من الآية العموم والأهم منها أولا وبالذات وده . ومما يؤيد أن لا مضادة بين تفسـيري ابن جبير وابن عباس أن ابن جبير كان يفسر الآية تارة بهذا وتارة بهذا فافهم صحة إرادة كل منهما فيها بل جاء عن ابن عباس ما يوافق تفسير ابن جبير وهو روايته للحديث الذي ذكرنا أن في سنده شيعيا غاليا ولا ينافي ذلك كله أيضا تفسيرها بـأن المـراد إلا التودد إلى ا لما أخرجه غير واحد عن ابن عباس مرفوعا (لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى أجرا إلا أن تودوا ا وتتقربوا إليه بطاعته) ووجه عدم المنافاة أن من جملة مودة ا سبحانه والتقرب إليه مودة رسوله وأهل بيـته وذكر بعض معاني اللفظ لا ينافي ما لا يضاده منها فضلا عما يومىء ويشير إليه . وقيل الآية منسوخة لأنها نزلت بمكة والمشـركون يؤذونه أمرهم بمودته وصلة رحمه فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه ألحقه ا بإخوانه من الأنبياء فأنـزل (قـل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على ا) سبأ ٤٧ ورده البغوي بأن مودته وكف الأذى عنه ومودة أقاربـه والتقرب إلى ا بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين أي الباقية على ممر الأبد فلم يجز ادعاء بنسخ الآية الدالة علـى ذلك فإن هذا الحكم الذي دلت عليه باق مستمر فكيف يدعي رفعه ونسخ وإلا المودة استثناء منقطع أي لكني أذكركم أن تـودوا القرابة التي بيني وبينكم فليس ذلك أجرا في مقابلة أداء الرسالة حتى تكون هذه الآية منافية للآية المذكورة التي استدلوا بهـا على النسخ . وقد بالغ الثعلبي في الرد عليهم فقال وكفى قبحا بقول من زعم أن التقرب إلى ا بطاعته ومودة نبيه وأهل بيته منسوخ انتهى . ويصح دعوى أنه متصل بخبر الملا في سيرته (إن ا جعل أجري عليكم المودة في القربى وإني سائلكم عـنهم غـدا) . وحينئذ فتسمية ذلك أجرا مجاز / المقصد الثاني فيما تضمنته تلك الآية من طلب محبة آله وأن ذلك من كمال

الإيمـان / . ولنفـتح هذا المقصد بآية أخرى ثم نذكر الأحاديث الواردة فيه قال ا تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سـيجعل لهم الرحمن ودا) مريم ٩٦ . أخرج الحافظ السلفي عن محمد ابن الحنفية أنه قال في تفسير هذه الآية لا يبقى مؤمن إلا وفـي قلبه ود لعلي وأهل بيته . وصح أنه قال (أحبوا ا لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب ا عز وجل وأحبوا أهل بيتـي لحبي) . وذكر ابن الجوزي لهذا في العلل المتناهية وهم . وأخرج البيهقي وأبو الشيخ والديلمي أنه قال (لا يؤمن عبد حـتى أكـون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من نفسه ويكون أهلي أحب إليه من أهله وتكون ذاتي أحب إليه من ذاتـه) . وأخرج الديلمي أنه قال (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن) الحديث . وصـح أن العباس شكا إلى رسول ا ما يلقون من قريش من تعبيسهم في وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم فغضب غضبا شديدا حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه وقال (والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم ولرسوله) . وفي رواية صحيحة أيضا (ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم وا لا يدخل قلب رجل الإيمان حـتى يحـبهم ولقرابتهم مني) . وفي أخرى (والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم ولرسوله أترجو مراد شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب) . وفي أخرى (لن يبلغوا خيرا حتى يحبوكم ولقرابتي) وفي أخرى لا (لا يؤمن أحدهم حتى يحبكم بحبي أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب) وبقي له طرق أخـرى كثـيرة . وقدمت بنت أبي لهب المدينة مهاجرة فقيل لها لا تغني عنك هجرتك أنت بنت حطب النار فذكرت ذلك للنبي فاشتد غضبه ثم قال على منبره (ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا ومن آذي نبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذانـي فقد آذى ا) . أخرجه ابن أبي عاصم والطبراني وابن مندة والبيهقي بألفاظ متقاربة وسميت تلك المرأة في رواية درة وفـي أخرى سبيعة فإما هما لواحدة اسمان أو لقب واسم أو لامرأتين وتكون القصة تعددت لهما . وخرج عمرو الأسلمي وكان مـن أصـحاب الحديبية مع علي رضي ا عنهما إلى اليمن فر أى منه جفوة فلما قدم المدينة أذاع شكايته فقال له النبي (لقد آذيتنـي) فقال أعوذ با أو أؤذيك يا رسول ا فقال (بل من آذي عليا فقد آذاني) أخرجه أحمد زاد ابن عبد البر (من أحب علـيا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى ا) . وكذلك وقع لبريدة أنه كان مع علي . في اليمن فقدم مغضبا عليه وأراد شكايته بجارية أخذها من الخمس فقيل له أخبره ليسقط علي من عينيه ورسول ا يسمع من رواء الباب فخرج مغضبا فقال (ما بال أقوام ينتقصون عليا من أبغض عليا فقد أبغضني ومن فارق عليا فقد فارقني إن علـيا مني وأنا منه خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم (ذرية بعضها من بعض وا سميع عليم) آل عمران ١٤ يا بريدة أما علمت أن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ) الحديث . أخرجه الطبراني وفيه حسين الأشقر ومـر أنه شيعي غال . وفي خبر ضعيف أنه قال (الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي ا عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا) . ويوافقه قول كعب الأحبار وعمر بن عبد العزيز ليس أحد من أهل بيت النبي إلا له شفاعة . وأخرج أبو الشيخ والديلمي (من لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب فهو لإحدى ثلاث إما مـنافق وإما ولد زنية وإما امرؤ حملت به أمه في غير طهر) . وأخرج الديلمي (من أحب ا أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبنـي ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي) . ومر في الآية الثامنة ما له كبير تعلق بما نحن فيه فراجعه . وأخرج أبو بكر الخوارزمـي أنـه خرج عليهم ووجهه مشرق كدائرة القمر فسأله عبد الرحمن بن عوف فقال (بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن ا زوج عليا من فاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقا يعني صكاكا بعدد محبـي أهل البيت وأنشأ تحتها ملائكة من نور دفع إلى كل ملك صكا فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا يـبقى محـب لأهل البيت إلا دفعت إليه صكا فيه فكاكه من النار فصار أخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار) . وأخرج الملا (لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ولا يبغضنا إلا منافق شقي) . ومر خبر أحمد والترمذي (من أحبني وأحب هذين يعني حسنا وحسينا وأباهما وأمهما كان معي في الجنة) . وفي رواية (في درجتي) . زاد أبو داود (ومـات متبعا لسنتي) . وبها يعلم أن مجرد محبتهم من غير اتباع للسنة كما يزعمه الشيعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم

للسنة لا يفيد مدعيها شيئا من الخير بل تكون عليه وبالا وعذابا أليما في الدنيا والآخرة . وقد مر عن علي في الآية الثامنة بيان صـفات شيعته الذين تنفعهم محبته ومحبة أهل بيته فراجع تلك الأوصاف فإنها تقضي على هؤلاء المنتحلين حبهم مع مخالفتهم هديهـم بأنهم وصلوا إلى غاية الشقاوة والحماقة والجهالة والغباوة . رزقنا ا دوام محبتهم واتباع هديهم آمين . وأما خبر (يا علي إن أهل شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما فيهم من الذنوب والعيوب وجوههم كالقمر ليلة البدر) فموضوع كأحاديـث كثيرة من هذا النمط بينها ابن الجوزي في موضوعاته . وأخرج الثعلبي في تفسير قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجـرا إلا المـودة في القربى) الشورى ٢٣ حديثا طويلا من هذا النمط قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر آثار الوضع لائحة علـيه . وحديث (من أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه كنت أنا وهو في عليين ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه وكف عنا يده فهو فـي الدرجـة التي تليها ومن أحبنا بقلبه وكف عنا لسانه ويده فهو في الدرجة التي تليها) في سنده رافضي غال في الرفض ورجـل آخر متروك / المقصد الثالث فيما أشارت إليه من التحذير من بغضهم / . صح انه قال (والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهـل البيت أحد إلا أدخله ا إلى النار) . وأخرج أحمد مرفوعا (من أبغض أهل البيت فهو منافق) . وأخرج هو والترمذي عن جابر (ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم عليا) . وخبر (من ابغض أحدا من أهل بيتي فقد حرم شفاعتي) . موضوع . وهكذا خبر (من أبغضنا أهل البيت حشره ا يوم القيامة يهوديا وإن لا شهد أن لا إله إلا ا) . فهو موضوع أيضا كما قاله ابـن الجوزي والعقيلي وغير هذين مما مر وما يأتي مغن عنهما . وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن الحسن رضي ا عنه مرفوعا (لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار) . وفي رواية له ضعيفة أيضا من جملة قصـة طويلـة (أنـت السـاب عليا لئن وردت عليه الحوض وما أراك ترده لتجدنه مشمرا حاسرا عن ذراعيه يذود الكفار والمنافقيـن عـن حـوض رسول ا قول الصادق المصدوق محمد) . وأخرج الطبراني (يا علي معك يوم القيامة عصا من عصـي الجـنة تذود بها المنافقين عن الحوض) . وأحمد (أعطيت في علي خمسا هن أحب إلي من الدنيا وما فيها أما واحدة فهو بين يدي ا حتى يفرغ من الحساب وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته وأما الثالثة فواقف على حوضي يسقي من عرف من أمتي) . ومر خبر أنه قال لعلي (إن عدوك يردون علي الحوض ظماء مقمحين) . وأخرج الديلمي مرفوعا (بغـض بني هاشم والأنصار كفر وبغض العرب نفاق) . وصحح الحاكم خبر انه قال (يا بني عبد المطلب إني سألت ا لكم ثلاثـا أن يثبـت قائمكم وأن يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وسألت ا أن يجعلكم جودا) وفي رواية نجدا من النجدة الشجاعة وشـدة البأس (نجباء رحماء فلو أن رجلا صفن بين الركن والمقام أي جمع قدميه فصلى وصام ثم لقي ا وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار) . وصح أيضا أنه قال (ستة لعنتهم ولعنهم ا وكل نبي مجاب الزائد في كتاب ا عز وجل والمكذب بقـدر ا والمتسـلط علـى امتـي بالجـبروت ليذل من أعز ا ويعز من أذل ا والمستحل حرمة ا وفي رواية لحرم ا والمسـتحل مـن عترتي ما حرم ا والتارك للسنة) وفي رواية زيادة سابع وهو (المستأثر بالفيء) . وأخرج أحمد عن أبي رجـاء أنـه كان يقول لا تسبوا عليا ولا أهل هذا البيت إن جارا لنا قدم من الكوفة فقال ألم تروا هذا الفاسق ابن الفاسق إن ا قتله يعني الحسين فرماه ا بكوكبين في عينيه وطمس ا بصره . تنبيه قال القاضي في الشفاء ما حاصله من سب أبا أحد من ذريـته ولم تقم قرينة على إخراجه من ذلك قتل . وعلم من الأحاديث السابقة وجوب محبة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ وبلزوم محبتهم صرح البيهقي والبغوي وغيرهما أنها من فرائض الدين بل نص عليه الشافعي فيما حكي عنه من قوله . (يا أهل بيت رسول ا حبكم % فرض من ا في القرآن أنزله) . وفي (توثيق عرى الإيمان) للبارزي عن الإمام الحرالي مـا حاصـله إن خواص العلماء يجدون في قلوبهم مزية تامة بمحبته ثم محبة ذريته لعلمهم باصطفاء نطفهم الكريمة ثم بمحبة أولاد العشـرة المبشـرين بالجـنة ثـم أولاد بقية الصحابة وينظرون إليهم اليوم نظرهم إلى آبائهم بالأمس لو رأوهم وينبغي الإغضـاء عن انتقادهم ومن ثم ينبغي أن الفاسق من أهل البيت لبدعة أو غيرها إنما نبغض أفعاله لا ذاته لأنها بضعة منه وإن كـان بيـنه وبينها وسائط . وأخرج أبو سعد في شرف النبوة وابن المثنى أنه قال (يا فاطمة إن ا يغضب لغضبك ويرضى لرضاك) . فمن آذى أحدا من ولدها فقد تعرض لهذا الخطر العظيم لأنه أغضبها ومن أحبهم فقد تعرض لرضاها ولذا صرح

العلمـاء بأنـه ينبغي إكرام سكان بلده وإن تحقق منهم ابتداع أو نحوه رعاية لحرمة جواره الشريف فما بالك بذريته الذين هم بضـعة مـنه . وروى في قوله تعالى (وكان أبوهما صالحا) الكهف ٨٢ أنه كان بينهم وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة أو تسـعة آبـاء . ومن ثم قال جعفر الصادق احفظوا فينا ما حفظ ا الصالح في اليتيمين وما انتقد ذريته محب لمحمد / المقصد الرابع مما أشارت إليه الآية الحث على صلتهم وإدخال السرور عليهم / وورد . أخرج الديلمي مرفوعا (من أراد التوسل إلي وأن يكـون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم) . وروى عن عمر من طرق أنه قال للزبـير انطلـق بـنا نـزور الحسن بن علي رضي ا عنهما فتباطأ عليه الزبير فقال أما علمت أن عيادة بني هاشم فريضة وزيـارتهم نافلة أراد أن ذلك فيهم آكد منه في غيرهم لا حقيقة الفريضة فهو على حد قوله (غسل الجمعة واجب) . وأخرج الخطيب مرفوعا (يقوم الرجل للرجل إلا بني هاشم فإنهم لا يقومون لأحد) . وأخرج الطبراني مرفوعا (من اصطنع إلى أحد مـن ولد عبد المطلب يدا فلم يكافئه بها في الدنيا فعلي مكافأته غدا إذا لقيني) . زاد الثعلبي في رواية لكن في سندها كذاب (وحرمت الجنة على من ظلمني في اهل بيتي وآذاني في عترتي) . وفي خبر ضعيف (أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتـي والقاضـي لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه) . وأخرج الملا في سيرته أنه أرسل أبا ذر ينادي عليا فرأى رحى تطحن في بيته وليس معها أحد فأخبر النبي بذلك فقال (يا ابا ذر أما علمت أن ملائكـة سـياحين فـي الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمد) . وأخرج أبو الشيخ من جملة حديث طويل (يا أيها الناس إن الفضـل والشرف والمنزلة والولاية لرسول ا وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل) / المقصد الخامس مما أشارت إليه الآية من توقـيرهم وتعظيمهم والثناء عليهم / . ومن ثم كثر ذلك من السلف في حقهم اقتداء به فإنه كان يكرم بني هاشم كما مر ودرج علـى ذلـك الخلفاء الراشدون فمن بعدهم . أخرج البخاري في صحيحه عن أبي بكر رضي ا عنه أنه قال والذي نفسي بيده لقـرابة رسول ا أحب إلي أن أصل من قرابتي وفي رواية أحب إلي من قرابتي . وفي أخرى وا لأن أصلكم أحب إلي من أن أصـل قرابتـي لقرابتكم من رسول ا ولعظم الحق الذي جعله ا له على كل مسلم . وهذا قاله رضي ا عنه على سبيل الاعـتذار لفاطمـة رضـي ا عنها عن منعه إياها ما طلبت منه من تركة النبي وقد مر الكلام على ذلك في الشبه مبسوطا . وأخرج أيضا عنه ارقبوا محمدا في أهل بيته . وصح عنه أيضا انه حمل الحسن على عنقه مع ممازحته لعلي رضي ا عنهم ويقو ـله وهـو حامل له بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك . ويوافقه قول أنس كما في البخاري عنه لم يكن أحد أشـبه بالنبي من الحسن . لكنه قال ذلك في الحسين رضي ا عنهم وطريق الجمع بينهما قول علي كما أخرجه الترمذي وابن حبان عنه الحسن أشبه برسول ا ما بين الرأس إلى الصدر والحسين أشبه بالنبي ما كان أسفل من ذلك . وورد في جماعة من بني هاشم وغيرهم أنهم كانوا يشبهونه أيضا وقد ذكرت عدتهم في شرحي لشمائل الترمذي . وأخرج الدارقطني أن الحسن جاء لأبـي بكر رضي ا عنهما وهو على منبر رسول ا فقال انزل عن مجلس أبي . فقال صدقت وا إنه لمجلس أبيك ثم أخذه وأجلسـه في حجره وبكى . فقال علي رضي ا عنه أما وا ما كان عن رأيي . فقال صدقت وا ما اتهمتك . فانظر لعظم محـبة أبـي بكر وتعظيمه وتوقيره للحسن حيث أجلسه على حجره وبكى . ووقع للحسين نحو ذلك مع عمر وهو على المنبر فقـال له منـبر أبـيك وا لا منبر أبي . فقال علي وا ما أمرت بذلك . فقال عمر وا ما اتهمناك . زاد ابن سعد أنه أخذه فـأقعده إلى جنبه وقال وهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك أي إن الرفعة ما نلناها إلا به . وأخرج العسكري عن أنس قال بيـنما النبـي في المسجد إذ أقبل علي فسلم ثم وقف ينظر موضعا يجلس فيه فنظر في وجوه الصحابة أيهم يوسع له وكان أبو بكـر رضي ا عنه يمينه فتزحزح له عن مجلسه وقال له ههنا يا أبا حسن فجلس بين النبي وبين أبي بكر فعرف السرور في وجـه رسـول ا وقال (يا ابا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل) . وأخرج ابن شاذان عن عائشة أن أبا بكر فعـل نظير ذلك مع العباس أيضا فقال له النبي ذلك وتأسى في ذلك به فقد أخرج البغوي عن عائشة رضي ا عنها لقد رأيت مـن تعظـيم رسـول ا عمه العباس أمرا عجيبا . وأخرج الدارقطني أنه كان إذا جلس أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعـثمان بيـن يديه وكان كاتب سر رسول ا فإذا جاء العباس ابن عبد المطلب تنحى أبو بكر وجلس العباس مكانه . وأخرج

ابـن عـبد البر أن الصحابة كانوا يعرفون للعباس فضله فيقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه رضي ا عنهم . وكان أبو بكر يكـثر الـنظر إلـى وجه علي فسألته عائشة فقال سمعت رسول ا يقول (النظر إلى وجه علي عبادة) . ومر نحو هذا وأنه حديـث حسـن . ولما جاء أبو بكر وعلي لزيارة قبره بعد وفاته بستة أيام قال علي تقدم يا خليفة رسول ا . فقال أبو بكر ما كنـت لأتقدم رجلا سمعت رسول ا يقول فيه (علي مني كمنزلتي من ربي) . أخرجه ابن السمان . وأخرج الدارقطني عن الشـعبي قـال بينما أبو بكر جالس إذ طلع علي فلما رآه قال من سره أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة وأقربهم قرابة وأفضلهم حالة وأعظمهم حقا عند رسول ا فلينظر إلى هذا الطالع . وأخرج أيضا أن عمر رأى رجلا يقع في علي فقال ويحك أتعرف علـيا هـذا ابن عمه وأشار إلى قبره وا ما آذيت إلا هذا في قبره . وفي رواية فإنك إن أبغضته آذيت هذا في قبره . /وسنده ضـعيف/ . وأخـرج أيضـا عـن ابن المسيب قال قال عمر رضي ا تعالى عنه تحببوا إلى الأشراف وتوددوا واتقوا على اعراضـكم مـن السفلة واعلموا أنه لا يتم شرف إلا بولاية علي رضي ا تعالى عنه . وأخرج البخاري أن عمر بن الخطاب كـان إذا قحطوا استسقى بالعباس رضي ا عنه وقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا محمد إذا قحطنا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون . وفي تاريخ دمشق أن الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبعة عشر من الهجرة فلم يسقوا فقال عمـر لأستسقين غدا بمن يسقيني ا به فلما أصبح غدا للعباس فدق عليه الباب فقال من قال عمر . قال ما حاجتك قال اخرج حتى نستسقي ا بك . قال اقعد فأرسل إلى بني هاشم أن تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فاتوه فأخرج طيبا فطيبهم ثم خرج وعلـي أمامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره فقال يا عمر لات تخلط بنا غيرنا ثم أتى المصلى فوقف فحمد ا وأثنى عليه وقال اللهم إنك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل أن تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا اللهم فكما تفضلت في أوله تفضل علينا في آخره . قال جابر فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحا فما وصلنا إلى منازلنا إلا خوضا فقال العباس أنا المسقي ابن المسقي ابن المسقي ابن المسقي خمس مرات وأشار إلى أن أباه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقي . وأخرج الحاكم أن عمر لما استسقى بالعباس فقال يا أيها الناس إن رسول ا كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده يعظمه ويفخمه ويبر قسمه فاقتدوا أيها الناس برسول ا في عمه العباس فاتخذوه وسيلة إلى ا عز وجل فيما نـزل بكم . وأخرج ابن عبد البر من وجوه عن عمر أنه لما استسقى به قال اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك ونستشفع به فاحفظ فـيه نبـيك كمـا حفظت الغلامين بصلاح أبيهما وأتيناك مستغفرين ومستشفعين . . . الخبر . وفي رواية لابن قتيبة اللهم إنا نـتقرب إلـيك بعم نبيك وبقية آبائه وكثرة رجاله فإنك تقول وقولك الحق (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحـته كـنز لهمـا وكـان أبوهمـا صالحا) الكهف ٨٢ فحفظتهما لصلاح أبيهما فاحفظ اللهم نبيك في عمه فقد دنونا به إليك مستشـفعين . وأخرج ابن سعد أن كعبا قال لعمر إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابتهم سنة استسقوا بعصبة نبيهم فقال عمر هذا العـباس انطلقـوا بنا إليه فأتاه فقال يا أبا فضل ما ترى ما الناس فيه . وأخذ بيده وأجلسه معه على المنبر . وقال اللهم إنا قد توجهـنا إليك بعم نبيك ثم دعا العباس . وأخرج ابن عبد البر أن العباس لم يمر بعمر وعثمان رضي ا عنهم راكبين إلا نزلا حـتى يجـوز إجـلالا لعم رسول ا أن يمشي وهما راكبان . وأخرج الزبير بن بكار عن ابن شهاب أن أبا بكر وعمر زمن ولايـتهما كـان لا يلقاه واحد منهما راكبا إلا نزل وقاد دابته ومشى معه حتى يبلغ منزله أو مجلسه فيفارقه . وأخرج ابن أبي الدنـيا أن عمر لما أراد أن يفرض للناس قالوا له ابدأ بنفسك فأبى وبدأ بالأقرب فالأقرب إلى رسول ا فلم يأت قبيلته إلا بعد خمـس قبائل وفرض للبدريين خمسة آلاف ولمن ساواهم إسلاما ولم يشهد بدرا خمسة آلاف وللعباس اثني عشر ألفا وللحسنين كأبيهما ومن ثم قال ابن عباس إنه كان يحبهما لأنه فضلهما في العطاء على أولاده . وأخرج الدارقطني أنه رضي ا عنه قال لفاطمـة ما من الخلق أحد أحب إلينا من أبيك وما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك . وأخرج أيضا أن عمر سأل عن علي فقيل له ذهب إلى أرضه فقال اذهبوا بنا إليه فوجدوه يعمل فعملوا معه ساعة ثم جلسوا يتحدثون فقال له علي يا أمير المؤمنين أرأيت لـو جاءك قوم من بني إسرائيل فقال لك أحدهم أنا ابن عم موسى صلى ا عليه وسلم أكانت له عندك أثرة على أصحابه قال نعم . قال فأنا وا أخو رسول ا وابن عمه . قال فنزع عمر رداءه فبسطه فقال لا وا لا يكون لك مجلس غيره حتى نفترق

. فلم يزل جالسا عليه حتى تفرقوا . وذكر علي له ذلك إعلاما بأن ما فعله معه من مجيئه إليه وعمله معه في أرضه وهو أمير المؤمنيـن إنمـا هو لقرابته من رسول ا . فزاد عمر في إكرامه وأجلسه على ردائه . وأخرج أيضا أن عمر سأل عليا عن شـيء فأجابه فقال له عمر أعوذ با أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن . وأخرج أيضا أنه قيل لعمر إنك تصنع بعلي شيئا ما تفعله ببقية الصحابة فقال إنه مولاي . وأخرج أيضا أن الحسن استأذن علىعمر فلم يؤذن له فجاء عبد ا بن عمر فلم يـؤذن له فمضى الحسن فقال عمر علي به فجاء فقال يا أمير المؤمنين قلت إن لم يؤذن لعبد ا لا يؤذن لي . فقال أنت أحق بالإذن منه وهل أنبت الشعر في الرأس بعد ا إلا أنتم . وفي رواية له إذا جئت فلا تستأذن . وأخرج أيضا أنه جاءه أعرابيان يختصـمان فأذن لعلي في القضاء بينهما فقضى فقال أحدهما هذا يقضي بيننا فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال ويحك ما تدري مـن هـذا هذا مولاي ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن . وأخرج أحمد أن رجلا سأل معاوية عن مسألة فقال اسـأل عـنها عليا فهو أعلم . فقال يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحب إلي من جواب علي . قال بئس ما قلت لقد كرهت رجلا كـان رسول ا يغزه بالعلم غزا ولقد قال له (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) وكان عمر إذا أشكل علـيه شـيء أخذ منه . وأخرجه آخرون بنحوه لكن زاد بعضهم قم لا أقام ا رجليك ومحا اسمه من الديوان ولقد كان عمر يسـأله ويأخذ عنه ولقد شهدته إذا أشكل عيله شيء قال ههنا علي . وصلى زيد بن ثابت على جنازة أمه كما قاله ابن عبدالبر فقربت له بغلته ليركب فأخذ ابن عباس بركابه فقال خل عنك يا ابن عم رسول ا فقال ابن عباس هكذا أمرنا ان نفعل بالعلماء لأنه كان يأخذ عنه العلم فقبل زيد يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا . وصح عنه أنه كان يأتي لبيت بعض الصحابة لـيأخذ عنه الحديث فيجده قائلا فيتوسد رداءه على بابه فتسفي الريح التراب على وجهه فإذا اخرج ورآه قال يا ابن عم رسول ا ماجـاء بـك ألا أرسـلت إلي فآتيك . فيقول لا . أنا أحق أن آتيك . وحج ابن عباس مع معاوية رضي ا عنهم . وكان لمعاويـة موكـب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم . وقال عمر بن عبد العزيز لعبد ا بن حسن بن حسين إذا كانت لك حاجة فاكتب لي بها فإني أستحيي من ا أن يراك علي بابي . ولما دخلت عليه فاطمة بنت علي وهو أمير المؤمنين أخرج من عـنده وقال لها ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم ولأنتم أحب إلي من أهل بيتي . وقال أبو بكر بن عياش كما في الشفاء لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي رضي ا عنهم لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول ا ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحـب إلـي من أن أقدمه عليهما . ولما ضرب جعفر بن سليمان العباسي والي المدينة مالكا رضي ا عنه ونال منه وحمـل مغشيا عليه وأفاق قال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل . ثم سئل فقال خفت أن أموت وألقى النبي وأستحيي منه أن يدخـل بعض آله النار بسببي . ولما قدم المنصور المدينة أراد إقادته من جعفر فقال أعوذ با و ما ارتفع منه سوط إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول ا . ودخل عبد ا بن الحسن المثنى بن الحسن السبط على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السـن و ـله وفـرة فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه فلامه قومه فقال إن الثقة حدثني حتى كأني أسمعه من في رسول ا (إنما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها) . وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها . وأخرج الخطيب أن أحمد بن حنـبل رضـي ا عنه كان إذا جاءه شيخ أو حدث من قريش أو الأشراف قدمهم بين يديه وخرج وراءهم . وكان أبو حنيفة رضـي ا تعالى عنه يعظم أهل البيت كثيرا ويتقرب بالإنفاق على المتسترين منهم والظاهرين حتى قيل إنه بعث إلى متستر مـنهم باثـنى عشـر ألفا درهم وكان يحض أصحابه على ذلك . ولمبالغة الشافعي فيهم صرح بأنه من شيعتهم حتى قيل كيت وكيـت . فأجاب عن ذلك بما قدمناه عنه من النظم البديع وله أيضا . (آل النبي ذريعتي % وهم إليه وسيلتي) . (أرجو بهم أعطى غدا % بيدي اليمين صحيفتي) . وقارف الزهري ذنبا فهام على وجهه فقال له زين العابدين قنوطك من رحمه ا التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك . فقال الزهري ا أعلم حيث يجعل رسالته فرجع إلى أهله وماله / خاتمة فيما أخبر به ممـا حصل على آله ومما أصاب مسيئهم من الانتقام الشديد / . وفي آداب أخرى قال (إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قـتلا وتشريدا وإن أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية وبنو وبنو المغيرة وبنو مخزوم) صححه الحاكم لكن فيه إسماعيل والجمهور علـى أنـه ضعيف لسوء حفظه وممن وثقه البخاري فقد نقل الترمذي عنه أنه ثقة مقارب الحديث ومن اشد الناس بغضا لأهل

البيـت مـروان بن الحكم وكأن هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي فيدعو له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال (هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون) . وروى بعده بيسير عن محمد بن زيد قال لما بايع معاوية رضي الله عنه لابنه يزيد قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر بل سنة هرقل وقيصر فقال له مروان أنت الذي أنزل الله فيك (والذي قال لوالديه أف لكمـا) الأحقاف ١٧ فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت كذب والله ما هو به ولكن رسول الله لعن أبا مروان ومروانه فـي صلبه . ثم روى عن عمرو بن مرة الجهني وكانت له صحبة رضي الله تعالى عنه أن الحكم ابن أبي العاص استأذن على رسـول الله فعرف صوته فقال (ائذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم يشرفون في الدنـيا ويصـغرون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق) . قال ابن ظفر وكان الحكم هـذا يـرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل كذا ذكر ذلك كله الدميري في حياة الحيوان . ولعنته للحكم وابنه لا تضرهما لأنه تـدارك ذلـك بقوله مما بينه في الحديث الآخر (أنه بشر يغضب كما يغضب البشر وأنه سأل ربه أن من سبه أو لعنه أو دعا عليه أن يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة وطهارة) . وما نقله عن ابن ظفر في أبي جهل لا يلام عليه فيه بخلافه في الحكم فإنـه صحابي وقبيح أي قبح أن يرمى صحابي بذلك فليحمل على أنه إن صح ذلك كان يرمى به قبل الإسلام ومر في أحاديث المهدي أنه رأى فتية من بني هاشم فاغرورقت عيناه وتغير لونه ثم قال (إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتـي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا) . وأخرج ابن عساكر (إن أول الناس هلاكا قريش وأول هلاك قريش هلاك أهل بيتـي) . ونحوه للطبراني وأبي يعلى . واعلم أنه يتأكد في حق الناس عامة وأهل البيت خاصة رعاية أمور . الأول الاعتناء بتحصيل العلوم الشرعية فإنه لا فائدة في نسب من غير علم ودلائل الحث على الاعتناء بالعلوم الشرعية وآدابها وآداب العلماء والمتعلميـن وتفصـيل ذلك كله ظاهر معروف منكتب الأئمة فلا نطول به . الثاني ترك الفخر بالآباء وعدم التعويل عليهم من غـير اكتسـاب للعلوم الدينية . فقد قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات ١٣ وفي البخاري وغيره أنه سئل أي الناس أكرم فقال (أكرمهم عند الله أتقاهم) . وروى ابن جرير وغيره (إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا أنسابكم يوم القيامة إلا عـن أعمالكم إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . وروى أحمد أنه قال (أنظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بـتقوى) . وأخـرج ايضـا من جملة خطبته وهو بمنى (يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ولا فضل لعربي على عجمـي ولا لأحمـر على أسود إلا بالتقوى خيركم عند الله أتقاكم) . وأخرج القضاعي وغيره مرفوعا (من أبطأ به عمله لم يسـرع به نسبه) . وهو في مسلم من جملة حديث . وسبق في هذا الباب تخصيصه لأهل بيته بالحث على تقوى الله وخشيته وتحذيـرهم علـى أن لا يكون أحد اقرب إليه منهم بالتقوى يوم القيامة وأن لا يؤثروا الدنيا على الآخرة اغترارا بأنسابهم وأن أولـياءه يوم القيامة المتقون من كانوا حيث كانوا . وقد ذكر أهل السير أن زيد بن موسى الكاظم خرج على المأمون فظفر به فأرسـله إلـى أخـيه الآتي علي الرضا فوبخه بكلام كثير من جملته ما أنت قائل لرسول الله إذا سفكت الدماء وأخفت السبيل وأخـذت المال من غير حله أغرك حمقى أهل الكوفة وأن رسول الله قال (إن فاطمة قد أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على الـنار) هـذا لمـن خرج من بطنها مثل الحسن والحسين فقط لا لي ولك والله ما نالوا ذلك إلا بطاعة الله فإن أردت أن تنال بمعصـية الله مـا نالوه بطاعة الله إنك إذا لأكرم على الله منهم انتهى . فتأمل ذلك فما أعظم موقعه ممن وفقه الله من أهل هذا البيت المكرم فإن من يتأمل ذلك منهم لم يغتر بنسبه ورجع إلى الله سبحانه عما هو عليه مما لم يكن عليه المتقدمون الأئمة من آبائـه واقـتدى بهم في عظم مآثرهم وزهدهم وعباداتهم وتحليهم بالعلوم السنية والأحوال العلية والخوارق الجلية أعاد الله من بركـتهم وحشـرنا في زمرة محبيهم آمين . وأخرج أبو نعيم عن محمد الجواد الآتي ابن علي الرضا المتقدم آنفا أنه سئل عن حديث (إن فاطمة أحصنت فرجها) . الحديث المذكور فقال بما مر عن أبيه ذاك خاص بالحسن والحسين . ولما استشار زيد أبـاه زين العابدين في الخروج نهاه وقال أخشى أن تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمـة علـى أحد من السلاطين قبل خروج السفياني إلا قتل فكان كما قال أبوه كما مرت قصته في هذا الباب . وأخرج أحمد

وغـيرها مـا حاصـله أنه كان إذا قدم من سفر أتى فاطمة وأطال المكث عندها ففي مرة صنعت لها مسكين من ورق وقلادة وقرطيـن وسترا لباب بيتها فقدم ودخل عليها ثم خرج وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس على المنبر فظنت أنه إنما فعل ذلـك لما رأى ما صنعته فأرسلت به إليه ليجعله في سبيل ا فقال (فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ليست الدنيا من محمد ولا مـن آل محمـد ولو كانت الدنيا تعدل عند ا في الخير جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء) ثم قام فدخل عليها زاد أحمـد أنـه أمر ثوبان أن يدفع ذلك إلى بعض أصحابه وبأن يشتري لها قلادة من عصب وسوارين من عاج وقال (إن هؤلاء أهـل بيتي ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا) . فتأمل ذلك تجد الكمال ليس إلا بالتحلي بالزهد والورع والدأب في الطاعـات والتخلـي عن سائر الرذالات وليس في التحلي بجمع الأموال ومحبة الدنيا والترفع بها إلا غاية المتاعب والنقائص والمثالب ولقد طلق علي الدنيا ثلاثا وقال لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها . ومر في فضائله طرف من ذلك . الثالـث تعظـيم الصحابة رضوان ا عليهم أجمعين لأنهم خير الأمم بشهادة قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمـران ١١٠ وخـير هذه الأمة بشهادة الحديث المتفق على صحته (خير القرون قرني) . وقد قدمت في المقدمة الأولى من هـذا الكـتاب مـن الأحاديـث الدالة على فضلهم وكمالهم ووجوب محبتهم واعتقاد كمالهم وبراءتهم من النقائص والجهالات والإقرار على باطل ما تقر به العيون وتزول به عمن أراد ا توفيقه وهدايته ما توالى عليه من المحن والغبون والفتون فاحذر أن تكون إلا مع السواد الأعظم من هذه الأمة أهل السنة والجماعة وأن تتخاف مع أولئك المتخلفين عن الكمالات إخوان الأهوية والبدع والضلال والحمق والجهالات فلا ينفعك حينئذ نسب وربما سلبت الإسلام فألحقت بأبي جهل وأبي لهب . الرابع اعلم أن مـا أصيب به الحسين رضي ا تعالى عنه في يوم عاشوراء كما سيأتي بسط قصته إنما هو الشهادة الدالة على مزيد حظوته ورفعـته ودرجـته عند ا وإلحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه لم ينبغ أن يشتغل إلا بالاسترجاع امتثالا للأمر وإحرازا لما رتبه تعالى عليه بقوله (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) البقرة ١٥٧ ولا يشـتغل ذلـك الـيوم إلابنلاء ونحوه من عظائم الطاعات كالصوم وإياه ثم إياه أن يشغله ببدع الرافضة من الندب والحزن والنـياحة والحـزن إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين وإلا لكان يوم وفاته أولى بذلك وأحرى أو ببدع الناصبة المتعصبين على أهـل البيـت أو الجهـال المقابلين الفاسد بالفاسد والبدعة بالبدعة والشر بالشر من إظهار غاية الفرح والسرور واتخاذه عيدا وإظهـار الزيـنة فيه كالخضاب والاكتحال ولبس جديد الثياب وتوسيع النفقات وطبخ الأطعمة والحبوب الخارجة عن العادات واعـتقادهم أن ذلك من السنة والمعتاد والسنة ترك ذلك كله فإنه لم يرد في ذلك شيء يعتمد عليه ولا أثر صحيح يرجع إليه . وقد سئل بعض أئمة الحديث والفقه عن الكحل والغسل والحناء وطبخ الحبوب ولبس الجديد وإظهار السرور يوم عاشوراء فقال لـم يرد فيه حديث صحيح عنه ولا عن أحد من أصحابه ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين لا من الأربعة ولا من غيرهم ولم يرد في الكتب المعتمدة في ذلك لا صحيح ولا ضعيف وما قيل (إن من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل لم يمرض كذلـك ومـن وسـع على عياله فيه وسع ا عليه سائر سنته) وأمثال ذلك مثل فضل الصلاة فيه وأنه فيه توبة آدم واستواء السـفينة علـى الجـودي وإنجاء إبراهيم من النار وإفداء الذبيح بالكبش ورد يوسف على يعقوب فكل ذلك موضوع إلا حديث التوسـعة علـى العيال لكن في سنده من تكلم فيه فصار هؤلاء لجهلهم يتخذونه موسما وأولئك لرفضهم يتخذونه مأتما وكلاهما مخطىء مخالف للسنة كذا ذكر ذلك جميعه بعض الحفاظ . وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة مع روايته خبر (إن من اكـتحل بـالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا) لكنه قال إنه منكر ومن ثم أورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الحـاكم . قـال بعض الحفاظ ومن غير تلك الطريق ونقل المجد اللغوي عن الحاكم أن سائر الأحاديث في فضله غير الصوم وفضـل الصـلاة فيه والإنفاق والخضاب والادهان والاكتحال وطبخ الحبوب وغير ذلك كله موضوع ومفترى . وبذلك صرح ابـن القـيم أيضا فقال حديث الاكتحال والادهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين والكلام فيمن خص يوم عاشوراء بالكحل وما مر من أن التوسعة فيه لها أصل هو كذلك فقد أخرج حافظ الإسلام الزين العراقي في أماليه من طريق البيهقي أن النبـي قال (من وسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع ا عليه سائر سنته) . ثم قال عقبه هذا حديث في إسناده لين لكنه

حسـن علـى رأي ابـن حبان وله طريق آخر صححه الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وفيه زيادات منكرة . وظاهر كلام البيهقـي أن حديث التوسعة حسن على رأي غير ابن حبان أيضا فإنه رواه من طرق عن جماعة من الصحابة مرفوعا ثم قال وهذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة لكنها إذا ضم بعضها إلى بعض أحدثت قوة وإنكار ابن تيمية أن التوسعة لم يرد فيها شيء عنه وهـم لما علمت وقول أحمد إنه حديث لا يصح . أي لذاته فلا ينفي كونه حسنا لغيره والحسن لغيره يحتج به كما بين في علم الحديـث . الخـامس ينبغي لكل أحد أن يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب إليه أحد إلا بحق ولم تـزل أنساب أهل البيت النبوي مضبوطة على تطاول الأيام وأحسابهم التي بها يتميزون محفوظة عن أن يدعيها الجهال واللئام قـد ألهـم ا من يقوم بتصحيحها في كل زمان ومن يعتني بحفظ تفاصيلها في كل أوان خصوصا أنساب الطالبيين والمطلبيين ومن ثم وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة ببني فاطمة من بين ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الأخضر إظهـارا لمزيد شرفهم قيل وسببه أن المأمون أراد أن يجعل الخلافة فيهم أي ويدل عليه ما يأتي في ترجمة علي الجواد من أنه عهـد إليه بالخلافة فاتخذ لهم شعارا أخضر وألبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر اليهود في آخـر الأمـر ثـم انثـنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعار الأشراف العلويين من بني الزهراء لكنهم اختصـروا الثـياب إلى قطعة ثوب خضراء توضع على عمائمهم شعارا لهم ثم انقطع ذلك إلى أواخر القرن الثامن ثم في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أمر السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون أن يمتازوا على الناس بعصائب خضـر على العمائم ففعل ذلك بأكثر البلاد كمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول ابن جابر الأندلسي الأعمى نزيل حلب وهو صاحب شرح ألفية ابن مالك المسمى بالأعمى والبصير . (جعلوا لأبناء الرسول علامة % إن العلامة شأن من لم يشهر) . (نور النبوة في كريم وجوههم % يغني الشريف عن الطراز الأخضر) . وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ومن أحسـنه قـول الأديـب محمد بن إبراهيم ابن بركة الدمشقي المزين . (أطراف تيجان أتت من سندس % خضر بأعلام على الأشـراف) . (والأشرف السلطان خصهم بها % شرفا ليعرفهم من الأطراف) . هذا وقد ورد التحذير العظيم عن الانتساب إلـى غـير الآباء وأنه كافر ملعون ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي ا عنهما قال قال رسول ا (من انتسب إلى غـير أبـيه أو تولـى إلى غير مواليه فعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين) والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة فلا نطيل بذكـرها أعاذنـا ا مـن الكذب عليه وعلى أنبيائه وأوليائه وحشرنا في زمرة أهل هذا البيت النبوي المعظم المكرم فإننا من محبيهم وخدمة جنابهم ومن أحب قوما رجى أن يكون معهم بنص الحديث الصحيح وهذا هو علالة الضعيف المقصر مثلي عن أن يعمـل بأعمال الصادقين أو يتحلى بعلي أحوال المخلصين لكن سعة الرجاء في مواهب ذي الجلال والإكرام تفيض إن شاء ا علينا غاية القبول والإنعام إنه أكرم كريم وأرحم رحيم / الفصل الثاني في سرد أحاديث واردة في أهل البيت ومر أكثر هذا في الفصل الأول ولكن قصدت سردها في هذا الفصل ليكون ذلك أسرع لاستحضارها / . الحديث الأول أخرج الديلمي عن أبي سعيد رضي ا عنه أن رسول ا قال (اشتد غضب ا على من آذاني في عترتي) . وورد أنه قال (من أحب أن ينسأ أي يؤخـر فـي أجله وأن يمتع بما خوله ا فليخلفني في أهلي خلافة حسنة فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره وورد علي يوم القيامة مسودا وجهه) . الحديث الثاني أخرج الحاكم عن أبي ذر رضي ا عنه أن رسول ا قال (إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) وفي رواية للبزار عن ابن عباس وعن ابن الزبير وللحاكم عن أبي ذر أيضا (مثل أهـل بيتـي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) . الحديث الثالث أخرج الطبراني عن ابن عمر رضي ا عنهما (أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني من أهل اليمن ثم من سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولا أفضل) . الحديث الرابع أخرج الحاكم عن أبي هريرة أن رسول ا قـال (خـيركم خيركم لأهلي من بعدي) . الحديث الخامس أخرج الطبراني والحاكم عن عبد ا بن أبي أوفى رضي ا عنه أن النبي قال سألت ربي أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا يتزوج إلي أحد من أمتي إلا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك . الحديـث السادس أخرج الشيرازي في الألقاب عن ابن عباس أن رسول ا قال (سألت ربي أن لا أزوج إلا من أهل الجنة

ولا أتـزوج إلا من أهل الجنة) . الحديث السابع أخرج أبو القاسم بن بشران في أماليه عن عمران ابن حصين أن رسول ا قـال (سـألت ربـي أن لا يدخل أحدا من أهل بيتي النار فأعطاني) . الحديث الثامن أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي ا عنهما أن النبي قال (أحبوا ا لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب ا وأحبوا أهل بيتي لحبي) . الحديث التاسع أخرج ابن عساكر عن علي كرم ا وجهه أن رسول ا قال (من صنع إلى أهل بيتي يدا كافأته عليها يوم القيامة) . الحديث العاشـر أخـرج الخطيب عن عثمان رضي ا عنه أن رسول ا قال (من صنع صنيعة إلى أحد من خلف عبد المطلب في الدنـيا فعلي مكافاته إذا لقيني) . الحديث الحادي عشر أخرج ابن عساكر عن علي أن رسول ا قال (من آذانى شعرة مني فقـد ' ذانـي ومن آذاني فقد آذى ا) . الحديث الثاني عشر أخرج أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع أن النبي قال (النجوم أمان لأهـل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي) . الحديث الثالث عشر أخرج الحاكم عن أنس أن النبي قال (وعدني ربي في أهل بيتي مـن أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم) . الحديث الرابع عشر أخرج ابن عدي والديلمي عن علي أن رسول ا قال (أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي ولأصحابي) . الحديث الخامس عشر أخرج الترمذي عن حذيفة أن رسول ا قال (إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) . الحديث السادس عشر أخرج الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم أن رسول ا قال (أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم) . الحديث السابع عشر أخرج ابن ماجة عن العباس بن عبد المطلب أن رسول ا قـال (مـا بال أقوام إذا جلس إليهم أحد من أهل بيتي قطعوا حديثهم والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرىء الإيمان حتى يحـبهم ولقرابتـي) . الحديـث الثامن عشر أخرج أحمد والترمذي عن علي أن رسول ا قال (من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة) . الحديث التاسع عشر أخرج ابن ماجة والحاكم عن أنس أن رسول ا قال (نحـن ولـد عـبد المطلب سادة أهل الجنة أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي) . الحديث العشرون أخرج الطبرانـي عـن فاطمة الزهراء رضي ا عن أن النبي قال (لكل بني أنثى عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصـبتهم) . الحديث الحادي والعشرون وأخرج الطبراني عن عمر أن النبي قال (كل بني أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولـد فاطمة فإني أنا عصبتهم وأنا أبوهم) . الحديث الثاني والعشرون أخرج الطبراني عن فاطمة أن النبي قال (كل بني أنثى ينـتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإني أنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم) . الحديث الثالث والعشرون أخرج أحمد والحاكم عـن المسور أن النبي قال (فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري) . الحديث الرابع والعشرون اخرج البزار وأبو يعلى والطبراني والحاكم عن ابن مسعود أن النبي قال (فاطمـة أحصنت فرجها فحرمها ا وذريتها على النار) . ومما يندرج في هذا السلك وسلك الخلفاء الأربعة السابق ذكرهم الأحاديث الواردة في قريش لأنهم كلهم من قريش وهم ولد النضر بن كنانة فإن ما ثبت للأعم ثبت للأخص فلذا أثبتها على عد مـا مـر وأخرتها إلى هنا ليعم جميع من سبق فقلت . الحديث الخامس والعشرون أخرج الشافعي واحمد رضي ا عنهما عن عبد ا بن حنطب قال خطبنا رسول ا يوم الجمعة فقال (يا أيها الناس قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها) . الحديـث السـادس والعشـرون أخرج البيهقي عن جبير بن مطعم أن النبي قال (يا أيها الناس لا تتقدموا قريشا فتهلكوا ولا تخلفـوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلموا منها فإنهم أعلم منكم لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذي لها عند ا عز وجل) . الحديـث السـابع والعشـرون اخرج الشيخان عن جابر أن النبي قال (الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافـرهم تـبع لكافرهم والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) . الحديث الثامن والعشرون أخرج البخاري عن معاوية أن النبي قال (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه ا على وجهه في النار) . الحديث التاسع والعشـرون أخـرج الطبرانـي عن ابن عباس أن النبي قال (أمان لأهل الأرض من الغرق القوس وأمان لأهل الأرض من الاخـتلاف المـوالاة لقريش قريش أهل ا فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس) . والقوس هو المشهور بقوس قـزح سمي به لأنه أول ما رئي في الجاهلية على قزح جبل بالمزدلفة أو لأن قزح هو الشيطان ومن ثم قال علي لا تقل قوس

قزح قزح هو الشيطان ولكنها قوس ا تعالى هي علامة كانت بين نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وبين ربه عز وجل وهي أمان لأهل الأرض من الغرق . الحديث الثلاثون أخرج ابن عرفة العبدي أن النبي قال (أحبوا قريشا فإن من أحبهم أحـبه ا) . الحديث الحادي والثلاثون أخرج مسلم . والترمذي وغيرهما عن واثلة أن النبي قال (إن ا اصطفى كنانة من بني إسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) . وفي رواية (إن ا اصـطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلا واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزارا ثم اصطفى مـن نزار مضر ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشـم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد المطلب) . الحديث الثاني والثلاثون أخرج أحمد بسند جيد عن العباس قال بلغ رسول ا ما يقول الناس فصعد المنبر فقال (من أنا) قالوا أنت رسول ا فقال (أنا محمد بن عبد ا بن عبد المطلب إن ا خلـق الخلق فجعلني من خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلني من خيرهم فرقة وجعل القبائل فجعلني من خيرهم قبيلة وجعلهم بـيوتا فجعلني من خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا وأنا خيركم نفسا) . الحديث الثالث والثلاثون أخرج أحمد والمحاملي والمخاص والذهبي وغيرهم عن عائشة رضي ا عنها قالت قال رسول ا (قال جبريل عليه السلام قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجـد رجـلا أفضـل مـن محمد وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم) . الحديث الرابع والثلاثون أخرج أحمد والترمذي والحاكم عن سعد أن النبي قال (من يرد هوان قريش أهانه ا) . الحديث الخامس والثلاثون أخـرج أحمد ومسلم عن جابر أن النبي قال (الناس تبع لقريش في الخير) . الحديث السادس والثلاثون أخرج أحمد عن ابن مسـعود أن النبي قال (أما بعد يا معشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر ما لم تعصوا ا فإذا عصيتموه بعث ا عليكم من يلحاكم كمـا يلحـى هذا القضيب) . الحديث السابع والثلاثون أخرج أحمد ومسلم عن معاوية أن النبي قال إن هذا الأمر في قريش لا يعـاديهم أحـد إلا أكبه ا ما أقاموا الدين . الحديث الثامن والثلاثون أخرج أحمد والنسائي والضياء عن أنس أن النبي قال (الأئمـة من قريش ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك ما إن استرحموا رحموا وإن استحكموا عدلوا وإن عاهدوا وفوا فمن لم يفعل ذلـك مـنهم فعلـيه لعـنة ا والملائكة والناس أجمعين لا يقبل ا منه صرفا ولا عدلا) . الحديث التاسع والثلاثون أخرج الطبرانـي عن جابر بن سمرة أن النبي قال (يكون بعدي اثنا عشر أميرا كلهم من قريش) . الحديث الأربعون أخرج الحسن بـن سفيان وأبو نعيم أن النبي قال (أعطيت قريش ما لم يعط الناس أعطوا ما أمطرت السماء وما جرت به الأنهار وما سالت بـه السـيول) . الحديث الحادي والأربعون أخرج الخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة أن النبي قال (اللهم اهد قريشا فإن عالمهـا يملأ طباق الأرض علما اللهم كما أذقتهم عذابا فاذقهم نوالا) . وهذا العالم هو الشافعي رضي ا عنه كما قاله أحمد وغيره لأنه لم يحفظ لقريش من انتشر علمه في الآفاق ما حفظ الشافعي . الحديث الثاني والأربعون أخرج الحاكم والبيهقي أن النبـي قـال (الأئمـة من قريش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها وإن امرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسـمعوا له وأطيعوا ما لم يخير أحدكم بين إسلامه وضرب عنقه فإن خير بين إسلام أى تركه وضرب عنقه فليقدم عنقه) . الحديـث الثالث والأربعون أخرج أحمد وغيره أن النبي قال (انظروا قريشا فخذوا من قولهم وذروا فعلهم) . الحديث الرابع والأربعـون أخـرج البخاري في الأدب والحاكم والبيهقي عن أم هانىء أن النبي قال (فضل ا قريشا بسبع خصال لم يعطها أحـدا قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم فضل ا قريشا أني منهم وأن النبوة فيهم وأن الحجابة فيهم وأن السقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا ا عشر سنين لا يعبده غيرهم وأنزل ا فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم (لإيلاف قريش)) . وفـي روايـة للطبراني (فضل ا قريشا بسبع خصال فضلهم بأنهم عبدوا ا عشر سنين لم يعبد ا إلا قرشي وفضلهم بأن نصـرهم يـوم الفـيل وهم مشركون وفضلهم بأن نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد غيرهم من العالمين وهي (لإيـلاف قـريش) وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية) / الفصل الثالث في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها رضي ا عنهم / . الحديث الأول أخرج أبو بكر في الغيلانيات عن أبي أيوب رضي ا عنه أن النبي قـال (إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت

محمـد علـى الصراط فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق) . الحديث الثاني أخرج أيضا عن أبي هريرة رضي ا عنه أن النبي قال (إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من بطنان العرش أيها الناس غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة إلـى الجنة) . الحديث الثالث أخرج أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن المسور بن مخرمة أن رسول ا قال (إن بني هشـام بـن المغيرة استأذنوا أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن يثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة مني يريبني ماريبها ويؤذيني ما يؤذيها) . الحديث الرابع أخرج الشيخان عن فاطمة رضـي ا عـنها أن النبـي قال لها (إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضـر أجلـي وإنـك أول أهـل بيتـي لحاقا بي فاتقي ا واصبري فإنه نعم السلف أنا لك) . الحديث الخامس أخرج أحمد والترمذي والحاكم عن ابن الزبير رضي ا عنه أن النبي قال (إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها) . الحديـث السـادس أخرج الشيخان عنها أن النبي قال لها (يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين) . الحديث السـابع أخرج الترمذي والحاكم عن أسامة بن زيد أن النبي قال (أحب أهلي إلي فاطمة) . الحديث الثامن أخرج الحاكم عن أبـي سـعيد أن النبي قال (فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران) . الحديث التاسع عن أبي هريرة أن النبي قال لعلـي (فاطمـة أحب إلي منك وأنت أعز علي منها) . الحديث العاشر أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد والطبراني عن عمر وعن علي وعن جابر وعن أبي هريرة وعن أسامة بن زيد وعن البراء وابن عدي عن ابن مسعود أن النبي قال (الحسن والحسـين سيدا شباب أهل الجنة) . الحديث الحادي عشر أخرج ابن عساكر عن علي وعن ابن عمر وابن ماجة والحاكم عن ابن عمر والطبراني عن قرة وعن مالك بن الحويرث والحاكم عن ابن مسعود أن النبي قال (ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شـباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما) . الحديث الثاني عشر أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان عن حذيفة أن النبي قـال له (أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عـز وجـل أن يسـلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) . الحديث الثالـث عشر أخرج الطبراني عن فاطمة أن النبي قال (أما حسن فله هيبتي وسؤددي وأما حسين فإن له جرأتي وجودي) . الحديـث الـرابع عشـر أخرج الترمذي عن ابن عمر أن النبي قال (إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا) . الحديث الخـامس عشـر أخـرج ابـن عدي وابن عساكر عن أبي بكرة أن النبي قال (إن ابني هذين ريحانتاي من الدنيا) . الحديث السـادس عشـر أخرج الترمذي وابن حبان عن أسامة بن زيد أن النبي قال (هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما) . الحديث السابع عشر أخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان والحاكم عن بريدة أن النبي قال (صـدق ا ورسـوله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما) . الحديث الثامن عشر أخرج أبو داود عن المقداد بن معد يكرب أن النبي قال (هذا مني يعني الحسن وحسين من علـي) . الحديث التاسع عشر أخرج البخاري وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم عن أبي سعيد أن النبي قال (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مـريم) . الحديث العشرون أخرج أحمد وابن عساكر عن المقداد بن معد يكرب أن النبي قال (الحسن مني والحسين من علي) . الحديث الحادي والعشرون أخرج الطبراني عن عقبة بن عامر أن النبي قال (الحسن والحسين شنفا العرش وليسا بمعلقين) . الحديـث الثاني والعشرون أخرج أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي بكرة أن النبي قال (إن ابني هذا سـيد ولعل ا أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) يعني الحسن . الحديث الثالث والعشرون أخهرج البخاري في الأدب المفـرد والـترمذي وابـن ماجة عن يعلى بن مرة أن النبي قال (حسين مني وأنا منه أحب ا من أحب حسينا الحسن والحسين سبطان من الأسباط) . الحديث الرابع والعشرون أخرج الترمذي عن أنس أن النبي قال (أحب أهل بيتي إلي الحسن والحسـين) . الحديـث الخـامس والعشرون أخرج أحمد وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة أن النبي قال (من أحب الحسن والحسـين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني) . الحديث السادس والعشرون أخرج ابو يعلى عن جابر أن رسول ا قال (

مـن سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين) . الحديث السابع والعشرون أخرج البغوي وعبد الغني في الإيضاح عن سلمان رضي ا عنه أن النبي قال (سمى هارون ابنيه شبرا وشبيرا وإني سميت ابني الحسن والحسين بما سمى بـه هـارون ابنيه) . وأخرج ابن سعد عن عمران أن ابن سليمان قال الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة ما سميت العرب بهمـا فـي الجاهلية . الحديث الثامن والعشرون أخرج ابن سعد والطبراني عن عائشة رضي ا عنها أن النبي قال (أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه) . الحديث التاسع والعشرون أخـرج أبـو داود والحـاكم عن أم الفضل بنت الحارث أن النبي قال (أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا يعني الحسـين وأتاني بتربة من تربته حمراء) . وأخرج أحمد (لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلها فقال لي إن ابنك هذا حسـينا مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها قال فأخرج تربة حمراء) . الحديث الثلاثون أخرج البغوي في معجمه من حديث أنس أن النبي قال (استأذن ملك القطر ربه أن يزورني فأذن له) وكان في يوم أم سلمة فقال رسول ا (يا أم سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل أحد) فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول ا فجعل رسول ا يلـثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه قال نعم قال إن أمتك ستقتله وإن شئت أريك المكان الذي يقتل به فأراه فجاء بسهلة أو تراب فأخذتـه أم سـلمة فجعلته في ثوبها . قال ثابت كنا نقول إنها كربلاء . وأخرجه أيضا أبو حاتم في صحيحه وروى أحمد نحوه وروى عبد بن حميد وابن احمد نحوه أيضا لكن فيه أن الملك جبريل فإن صح فهما واقعتان وزاد الثاني أيضا أنه شمها وقال (ريـح كرب وبلاء) والسهلة بكسر أول رمل خشن ليس بالدقاق الناعم . وفي رواية الملا وابن أحمد في زيادة المسند قالت ثم ناولنـي كفا من تراب أحمر وقال (إن هذا من تربة الأرض التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي أنه قد قتل) قالت أم سلمة فوضـعته فـي قارورة عندي وكنت أقول إن يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم . وفي رواية عنها فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دما . وفي أخرى ثم قال يعني جبريل ألا أريك تربة مقتله فجاء بحصيات فجعلهن رسول ا في قارورة . قالت أم سلمة فلمـا كانـت ليلة قتل الحسين سمعت قائلا يقول . (أيها القاتلون جهلا حسينا % أبشروا بالعذاب والتذليل) . (قد لعنتم على لسـان ابن داود % وموسى وحامل الإنجيل) . قالت فبكيت وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دما . وأخرج ابن سعد عن الشعبي قال مر علي رضي ا عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفين وحاذى نينوى قرية على الفرات فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه ثم قال دخلت على رسول ا وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال (كان عـندي جبريل آنفا وأخبرني أن وادي الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب شـمني إياه فلم أملك عيني أن فاضتا) . ورواه أحمد مختصرا عن علي قال دخلت على النبي الحديث . وروى الملا أن عليا مـر بقـبر الحسين فقال ههنا مناخ ركابهم وههنا موضع رحالهم وههنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكـي عليهم السماء والأرض . وأخرج أيضا أنه كان له مشربة درجتها في حجرة عائشة يرقى إليها إذا ٠٠ أراد لقي جبريل فـرقى إلـيها وأمر عائشة أن لا يطلع إليها أحد فرقى حسين ولم تعلم به فقال جبريل من هذا قال ابني فأخذه رسول ا فجعله علـى فخذه فقال جبريل ستقتله أمتك فقال أمتي قال نعم وإن شئت أخبرتك الأرض التي يقتل فيها فأشار جريل بيده إلى الطف بالعراق فأخذ منها تربة حمراء فأراه إياها وقال هذه من تربة مصرعه . وأخرج الترمذي أن أم سلمة رأت النبي باكيا وبرأسه ولحيـته التراب فسألته فقال (قتل الحسين آنفا) . وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسـأله فقال (دم الحسين واصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم) فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم . فاستشهد الحسين كما قال لـه بكربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضا بالطف قتله سنان بن أنس النخعي وقيل غيره يوم الجمعة عاشـر المحرم سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة وأشهر . ولما قتلوه بعثوا برأسه إلى يزيد فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشـربون بالرأس فبينما هم كذلك إذ خرجت عليه من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطر بدم . (أترجو أمة قتلت حسينا % شفاعة جده يوم الحساب) . فهربوا وتركوا الرأس . أخرجه منصور بن عمار . وذكر غيره أن هذا البيت وجد بحجر قبل مبعـثه بثلاثمائة سنة وأنه مكتوب في كنيسة من أرض الروم لا يدرى من كتبه . وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة

فأصـبحنا وحبابـنا وجرارنا مملوءة دما . وكذا روي في أحاديث غير هذه . ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضا أن السماء اسـودت اسودادا عظيما حتى رؤيت النجوم نهارا ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط . وأخرج أبو الشيخ أن الورس الذي كـان في عسكرهم تحول رمادا وكان في قافلة من اليمن تريد العراق فوافيتهم حين قتله . وحكى ابن عيينة عن جدته أن جمالا ممـن انقلـب ورسه رمادا أخبرنا بذلك ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل الفيران فطبخوها فصارات مثل العلقـم وأن السـماء احمرت لقتله وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار وظن الناس أن القيامة قد قامت ولم يرفع حجـر في الشام إلا رؤي تحت دم عبيط . وأخرج عثمان بن أبي شيبة أن السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضا . ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة في السماء . وقال أبو سعيد ما رفع حجر من الدنيا إلا وجد تحته دم عبيط ولقد مطرت السماء دما بقـي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت . واخرج الثعلبي وأبو نعيم ما مر من أنهم مطروا دما . زاد أبو نعيم فأصبحنا وحبابنا وجـرارنا مملوءه دما . وفي رواية أنه مطر كالدم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة وأنه لما جيء برأس الحسين إلـى دار زيـاد سألت حيطانها دما . وأخرج الثعلبي أن السماء بكت وبكاؤها حمرتها . وقال غيره احمرت آفاق السماء ستة أشـهر بعـد قتله ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك وأن ابن سيرين قال أخبرنا أن الحمرة لم تر في السماء قبل قتله . قال ابن الجوزي وحكمته أن غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق منزه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق إظهـارا لعظم الجناية . قال وأنين العباس وهو ماسور ببدر منع النبي النوم فكيف بأنين الحسين ولما أسلم وحشي قاتل حمزة قال له النبي (غيب وجهك عني فإني لا أحب أن أرى من قتل الأحبة) . قال وهذا والإسلام يجب ما قبله فكيف بقلبه أن يرى مـن ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال وما مر من أنه لم يرفع حجر في الشام أو الدنيا إلا رؤي تحته دم عبـيط وقـع يوم قتل علي أيضا كما أشار إليه البيهقي فإنه حكى عن الزهري أنه قدم الشام يريد الغزو فدخل على عبد الملك فأخـبره أنه يوم قتل علي لم يرفع حجر من بيت المقدس إلا وجد تحت دم ثم قال له لم يبق من يعرف هذا غيري وغيرك فلا تخـبر به . قال فما أخبرت به إلا بعد موته . وحكى عنه أيضا أن غير عبد الملك أخبر بذلك أيضا . قال البيهقي والذي صح عـنه أن ذلك حين قتل الحسين ولعله وجد عند قتلهما جميعا . انتهى . وأخرج أبو الشيخ أن جمعا تذاكروا أنه ما من أحد اعان على قتل الحسين إلا أصابه بلاء قبل أن يموت فقال شيخ أنا أعنت وما أصابني شيء . فقام ليصلح السراج فأخذته النار فجعل يـنادي الـنار النار وانغمس في الفرات ومع ذلك فلم يزل به حتى مات . وأخرج منصور بن عمار أن بعضهم ابتلي بالعطش وكـان يشـرب روايـة ولا يروى وبعضهم طال ذكره حتى كان إذا ركب الفرس لواه على عنقه كأنه حبل . ونقل سبط ابن الجـوزي عن السدي أنه أضافه رجل بكربلاء فتذاكروا أنه ما شارك أحد في دم الحسين إلا ىمات أقبح موتة فكذب المضيف بذلك وقال إنه ممن حضر فقام آخر الليل يصلح السراج فوثبت النار في جسده فأحرقته . قال السدي فأنا وا رأيته كأنه حميمة . وعـن الزهـري لـم يبق ممن قتله إلا من عوقب في الدنيا إما بقتل أو عمى او سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة . وحكـى سبط ابن الجوزي عن الواقدي أن شيخا حضر قتله فقط فعمي فسئل عن سببه فقال إنه رأى النبي حاسرا عن ذراعيه وبيده سيف وبين يديه نطع ورأى عشرة من قاتلي الحسين مذبوحين بين يديه ثم لعنه وسبه بتكثيره سوادهم ثم أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمى . وأخرج أيضا أن شخصا منهم علق في لبب فرسه رأس الحسين بن علي فرؤي بعد ايام ووجهه أشد سـوادا من القار . فقيل له إنك كنت أنضر العرب وجها فقال ما مرت علي ليلة من حين حملت تلك الرأس إلا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي إلي نار تأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فتسفعني كما ترى ثم مات على أقبح حاله وأخرج أيضا أن شيخا رأى النبـي فـي النوم وبين يديه طست فيها دم والناس يعرضون عليه فيلطخهم حتى انتهيت إليه فقلت ما حضرت . فقال لي هويـت فأومـأ إلي بإصبعه فأصبحت أعمى . ومر أن أحمد روى أن شخصا قال قتل ا الفاسق ابن الفاسق الحسين فرماه ا بكوكبين في عينيه فعمي . وذكر البارزي عن المنصور أنه رأى رجلا بالشام وجهه وجه خنزير فسأله فقال إنه كان يلعن عليا كـل يـوم ألف مرة وفي الجمعة ألف مرة وأولاده معه فرأيت النبي وذكر مناما طويلا من جملته أن الحسن شكاه إليه فلعنه ثم

بصـق فـي وجهـه فصـار موضع بصاقه خنزيرا وصار آية للناس . وأخرج الملا عن أم سلمة أنها سمعت نوح الجن على الحسـين . وابـن سعد عنها أنها بكت عليه حتى غشي عليها . وروى البخاري في صحيحه والترمذي عن ابن عمر أنه سأله رجـل عن دم البعوض طاهر أو لا فقال له ممن أنت قال من أهل العراق . فقال انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قـتلوا ابن النبي وقد سمعت النبي يقول (هما ريحانتاي من الدنيا) . وسبب مخرجه رضي ا عنه أن يزيد لما استخلف سنة ستين أرسل لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة خوفا على نفسه فسمع به أهل الكوفة فأرسلوا إليه أن يأتيهم ليبايعوه ويمحو عنهم ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه فابى فنهاه أن لا يذهب بأهلـه فأبى فبكى ابن عباس وقال واحبيباه واحسيناه . وقال له ابن عمر نحو ذلك فأبى فبكى ابن عمر وقبل ما بين عينيه وقال أستودعك ا من قتيل . ونهاه ابن الزبير أيضا فقال له حدثني أبي إن لمكة كبشا به يستحل حرمتها فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش . ومر قول أخيه الحسن له إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم على أخيه الحسن رضي ا عنهما ولما بلغ مسيره أخاه محمد بن الحنفية كان بين يديه طست يتوضأ فيه فبكى حـتى مـلأه من دموعه ولم يبق بمكة إلا من حزن لمسيره . وقدم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفا . وقـيل أكثر من ذلك وأمر يزيد ابن زياد فجاء إليه وقتله وأرسل برأسه إليه فشكره وحذره من الحسين ولقي الحسين في مسيره الفـرزدق فقال له بين لي خبر الناس . فقال أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول ا قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضـاء يـنزل من السماء وا يفعل ما يشاء . وسار الحسين وهو على غير علم بما جرى لمسلم حتى كان على ثلاث من القادسـية تلقـاه الحر بن يزيد التميمي فقال ارجع فما تركت لك خلفي خيرا ترجوه وأخبره الخبر وقدوم ابن زياد واستعداده له فهـم بالـرجوع بالرجوع فقال أخو مسلم وا لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل فقال لا خير في الحياة بعدكم ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء ثامن المحرم سنة إحدى وستين وكان لما شارف الكوفة سمع به أميرها عبيد ا بن زياد فجهـز إلـيه عشـرين ألف مقاتل فلما وصلوا إليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابى فقاتلوه وكان أكثر الخارجيـن لقـتاله الذين كاتبوه وبايعوه ثم لما جاءهم أخلفوه وفروا عنه إلى أعدائه إيثارا للسحت العاجل على الخير الآجل . فحارب أولئك العدد الكثير ومعه من إخوته وأهله نيف وثمانون نفسا فثبت في ذلك الموقف ثباتا باهرا مع كثرة أعدائه وعددهم ووصـول سـهامهم ورماحهم إليه . ولما حمل عليهم وسيفه مصلت في يده أنشد يقول . (أنا ابن علي الحبر من آل هاشم % كفانـي بهذا مفخرا حين أفخر) . (وجدي رسول ا أكرم من مشى % ونحن سراج ا في الناس يزهر) . (وفاطمة أمي سـلالة أحمـد % وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر) . (وفينا كتاب ا أنزل صادقا % وفينا الهدى والوحي والخير يذكر) . ولـولا مـا كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه إذ هو الشجاع القرم الذي لا يزول ولا يتحول . ولما منعوه وأصـحابه المـاء ثلاثا قال له بعضهم انظر إليه كأنه كبد السماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا . فقال له الحسين اللهم اقـتله عطشا . فلم يرو مع كثرة شربه للماء حتى مات عطشا . ودعا الحسين بماء ليشربه فحال رجل بينه وبينه بسهم ضربه فأصـاب حنكه فقال اللهم أظمئه . فصار يصيح الحر في بطنه والبرد في ظهره وبين يديه الثلة والمراوح وخلفه الكافور وهو يصـيح العطش فيؤتى بسويق وماء ولبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشربه ثم يصيح فيسقى كذلك إلى أن انقد بطنه . ولما استحر القتل باهله فإنهم لا يزالوا يقتلون منهم واحدا بعد واحد حتى قتلوا ما يزيد على الخمسين صاح الحسين أما ذاب يذب عن حريم رسـول ا فحينئذ خرج يزيد بن الحارث الرياحي من عسكر أعدائه راكبا فرسه وقال يا ابن بنت رسول ا لئن كنت أول من خرج عليك فإنني الآن من حزبك لعلي أنال بذلك شفاعة جدك . ثم قاتل بين يديه حتى قتل فحمل عليه جمع كثيرون منهم حالوا بينه وبين حريمه فصاح كفوا سفهاءكم عن الأطفال والنساء . فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم حتى أثخنوه بالجراح وسقط إلى الأرض فحـزوا رأسه يوم عاشوراء عام إحدى وستين ولما وضع بين يدي عبيد ا بن زياد أنشد قاتله . (املأ ركابي فضة وذهبا % فقد قتلت الملك المحجبا) . (ومن يصلي القبلتين في الصبا % وخيرهم إذ يذكرون النسبا) . (قتلت خير الناس أما وأبا %) . فغضب ابن زياد من قوله وقال إذا علمت ذلك فلم قتلته وا لا نلت مني خيرا ولألحقنك به . ثم ضرب عنقه . وقتل معه من

اخوتـه وبنـي أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا وقيل أحد وعشرون . قال الحسن البصري ما كان على وجـه الأرض يومـئذ لهـم شبيه . ولما حمل رأسه لابن زياد جعله في طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول به في أنفه ويقـول مـا رأيـت مثل هذا حسنا إن كان لحسن الثغر . وكان عنده أنس فبكى وقال كان أشبههم برسول ا . رواه الترمذي وغيره . وروى ابن أبي الدنيا أنه كان عنده زيد بن أرقم فقال له ارفع قضيبك فوا لطالما رأيت رسول ا يقبل ما بين هاتين الشـفتين . ثم جعل زيد يبكي فقال ابن زياد . أبكى ا عينيك لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك . فنهض وهو يقول أيها الـناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة وا ليقتلن خياركم ويستعبدن شراركم فبعدا لمن رضي بالذلة والعـار . ثـم قال يا ابن زياد لأحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا رأيت رسول ا أقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على فخـذه اليسـرى ثـم وضع يده على يافوخهما ثم قال (اللهم إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين) فكيف كانت وديعة النبي عـندك يـا ابن زياد وقد انتقم ا من ابن زياد هذا فقد صح عند الترمذي أنه لما جيء برأسه ونصب في المسجد مع رؤوس أصـحابه جاءت حية فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منخره فمكثت هنيهة ثم خرجت ثم جاءت ففعلت كذلك مرتين أو ثلاثا . وكان نصبها في محل نصبه لرأس الحسين وفاعل ذلك به هو المختار بن أبي عبيد تبعه طائفة من الشيعة ندفعوا على خذلانهم للحسـين وأرادوا غسل العار عنهم ففرقة منهم تبعت المختار فملكوا الكوفة وقتلوا الستة آلاف الذين قاتلوا الحسين أقبح القتلات وقـتل رئيسـهم عمـر بن سعد وخص شمر قاتل الحسين على قول بمزيد نكال وأوطأوا الخيل صدره وظهره لأنه فعل ذلك بالحسـين وشـكر الناس للمختار ذلك لكنه أنبأ آخرا عن خبث قبيح حتى زعم أنه يوحى إليه وأن ابن الحنفية هو المهدي ولما نـزل ابن زياد الموصل في ثلاثين ألفا جهز له المختار سنة تسع وستين طائفة قتلوه هو وأصحابه على الفرات يوم عاشوراء وبعـث برؤوسهم للمختار فنصبت في المحل الذي نصب فيه رأس الحسين ثم حولت إلى ما مر حتى دخلتها تلك الحية . ومن عجيب الاتفاق قول عبد الملك بن عمير دخلت قصر الإمارة بالكوفة على ابن زياد والناس عنده سماطان ورأس الحسين رضي ا عنه على ترس على يمينه ثم دخلت على المختار فيه فوجدت رأس ابن زياد وعنده الناس كذلك ثم دخلت على مصعب بن الزبير فيه فوجدت رأس المختار عنده كذلك ثم دخلت على عبد الملك بن مروان فيه فوجدت عنده رأس مصعب كذلك فأخبرته بذلـك فقـال لا أراك ا الخامس ثم أمر بهدمه . ولما أنزل ابن زياد رأس الحسين وأصحابه جهزها مع سبايا آل الحسين إلى يـزيد فلمـا وصـلت إليه قيل إنه ترحم عليه وتنكر لابن زياد وأرسل برأسه وبقية بنيه إلى المدينة . وقال سبط ابن الجوزي وغـيره المشـهور أنه جمع أهل الشام وجعل ينكت الرأس بالخيزران وجمع بأنه أظهر الأول وأخفى الثاني بقرينة أنه بالغ في رفعـة ابن زياد حتى أدخله على نسائه . قال ابن الجوزي وليس العجب إلا من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب وحمل آل النبـي علـى أقتاب الجمال أي موثقين في الحبال والنساء مكشفات الرؤوس والوجوه وذكر أشياء من قبيح فعله . ولما وصلوا دمشـق أقيموا على درج الجامع حيث يقام الأسارى والسبي وقيل إن يزيد أرسل برأس الحسين ومن بقي من أهله إلى المدينة فكفن رأسه ودفن عند قبر أمه بقبة الحسن . وقيل أعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوما من قتله . وقيل بل كانت الرأس في خزانـته لأن سليمان بن عبد الملك رأى النبي في المنام يلاطفه ويبشره فسأل الحسن البصري عن ذلك فقال لعلك صنعت إلى آله معروفا . قال نعم وجدت رأس الحسين في خزانة يزيد فكسوته خمسة أثواب وصليت عليه مع جماعة من أصحابي وقبرته . فقـال له الحسـن هو ذلك سبب رضاه عليك . فأمر سليمان للحسن بجائزة سنية . ولما فعل يزيد برأس الحسين ما مر كان عـنده رسـول قيصر فقال متعجبا إن عندنا في بعض الجزائر في دير حافر حمار عيسى فنحن نحج إليه كل عام من الأقطار ونـنذر الـنذور ونعظمـه كما تعظمون كعبتكم فأشهد إنكم على باطل . وقال ذمي آخر بيني وبين داود سبعون أبا وإن اليهود تعظمنـي وتحترمني وأنتم قتلتم ابن نبيكم . ولما كانت الحرس على الرأس كلما نزلوا منزلا وضعوه على رمح وحرسوه فرآه راهـب في دير فسأل عنه فعرفوه به فقال بئس القوم أنتم لو كان للمسيح ولد لأسكناه أحداقنا بئس القوم أنتم هل لكم في عشرة آلاف دينار ويبيت الرأس عندي هذه الليلة . قالوا نعم فأخذه وغسله وطيبه ووضعه على فخذه فوجد منه نورا صاعدا إلى عنان السماء وقعد يبكي إلى الصبح ثم أسلم لأنه رأى نورا ساطعا من الرأس إلى السماء ثم خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل

البيت . وكان مع أولئك الحرس دنانير أخذوها من عسكر الحسين ففتحوا أكياسها ليقتسموها فرأوها خزفا وعلى أحد جانبي كل
مـنها (ولا تحسـبن ا غـافلا عما يعمل الظالمون) إبراهيم ٤٢ وعلى الآخر (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)
الشعراء ٢٢٧ وسيأتي في الخاتمة الكلام في أنه هل يجوز لعن يزيد أو يمتنع وسيق حريم الحسين إلى الكوفة كالأسارى فبكى
أهـل الكوفـة فجعل زين العابدين بن الحسين يقول ألا إن هؤلاء يبكون من أجلنا فمن ذا الذي قتلنا . وأخرج الحاكم من طرق
متعددة أنه قال (قال جبريل قال ا تعالى إني قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين الفا وإني قاتل بدم الحسين بن علي سبعين ألفا
) . ولـم يصب ابن الجوزي في ذكره لهذا الحديث في الموضوعات وقتل هذه العدة بسببه لا يستلزم أنها كعدد عدة المقاتلين له
فإن فتنته أفضت إلى تعصبات ومقاتلات تفي بذلك . وزين العابدين هذا هو الذي خلف أباه علما وزهدا وعبادة وكان إذا توضأ
للصـلاة اصـفر لونـه فقيل له في ذلك فقال ألا تدرون بين يدي من أقف . وحكي أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة
وحكـى ابـن حمـدون عن الزهري أن عبد الملك حمله مقيدا من المدينة بأثقلة من حديد ووكل به حفظة فدخل عليه الزهري
لوداعه فبكى وقال وددت أني مكانك . فقال أتظن أن ذلك يكربني لو شئت لما كان وإنه ليذكرني عذاب ا ثم أخرج رجليه من
القـيد ويديـه مـن الغـل ثم قال لا جزت معهم على هذا يومين من المدينة فما مضى يومان إلا وفقدوه حين طلع الفجر وهم
يرصـدونه فطلبوه فلم يجدوه قال الزهري فقدمت على عبد الملك فسألني عنه فأخبرته فقال قد جاء في يوم فقده الأعوان فدخل
علـي فقـال ما أنا وأنت فقلت أقم عندي . فقال لا أحب ثم خرج فوا لقد امتلأ قلبي منه خيفة . أي ومن ثم كتب عبد الملك
للحجـاج أن يجتنب دماء بني عبد المطلب وأمره بكتم ذلك فكوشف به زين العابدين فكتب إليه إنك كتبت للحجاج يوم كذا سرا
فـي حقـنا بنـي عبد المطلب بكذا وكذا وقد شكر ا لك ذلك وأرسل به إليه فلما وقف عليه وجد تاريخه موافقا لتاريخ كتابه
للحجـاج ووجد مخرج الغلام موافقا لمخرج رسوله للحجاج فعلم أن زين العابدين كوشف بأمره فسر به وأرسل إليه مع غلامه
بوقر راحلته دراهم وكسوة وسأله أن لا يخليه من صالح دعائه . وأخرج أبو نعيم والسلفي لما احج هشام بن عبدالملك في حياة
أبـيه أو الوليد لم يمكنه أن يصل للحجر من الزحام فنصب له منبر إلى جانب زمزم وجلس ينظر إلى الناس وحوله جماعة من
أعيان أهل الشام فبينا هو كذلك إذ أقبل زين العابدين فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال أهل الشام لهشام من
هذا قال لا أعرفه . مخافة أن يرغب أهل الشام في زين العابدين فقال الفرزدق أنا أعرفه ثم أنشد . (هذا الذي تعرف البطحاء
وطأته % والبيت يعرفه والحل والحرم) . (هذا ابن خير عباد ا كلهم % هذا التقي النقي الطاهر العلم) . (إذا رأته قريش
قـال قائلهـا % إلـى مكارم هذا ينتهي الكرم) . (ينمى إلى ذروة العز التي قصرت % عن نيلها عرب الإسلام والعجم) .
القصـيدة المشهورة ومنها . (هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله % بجده أنبياء ا قد ختموا) . (فليس قولك من هذا بضائره %
العـرب تعـرف مـن أنكرت والعجم) . ثم قال . (من معشر حبهم دين وبغضهم % كفر وقربهم منجى ومعتصم) . (لا
يسـتطيع جـواد بعـد غايـتهم % ولا يدانيهم قوم وإن كرموا) . فلما سمعها هشام غضب وحبس الفرزدق بعسفان بين مكة
والمديـنة وامر له زين العابدين باثني عشر ألف درهم وقال اعذر لو كان عندنا أكثر لوصلناك به فردها قال إنما امتدحه لا
لعطـاء . فقـال زيـن زين العابدين رضي ا عنه إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده . فقبلها الفرزدق ثم هجا هشاما في
الحبس فبعث فأخرجه . وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح حتى إنه سبه رجل فتغافل عنه فقال له إياك أعني .
فقال وعنك أعرض أشار إلى آخر (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) الأعراف ١٩٩ . وكان يقول ما يسرني
بنصـيبي من الذل حمر النعم . توفي وعمره سبع وخمسون منها سنتان مع جده علي ثم عشر مع عمه الحسن ثم إحدى عشرة
مـع أبيه الحسين . وقيل سمه الوليد بن عبد الملك ودفن بالبقيع عند عمه الحسن عن أحد عشر ذكرا وأربع إناث . وارثه منهم
عبادة وعلما وزهادة . أبو جعفر محمد الباقر سمي بذلك من بقر الأرض أي شقها وأثار مخبئاتها ومكامنها فكذلك هو أظهر من
مخبئات كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية السريرة ومن
ثـم قـيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه وعمرت أوقاته بطاعة ا وله من الرسوخ في مقامات العارفين ما تكل عنه
ألسنة الواصفين وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة وكفاه شرفا أن ابن المديني روى عن جابر أنه

قـال له وهو صغير رسول ا يسلم عليك فقيل له وكيف ذاك قال كنت جالسا عنده والحسين في حجره وهو يداعبه فقال (يا جابـر يولـد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين . فيقوم ولده ثم يولد له ولد اسمه محمد فإن أدركـته يا جابر فأقرئه مني السلام) . توفي سنة سبع عشرة ومئة عن ثمان وخمسين سنة مسموما كأبيه وهو علوي من جهة أبـيه وأمـه ودفن أيضا في قبة الحسن والعباس بالبقيع وخلف ستة أولاد أفضلهم وأكملهم . جعفر الصادق ومن ثم كان خليفته ووصـيه ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سـعيد وابن جريج والسفيانين وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السختياني . وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر كما مر . وسعي به عند المنصور لما حج فلما حضر الساعي به يشهد قال له أتحلف قال نعم . فحلف با العظيم إلى آخره فقال أحلفه يا أمـير المؤمنين بما أراه فقال له حلفه فقال له قل برئت من حول ا وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا وقـال كـذا وكذا فامتنع الرجل ثم حلف فما تم حتى مات مكانه . فقال أمير المؤمنين لجعفر لا بأس عليك أنت المبرأ الساحة المأمون الغائلة ثم انصرف فلحقه الربيع بجائزة حسنة وكسوة سنية وللحكاية تتمة . ووقع نظير هذه الحكاية ليحيى بن عبد ا المحـض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بأن شخصا زبيريا سعى به للرشيد فطلب تحليفه فتلعثم فزبره الرشيد فتولى يحيى تحلـيفه بذلك فما أتم يمينه حتى اضطرب وسقط لجنبه فأخذوا برجله وهلك فسأل الرشيد يحيى عن سر ذلك فقال تمجيد ا في اليميـن يمنع المعاجلة بالعقوبة . وذكر المسعودي أن هذه القصة كانت مع أخي يحيى هذا الملقب بموسى الجون وأن الزبيرى سـعى بـه للرشيد فطال الكلام بينهما ثم طلب موسى تحليفه فحلفه بنحو ما مر فلما حلف قال موسى ا أكبر حدثني أبي عن جـدي عـن أبيه عن جده علي أن النبي قال (ما حلف أحد بهذه اليمن أي وهي تقلدت الحول والقوة دون حول ا وقوته إلى حولي وقوتي ما فعلت كذا وهو كاذب إلا عجل ا له العقوبة قبل ثلاث) وا ما كذبت ولا كذبت فوكل علي يا أمير المؤمنين فـإن مضـت ثلاث ولم يحدث بالزبيري حادث فدمي لك حلال . فوكل به . فلم يمض عصر ذلك اليوم حتى أصاب الزبيري جـذام فـتورم حتى صار كالزق فما مضى إلا قليل وقد توفي ولما أنزل في قبره انخسف قبره وخرجت رائحة مفرطة النتن فطرحـت فيه أحمال الشوك فانخسف ثانيا فأخبر الرشيد بذلك فزاد تعجبه ثم أمر لموسى بألف دينار وسأله عن سر تلك اليمين فروى له حديثا عن جده علي عن النبي (ما من أحد يحلف بيمين مجد ا فيها إلا استحيا من عقوبته وما من أحد حلف بيمين كاذبـة نـازع ا فيها حوله وقوته إلا عجل ا له العقوبة قبل ثلاث) . وقتل بعض الطغاة مولاه فلم يزل ليلته يصلي ثم دعا عليه عند السحر فسمعت الأصوات بموته . ولما بلغه قول الحكم بن العباس الكلبي في عمه زيد . (صلبنا لكم زيدا على جذع نخلـة % ولم نر مهديا على الجذع يصلب) . قال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه الأسد . ومن مكاشفاته أن ابن عمه عـبد ا المحـض كان شيخ بني هاشم وهو والد محمد الملقب بالنفس الزكية ففي آخر دولة بني أمية وضعفهم أراد بنو هاشم مبايعة محمد وأخيه وأرسلوا لجعفر ليبايعهما فامتنع فاتهم أنه يحسدهما فقال وا ليست لي ولا لهما إنها لصاحب القباء الأصفر ليلعبـن بها صبيانهم وغلمانهم . وكان المنصور العباسي يومئذ حاضرا وعليه قباء أصفر فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى ملكـوا . وسـبق جعفرا إلى ذلك والده الباقر فإنه أخبر المنصور بملك الأرض شرقها وغربها وطول مدته فقال له وملكنا قبل ملككـم قال نعم . قال ويملك أحد من ولدي قال نعم . قال فمدة بني أمية أطول أم مدتنا قال مدتكم وليلعبن بهذا الملك صبيانكم كمـا يلعـب بالكرة هذا ما عهد إلي أبي فلما أفضت الخلافة للمنصور بملك الأرض تعجب من قول الباقر . وأخرج أبو القاسم الطـبري من طريق ابن وهب قال سمعت الليث ابن سعد يقول حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر في المسجد رقيت أبا قبيس فإذا رجل جالس يدعو فيقول يا رب يا رب حتى انقطع نفسه ثم قال يا حي يا حي حتى انقطع نفسه ثم قال إلهي إنـي أشـتهي العنب فأطعمنيه اللهم وإن برداي قد خلقا فاكسني . قال الليث فوا ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنـبا ولـيس على الأرض يومئذ عنب وإذا بردان موضوعان لم أر مثلهما في الدنيا فأراد أن يأكل فقلت أنا شريكك فقال ولم فقلت لأنك دعوت وكنت أؤمن فقال تقدم وكل . فتقدمت وأكلت عنبا لم آكل مثله قط ما كان له عجم فأكلنا حتى شبعنا ولم تتغير السـلة فقـال لا تدخر ولا تخبىء منه شيئا ثم أخذ أحد البردين ودفع إلي الآخر فقلت أنا لي غنى عنه فائتزر بأحدهما وارتدى

بالآخـر ثم أخذ برديه الخلقين فنزل وهما بيده فلقيه رجل بالمسعى فقال له اكسني يا ابن رسول ا مما كساك ا فإنني عريان فدفعهما إليه فقلت من هذا قال جعفر الصادق فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئا فلم أقدر عليه . انتهى . توفي سنة أربع وثمانين ومائة مسموما أيضا على ما حكي وعمره ثمان وستون سنة ودفن بالقبة السابقة عند أهله عن ستة ذكور وبنت . منهم . موسى الكـاظم وهو وارثه علما ومعرفة وكمالا وفضلا سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه وكان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائـج عند ا وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم . وسأله الرشيد كيف قلتم إنا ذرية رسول ا وأنتم أبناء علي فتلا (ومـن ذريته داود وسليمان) إلى أن قال (وعيسى) الأنعام ٨٤ وليس له أب وأيضا قال تعالى (فمن حاجك فيه من بعدما جـاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) آل عمران ٦١ الآية ولم يدع النبي عند مباهلته النصارى غير علي وفاطمة والحسـن والحسين رضي ا عنهم فكان الحسن والحسين هما الأبناء . ومن بديع كراماته ماحكاه ابن الجوزي والرامهرمزي وغيرهما عن شقيق البلخي أنه خرج حاجا سنة تسع وأربعين ومائة فرآه بالقادسية منفردا عن الناس فقال في نفسه هذا فتى من الصـوفية يـريد أن يكون كلا على الناس لأمضين إليه ولأوبخنه فمضى إليه فقال يا شقيق (اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعد الظن إثم) الحجرات ١٢ الآية فأراد أن يحا فغاب عن عينيه فما رآه إلا بواقصة يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر فجـاء إليه ليعتذر فخفف في صلاته وقال (وإني لغفار لمن تاب وآمن) طه ٢٨ الآية فلما نزلوا زبالة رآه على بئر فسقطت ركوتـه فيها فدعا فطغى الماء له حتى أخذها فتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فطرح منها فيها وشرب فقال لـه أطعمنـي مـن فضل ما رزقك ا تعالى . فقال يا شقيق لم تزل نعم ا علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك فناولنيها فشربت منها فإذا سويق وسكر ما شربت وا ألذ منه ولا أطيب ريحا فشبعت ورويت وأقمت أياما لا أشتهي شرابا ولا طعاما ثـم لـم أره إلا بمكة وهو بغلمان وغاشية وأمور علىخلاف ما كان عليه بالطريق . ولما حج الرشيد سعي به إليه وقيل له إن الأموال تحمل إليه من كل جانب حتى اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فقبض عليه وأنفذه لأميره بالبصرة عيسى بن جعفر بن منصـور فحبسه سنة ثم كتب له الرشيد في دمه فاستعفى وأخبر أنه لم يدع على الرشيد وأنه إن لم يرسل من يتسلمه وإلا خلى سبيله فبلغ الرشيد كتابه فكتب للسندي بن شاهك بتسلمه وأمره فيه بأمر فجعل له سما في طعامه وقيل في رطب فتوعك ومات بعـد ثلاثـة أيام وعمره خمس وستون سنة . وذكره المسعودي أن الرشيد رأى عليا في النوم معه حربة وهو يقول إن لم تخل عـن الكاظم وإلا نحرتك بهذه . فاستيقظ فزعا وأرسل في الحال والي شرطته إليه بإطلاقه وأن يدفع له ثلاثين ألف درهم وأنه يخـيره بيـن المقام فيكرمه أو الذهاب إلى المدينة ولما ذهب إليه قال له رأيت منك عجبا وأخبره أنه رأى النبي وعلمه كلمات قالها فما فرغ منها إلا وأطلق . قيل وكان موسى الهادي حبسه أولا ثم أطلقه لأنه رأى عليا رضي ا عنه يقول (فهل عسيتم إن توليـتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) محمد ٢٢ فانتبه وعرف أنه المراد فأطلقه ليلا . قال له الرشيد حين رآه جالسـا عند الكعبة أنت الذي تبايعك الناس سرا فقال أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم . ولما اجتمعا أمام الوجه الشريف على صـاحبه أفضـل الصلاة والسلام قال الرشيد السلام عليك يا ابن عم . مسمعا من حوله فقال الكاظم السلام عليك يا أبت . فلم يحـتملها وكانـت سببا لإمساكه له وحمله معه إلى بغداد وحبسه فلم يخرج من حبسه إلا ميتا مقيدا ودفن جانب بغداد الغربي . وظاهـر هذه الحكايات التنافي إلا أن يحمل على تعدد الحبس وكانت أولاده حين وفاته سبعة وثلاثين ذكرا وأنثى منهم . علي الرضى وهو أنبههم ذكرا وأجلهم قدرا ومن ثم أحله المأمون محل مهجته وأشركه في مملكته وفوض إليه أمر خلافته فإنه كتب بيده كتابا سنة إحدى ومائتين بأن عليا الرضى ولي عهده وأشهد عليه جمعا كثيرين . لكنه توفي قبله فأسف عليه كثيرا . وأخبر قـبل موتـه بأنه يأكل عنبا ورمانا مبثوثا ويموت وأن المأمون يريد دفنه خلف الرشيد فلم يستطع فكان ذلك كله كما أخبر به . ومن مواليه معروف الكرخي أستاذ السري السقطي لأنه أسلم على يديه . وقال لرجل يا عبد ا ارض بما يريد واستعد لما لا بد منه فمات الرجل بعد ثلاثة أيام . رواه الحاكم . وروى الحاكم عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال رأيت النبي في المنام فـي المـنزل الذي ينزل الحجاج ببلدنا فسلمت عليه فوجدت عنده طبقا من خوص المدينة فيه تمر صيحاني فناولني منه ثماني عشـرة فـتأولت أن أعيش عدتها فلما كان بعد عشرين يوما قدم أبو الحسن علي الرضا من المدينة ونزل ذلك المسجد وهرع

الـناس بالسلام عليه فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي جالسا فيه وبين يديه طبق من خوص المدينة فـيه تمـر صيحاني فسلمت عليه فاستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر فإذا عدتها بعدد ما ناولني النبي في النوم فقلت زدني فقـال لو زادك رسول ا لزدناك . ولما دخل نيسابور كما في تاريخها وشق سوقها وعليه مظلة لا يرى من ورائها تعرض له الحافظـان أبو زرعـة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى فتضرعا إليه أن يريهم وجهـه ويـروي لهم حديثا عن آبائه فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكف المظلة وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة فكانت له ذؤابتان مدليتان على عاتقه والناس بين صارخ وباك ومتمرغ في التراب ومقبل لحافر بغلته فصاحت العلماء معاشر الناس أنصتوا فأنصتوا واستملى منه الحافظان المذكوران فقال حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب رضي ا عنهم قال حدثني حبيبي وقرة عيني رسول ا قـال (حدثني جبريل قال سمعت رب العزة يقول لا إله إلا ا حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي) . ثم أرخى الستر وسار فعد أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا . وفي رواية أن الحديث المـروي (الإيمـان معـرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان) . ولعلهما واقعتان قال أحمد لو قرأت هذا الإسناد على مجـنون لبرىء من جنته . ونقل بعض الحفاظ أن امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل فسأل عمن يخبره بذلك فدل على علي الرضى فجاء فأجلسه معه على السرير وسأله فقال إن ا حرم لحم أولاد الحسين على السباع فلتلق للسباع فعرض عليها بذلك فاعترفت بكذبها ثم قيل للمتوكل ألا تجرب ذلك فيه فأمر بثلاثة من السباع فجيء بها في صحن قصره ثم دعاه فلما دخل بابـه أغلق عليه والسباع قد أصمت الأسماع من زئيرها فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشت إليه وقد سكنت وتمسحت به ودارت حولـه وهـو يمسحها بكمه ثم ربضت فصعد للمتوكل وتحدث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج فأتـبعه المتوكل بجائزة عظيمة فقيل للمتوكل افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه وقال أتريدون قتلي ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك . ونقل السعودي أن صاحب هذه القصة هو ابن ابن علي الرضى هو علي العسكري وصوب لأن الرضى توفي في خلافة المـأمون اتفاقا ولم يدرك المتوكل . وتوفي رضي ا عنه وعمره خمس وخمسون سنة عن خمسة ذكور وبنت أجلهم . محمد الجـواد لكنه لم تطل حياته . ومما اتفق له أنه بعد موت أبيه بسنة واقف والصبيان يلعبون في أزقة بغداد إذ مر المأمون ففروا ووقـف محمـد وعمـره تسع سنين فألقى ا محبته في قلبه فقال له يا غلام ما منعك من الانصراف فقال له مسرعا يا أمير المؤمنيـن لـم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك وليس لي جرم فأخشاك والظن بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له . فأعجبه كلامـه وحسـن صورته فقال له ما اسمك واسم أبيك فقال محمد بن علي الرضى . فترحم على أبيه وساق جواده . وكان معه بـزاة للصيد فلما بعد عن العمار أرسل بازه على دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو في منقاره سمكة صغيرة وبها بقاء الحياة فتعجب من ذلك غاية العجب ورجع فرأى الصبيان على حالهم ومحمد عندهم ففروا إلا محمدا فدنا منه وقال له ما في يدي فقال يـا أمـير المؤمنين إن ا تعالى خلق في بحر قدرته سمكا صغارا يصيدها بازات الملوك والخلفاء فيختبر بها سلالة أهل بيت المصـطفى . فقال له أنت ابن الرضى حقا وأخذه معه وأحسن إليه وبالغ في إكرامه فلم يزل مشفقا به لما ظهر له بعد ذلك من فضـله وعلمـه وكمـال عظمـته وظهور برهانه مع صغر سنه وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل وصمم على ذلك فمنعه العباسـيون مـن ذلك خوفا من أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه على كافة أهل الفضل علما ومعـرفة وحلما مع صغر سنه فنازعوا في اتصاف محمد بذلك ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره فأرسلوا إليه يحيى بـن أكثم ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمدا فحضروا للخليفة ومعهم ابن أكثم وخواص الدولة فأمر المأمون بفرش حسن لمحمد فجلس عليه فسأله يحيى مسائل أجابه عنها بأحسن جواب وأوضحه فقال له الخليفة أحسنت أبا جعفر فإن أردت أن تسأل يحـيى ولـو مسألة واحدة فقال له ما تقول في رجل نظر إلى امرأة أول النهار حراما ثم حلت له ارتفاعه ثم حرمت عليه عند الظهـر ثم حلت له عند العصر ثم حرمت عليه المغرب ثم حلت له العشاء ثم حرمت عليه نصف الليل ثم حلت له الفجر فقال يحـيى لا أدري . فقـال له محمد هي أمة نظرها أجنبي بشهوة وهي حرام ثم اشتراها ارتفاع النهار فأعتقها الظهر وتزوجها

العصـر وظاهـر منها المغرب وكفر العشاء وطلقها رجعيا نصف الليل وراجعها الفجر . فعند ذلك قال المأمون للعباسيين قد عرفتم ما كنتم تنكرون . ثم زوجه في ذلك المجلس بنته أم الفضل ثم توجه بها إلى المدينة فأرسلت تشتكي منه لأبيها أنه تسرى علـيها فأرسـل إليها أبوها إنا لم نزوجك له لنحرم عليه حلالا فلا تعودي لمثله ثم قدم بها بطلب من المعتصم لليلتين بقيتا من المحـرم سـنة عشـرين ومائتيـن وتوفي فيها في آخر ذي القعدة ودفن في مقابر قريش في ظهر جده الكاظم وعمره خمس وعشـرون سـنة ويقال إنه سم أيضا عن ذكرين وبنتين أجلهم . علي العسكري سمي بذلك لأنه لما وجه لإشخاصه من المدينة النـبوية إلـى سـر من رأى وأسكنه بها وكانت تسمى العسكر فعرف بالعسكري وكان وارث أبيه علما وسخاء ومن ثم جاءه أعرابي من أعراب الكوفة وقال إني من المتمسكين بولاء جدك وقد ركبني دين أثقلني حمله ولم أقصد لقضائه سواك . فقال كم دينك قال عشرة آلاف درهم فقال طب نفسا بقضائه إن شاء ا تعالى ثم كتب له ورقة فيها ذلك المبلغ دينا عليه وقال له ائتني بـه فـي المجلس العام وطالبني بها وأغلظ علي في الطلب ففعل فاستمهله ثلاثة أيام فبلغ ذلك المتوكل فأمر له بثلاثين ألفا فلما وصـلته أعطاها الأعرابي فقال يا ابن رسول ا إن العشرة آلاف أقضي بها أربي . فأبى أن يسترد منه من الثلاثين ألف شيئا فولى الأعرابي وهو يقول ا أعلم حيث يجعل رسالته . ومر أن الصواب في قصة السباع الواقعة من المتوكل أنه هو الممتحن بهـا وأنها لم تقربه بل خضعت واطمأنت لما رأته ويوافقه ما حكاه المسعودي وغيره أن يحيى بن عبد ا المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط لما هرب إلى الديلم ثم أتي به إلى الرشيد وأمر بقتله ألقي في بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكلـه ولاذت بجانـبه وهابـت الدنو منه فبني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي . توفي رضي ا عنه بسر من رأى في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن بداره وعمره أربعون سنة وكان المتوكل أشخصه من المدينة إليها سنة ثلاث وأربعين فأقام بها إلى أن قضى عن أربعة ذكور وأنثى أجلهم . أبو محمد الحسن الخالص وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ووقع لبهلول معه أنه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما في أيديهم فقال اشتري لك ما تلعب به فقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا . فقال له فلماذا خلقنا قال للعلم والعبادة . فقال له من أين لك ذلك قـال مـن قـول ا عز وجل (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) المؤمنون ١١٥ ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبـيات ثـم خـر الحسن مغشيا عليه فلما أفاق قال له ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك فقال إليك عني يا بهلول إني رأيت والدتـي توقـد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب نار جهنم . ولما حبس قحط الـناس بسـر من رأى قحطا شديدا فأمر الخليفة المعتمد ابن المتوكل بالخروج للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يسقوا فخرج النصارى ومعهـم راهب كلما مد يده إلى السماء هطلت ثم في اليوم الثاني كذلك فشك بعض الجهلة وارتد بعضهم فشق ذلك على الخليفة فأمر بإحضار الحسن الخالص وقال له أدرك أمة جدك رسول ا قبل أن يهلكوا فقال الحسن يخرجون غدا وأنا أزيل الشك إن شاء ا وكلم الخليفة في إطلاق أصحابه من السجن فأطلقهم فلما خرج الناس للاستسقاء ورفع الراهب يده مع النصارى غيمت السـماء فأمـر الحسـن بالقبض على يده فإذا فيها عظم آدمي فأخذه من يده وقال استسق فرفع يده فزال الغيم وطلعت الشمس فعجـب الـناس من ذلك فقال الخليفة للحسن ما هذا يا أبا محمد فقال هذا عظم نبي ظفر به هذا الراهب من بعض القبور وما كشف من عظم نبي تحت السماء إلا هطلت بالمطر فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال وزالت الشبهة عن الناس . ورجع الحسن إلـى داره . وأقـام عزيزا مكرما وصلات الخليفة تصل إليه كل وقت إلى أن مات بسر من رأى ودفن عند أبيه وعمه وعمره ثمانـية وعشـرون سنة ويقال إنه سم أيضا . ولم يخلف غير ولده . أبي القاسم محمد الحجة وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكـن آتـاه ا فـيها الحكمة ويسمى القائم المنتظر . قيل لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب . ومر في الآية الثانية عشـرة قول الرافضة فيه أن المهدي وأوردت ذلك مبسوطا فراجعه فإنه مهم / الخاتمة في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصـحابة رضـوان ا علـيهم وفي قتال معاوية وعلي وفي حقية خلافة معاوية بعد نزول الحسن له عن الخلافة وفي بيان اخـتلافهم في كفر ولده يزيد وفي جواز لعنه وفي توابع وتتمات تتعلق بذلك / . وإنما افتتحت هذا الكتاب بالصحابة وختمته بهم إشـارة إلـى أن المقصود بالذات من تأليفه تبرئتهم عن جميع ما افتراه عليهم أو على بعضهم من غلبت عليهم الشقاوة وترددوا

بأرديـة الحماقة والغباوة ومرقوا من الدين واتبعوا سبيل الملحدين وركبوا متن عمياء وخبطوا خبط عشواء فباؤا من ا بعظيم الـنكال ووقعـوا فـي أهوية الوبال والضلال ما لم يدراكهم ا بالتوبة والرحمة فيعظموا خير الأمم وهذه الأمة أماتنا ا على محبتهم وحشرنا في زمرتهم آمين . اعلم أن الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب علىكل أحد تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عيلهم فقد أثنى ا سبحانه وتعالى عليهم في آيات من كتابه . منها قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران ١١٠ فأثبت ا لهم الخيرية على سائر الأمم ولا شيء يعادل شهادة ا لهم بذلك لأنه تعالى أعلم بعباده وما انطووا عليه من الخيرات وغيرها بل لا يعلم ذلك غيره تعالى فإذا شهد تعالى فيهم بأنهم خير الأمم وجب على كل أحد اعتقاد ذلك والإيمان به وإلا كان مكذبا في إخباره ولا شك أن من ارتاب في حقية شيء مما أخبر ا أو رسـوله بـه كان كافرا بإجماع المسلمين . ومنها قوله تعالى (وكذاك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) البقرة ١٤٣ والصحابة في هذه الآية والتي قبلها هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسول ا حقيقة فانظر إلى كونه تعالى خلقهم عـدولا وخيارا ليكونوا شهداء على بقية الأمم يوم القيامة وحينئذ فكيف يستشهد ا تعالى بغير عدول أو بمن ارتدوا بعد وفاة نبـيهم إلا نحـو ستة أنفس منهم كما زعمته الرافضة قبحهم ا ولعنهم وخذلهم ما أحمقهم وأجهلهم وأشهدهم بالزور والافتراء والبهتان . ومنها قوله تعالى (يوم لا يخزي ا النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) التحريم ٨ فآمنهم ا من خزيه ولا يأمن من خزيه في ذلك اليوم إلا الذين ماتوا وا سبحانه ورسوله عنهم راض فأمنهم من الخزي صريح في موتهم على كمال الإيمان وحقائق الإحسان وفي أن ا لم يزل راضيا عنهم وكذاك رسول ا . ومنها قوله تعالى (لقد رضي ا عـن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) الفتح ١٨ فصرح تعالى برضاه عن أولئك وهم ألف ونحو أربعمائة ومن رضي ا عـنه تعالى لا يمكن موته على الكفر لأن العبرة بالوفاة على الإسلام فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر ا تعالى بأنه رضي عنه فعلم أن كلا من هذه الآياة وما قبلها صريح فـي رد مـا زعمه وافتراه أولئك الملحدون الجاحدون حتى للقرآن العزيز إذ يلزم من الإيمان به الإيمان بما فيه وقد علمت أن الـذي فـيه أنهـم خير الأمم وأنهم عدول أخيار وأن ا لا يخزيهم وأنه راض عنهم فمن لم يصدق بذلك فيهم فهو مكذب لما فـيالقرآن ومن كذب بما فيه مما لا يحتمل التأويل كان كافرا جاحدا ملحدا مارقا . ومنها قوله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجريـن والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي ا عنهم ورضوا عنه) التوبة ١٠٠ وقوله تعالى (يا أيها النبي حسبك ا ومن اتبعك من المؤمنين) الأنفال ٦٤ وقوله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من ا ورضوانا وينصرون ا ورسوله أولئك هم الصادقون (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجـدون فـي صـدورهم حاجـة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحـون) (والذيـن جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمـنوا ربنا إنك رءوف رحيم) ٨-١٠ الحشد . فتأمل ما وصفهم ا به من هذه الآية تعلم به ضلال من طعن فيهم من شذوذ المبتدعة ورماهم بما هم بريئون منه . ومنها قوله تعالى (محمد رسول ا والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعـا سـجدا يبـتغون فضلا من ا ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد ا الذين آمنوا وعملوا الصالحات مـنهم مغفرة وأجرا عظيما) الفتح ٢٩ فانظر إلى عظيم ما اشتملت عليه هذه الآية فإن قوله تعالى (محمد رسول ا) جملة مبينة للمشهود به في قوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) إلى قوله (شهيدا) الفتح ٢٨ ففيها ثناء عظيم على رسـوله ثـم ثنى بالثناء على أصحابه بقوله (والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) كما قال تعالى (فسوف يأتي ا بقـوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل ا ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل ا يؤتيه مـن يشاء وا واسع عليم) المائدة ٥٤ فوصفهم ا تعالى بالشدة والغلاظة على الكفار وبالرحمة والبر والعطف على المؤمنين والذلـة والخضـوع لهـم ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص التام وسعة الرجاء في فضل ا ورحمته بابتغائهم فضله

ورضوانه وبأن آثار ذلكالإخلاص وغيره من أعمالهم الصالحة ظهرت على وجوههم حتى إن من نظر إليهم بهره حسن سمتهم وهديهم ومن ثم قال مالك رضي ا تعالى عنه بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا وا لهؤلاء خـير مـن الحواريـن فيما بلغنا . وقد صدقوا في ذلك فإن هذه الأمة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتـب كمـا قال ا تعالى في هذه الآية (ذلك مثلهم) أي وصفهم في التوراة ومثلهم أي وصفهم يف الإنجيل كزرع أخرج شـطأه أي فراخه فآزره أي شده وقواه فاستغلظ أي شب فطال فكذلك أصحاب محمد آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مـع الزرع ليغيظ بهم الكفار . ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك في رواية عنه بكفر الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لأن الصـحابة يغـيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر . وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية ومن ثم وافقه الشافعي رضي ا تعالى عنهما في قوله بكفرهم ووافقه أيضا جماعه من الأئمة . والأحاديث في فضل الصحابة كثيرة وقد قدمنا معظمها في أول هـذا الكـتاب ويكفيهم شرفا أي شرف ثناء ا عليهم في تلك الآيات كما ذكرناه وفي غيرها ورضاه عنهم وأنه تعالى وعدهم جميعهم لا بعضهم إذ من في منهم لبيان الجنس لا للتبعيض مغفرة وأجرا عظيما ووعد ا صدق وحق لا يتخلف ولا يخلف لا مـبدل لكلماتـه وهو السميع العليم . فعلم أن جميع ما قدمناه من الآيات هنا ومن الأحاديث الكثيرة الشهيرة في المقدمة يقتضي القطـع بـتعديلهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل ا له إلى تعديل أحد من الخلق على أنه لو لم يرد من ا ورسوله فيهم شيء ممـا ذكـرناه لأوجبـت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام ببذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصـحة فـي الديـن وقوة الإيمان واليقين القطع بتعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله ولم يخالف فيه إلا شذوذ من المبتدعة الذين ضلوا وأضلوا فلا يلتفت إليهم ولا يعول عليهم وقد قال إمام عصره أبو زرعة الرازي من أجل شيوخ مسلم إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول ا فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول حق والقرآن حق ومـا جاء به حق وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة فيكون الجرح به ألصق والحكم علـيه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق . وقال ابن حزم الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا قال تعالى (لا يسـتوي مـنكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد ا الحسنى) الحديد ١٠ . وقـال تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الأنبياء ١٠١ فثبت أن جميعهم من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية الأولى التي أثبت لكل منهم الحسنى وهي الجنة ولا يتوهم أن التقييد بالإنفاق أو القـتال فـيها وبالإحسـان في الذين اتبعوهم بإحسان يخرج من لم يتصف بذلك منهم لأن تلك القيود خرجت مخرج الغالب فلا مفهـوم لها على أن المراد من اتصف بذلك ولو بالقوة أو العزم وزعم الماوردي اختصاص الحكم بالعدالة بمن لازمه ونصره دون من اجتمع به يوما أو لغرض غير موافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء قال شيخ الإسلام العلائي هو قول غريب يخرج كثيرا من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل بن حجر ومالك بن الحويرث وعثمان بن أبي العاص وغـيرهم ممـن وفد عليه ولم يقم عنده إلا قليلا وانصرف والقول بالتعميم هو الذي صرح به الجمهور وهو المعتبر . انتهى . وممـا رد به عليه أن تعظيم الصحابة وإن قل اجتماعهم به كان مقررا عند الخلفاء الراشدين وغيرهم وقد صح عن أبي سعيد الخـدري أن رجـلا من أهل البادية تناول معاوية في حضرته وكان متكئا فجلس ثم ذكر أنه وأبا بكر ورجلا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد ا الحسنى) الحديد ١٠ من أهل البادية نـزلوا علـى أبـيات فيهم امرأة حامل فقال البدوي لها أبشرك أن تلدي غلاما . قالت نعم . قال إن أعطيتني شاة ولدت غلاما فأعطته فسمع لها اسجاعا ثم عمد إلى الشاة فذبحها وطبخها وجلسنا نأكل منها ومعنا أبو بكر فلما علم القصة قام فتقيأ كل شيء أكـل قـال ثم رأيت ذلك البدوي قد أتي به عمر وقد هجا الأنصار فقال لهم عمر لولا أن له صحبة من رسول ا ما أدري ما قـال فيها لكفيتكموه . انتهى . فانظر توقف عمر عن معاتبته فضلا عن معاقبته لكونه علم أنه لقي النبي تعلم أن فيه أبين شاهد علـى أنهـم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء كما ثبت في الصحيحين من قوله (والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مـثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) . وتواتر عنه قوله (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم) . وصح أنه قال (إن

الله اخـتار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين) وفي رواية (أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عـز وجل) . واعلم أنه وقع خلاف في التفضيل بين الصحابة ومن جاء بعدهم من صالحي هذه الأمة فذهب أبو عمر بن عبد الـبر إلى أنه يوجد فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة واحتج على ذلك بخبر (طوبى لمن رآني وآمن بـي مـرة وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات) . وبخبر عمر رضي الله تعالى عنه قال كنت جالسا عند النبي فقال (أتـدرون أي الخلـق أفضل إيمانا) قلنا الملائكة . قال (وحق لهم بل غيرهم) قلنا الأنبياء قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال (أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم أفضل الخلق إيمانا) . وبحديث (مثل أمتي مثل المطر لا يـدرى آخره خير أم أوله) . وبخبر (ليدركن المسيح أقواما إنهم لمثلكم أو خير ثلاثا ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها) . وبخبر (يأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين) . قيل منهم أو منا يا رسول الله قال (بل منكم) وبما روى أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم أن أكتب لي بسيرة عمر فأنت أفضل مـن عمر لأن زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر وكتب إلى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم . قال أبو عمـر فهـذه الأحاديـث تقتضـي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل إلا أهل بدر والحديبـية قـال وخبر (خير الناس قرني) ليس على عمومه لأنه جمع المنافقين وأهل الكبائر الذين قام عليهم وعلى بعضهم الحـدود انـتهى . والحديث الأول لا شاهد فيه للأفضلية والثاني ضعيف فلا يحتج به لكن صحح الحاكم وحسن غيره خبر يا رسـول الله هل أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك قال (قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني) . والجواب عنه وعـن الحديـث الثالـث فإنه حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى درجة الصحة وعن الحديث الرابع فإنه حسن أيضا وعن الحديث الخامس الذي رواه أبو داود والترمذي أن المفضول قد يكون فيه مزية لا توجد في الفاضل . وأيضا مجرد زيادة الأجر لا تستلزم الأفضلية المطلقة . وأيضا الخيرية بينهما إنما هي باعتبار ما يمكن أن يجتمعا فيه وهو عموم الطاعات المشتركة بين سـائر المؤمنين فلا يبعد حينئذ تفضيل بعض من يأتي على بعض الصحابة في ذلك . وأما ما اختص به الصحابة رضوان الله عليهم وفازوا به من مشاهدة طلعته ورؤية ذاته المشرفة المكرمة فأمر من وراء العقل إذ لا يسع أحد أن يأتي من الأعمال وإن جات بما يقارب ذلك فضلا عن أن يماثله ومن ثم سئل عبد الله ابن المبارك وناهيك به جلالة وعلما أيما أفضل معاوية أو عمر بـن عـبد العزيز فقال الغبار الذي دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله خير من عمر ابن عبد العزيز كذا وكذا مرة . أشار بذلك إلى أن فضيلة صحبته ورؤيته لا يعدلها شيء وبذلك علم الجواب عن استدلال أبي عمر بقضية عمر بن عبد العزيز وأن قول أهل زمنه له أنت أفضل من عمر . إنما هو بالنسبة لما تساويا فيه إن تصور من العدل في الرعية وأما من حيث الصحبة وما فاز به عمر من حقائق القرب ومزايا الفضل والعلم والدين التي شهد له بها النبي فأنى لابن عبد العزيز وغيره وأن يلحقوه فـي ذرة من ذلك . فالصواب ما قاله جمهور العلماء سلفا وخلفا لما يأتي وعلم من قول أبي عمر إلا أهل بدر والحديبية . أن الكـلام فـي غير أكابر الصحابة ممن لم يفز إلا بمجرد رؤيته وقد ظهر أنه فاز بما لم يفز به من بعده وأن من بعده لو عمل ماعسـاه أن يعمل لا يمكنه أن يحصل ما يقرب من هذه الخصوصية فضلا عن أن يساويها هذا فيمن لم يفز إلا بذلك فما بالك بمـن ضم إليها أنه قاتل معه أو في زمنه بأمره أو نقل شيئا من الشريعة إلى من بعده أو أنفق شيئا من ماله بسببه فهذا مما لا خـلاف في أن أحدا من الجائين بعده لا يدركه ومن ثم قال تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجـة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) الحديد ١٠ . ومما يشهد لما عليه الجمهور من السلف والخلف مـن أنهـم خير خلق الله وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة والمقربين ما قدمته من فضائل الصحابة ومآثرهم أول الكتاب وهـو كثير فراجعه ومنه حديث الصحيحين (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ما بلغ مثل أمد أحدهم ولا نصيفه) وفـي رواية لهما (فإن أحدكم) بكاف الخطاب وفي رواية الترمذي (لو أنفق أحدكم) . الحديث والنصيف بفتح النون لغة في النصـف . وروى الدارمـي وابـن عدي وغيرهما أنه قال (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) . ومن ذلك أيضا الخبر المـتفق على صحته (خير القرون أو الناس أو أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) . والقرن أهل زمن واحد متقارب

اشـتركوا فـي وصـف مقصود ويطلق على زمن مخصوص وقد اختلفوا فيه من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين إلا السبعين والمـئة وعشرة فلم يحفظ قائل بهما وما عداهما قال به قائل وأعدل الأقوال قول صاحب المحكم هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن والمراد بقرنه في هذا الحديث الصحابة وآخر من مات منهم على الإطلاق بلا خلاف أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثـي كمـا جـزم بـه مسلم في صحيحه وكان موته سنة مائة على الصحيح وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة . وصـححه الذهبي لمطابقته للحديث الصحيح وهو قوله قبل وفاته بشهر (على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد) وفي رواية مسلم (أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه ليس من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة) فأراد بذلك انخرام القرن بعد مائة سنة من حين مقالته . والقول بأن عكراش بن ذؤيب عاش بعد وقعة الجمل مائة سنة غير صحيح وعلى التنزل فمعـناه استكملها بعد ذلك لا أنه بقي بعدها مائة سنة كما قال الأئمة وما قاله جماعة في رتن الهندي ومعمر المغربي ونحوهما فقـد بـالغ الأئمة سيما الذهبي في تزييفه وبطلانه قال الأئمة ولا يروج ذلك على من له أدنى مسكة من العقل ومر أن أفضلية قـرنه على من يليه وهم التابعون بالنسبة إلى المجموع لا إلى كل فرد خلافا لابن عبد البر وكذا يقال في التابعين رضوان ا علـيهم أجمعيـن وتابعـيهم . ثم الصحابة أصناف مهاجرون وأنصار وحلفاء وهم من أسلم يوم الفتح أو بعده فأفضلهم إجمالا المهاجـرون فمن بعدهم على الترتيب المذكور وأما تفصيلا فسباق الأنصار أفضل من جماعة من متأخري المهاجرين وسباق المهاجريـن أفضـل من سباق الأنصار ثم هم بعد ذلك يتفاوتون فرب متأخر إسلاما كعمر أفضل من متقدم كبلال . وقال أبو منصور البغدادي من أكابر أئمتنا أجمع أهل السنة أن أفضل الصحابة أبو بكر فعمر فعثمان فعلي فبقية العشرة المبشرين بالجنة فأهل بدر فباقي أهل أحد فباقي أهل بيعة الرضوان بالحديبية فباقي الصحابة . انتهى . ومر اعتراض حكايته الإجماع بين علي وعـثمان إلا إن أراد بالإجماع فيهما إجماع أكثر أهل السنة فيصح ما قاله حينئذ هذا وقد أخرج الأنصاري عن أنس أن رسول ا قـال (يـا أبا بكر ليت أني لقيت إخواني) . فقال أبو بكر يا رسول ا نحن إخوانك قال (أنتم أصحابي إخواني الذين لم يرونـي وصـدقوا بـي وأحبوني حتى إني لأحب إلى أحدهم من ولده ووالده) . قالوا يا رسول ا نحن إخوانك . قال (أنتم أصـحابي ألا تحب يا ابا بكر قوما أحبوك بحبي إياك فأحبهم ما أحبوك بحبي إياك) . وقال (من أحب ا أحب القرآن ومن أحـب القـرآن أحبنـي ومـن أحبنـي أحب أصحابي وقرابتي) . رواه الديلمي . وقال (يا أيها الناس احفظوني في أختاني وأصهاري وأصحابي لا يطالبنكم ا بمظلمة أحد منهم فإنها ليست مما يوهب) . رواه الخلعي . قال (ا ا في أصحابي لا تـتخذوهم غرضا بعدي من أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى ا ومن آذى ا يوشـك أن يـأخذه) . ورواه المخلـص الذهبي . فهذا الحديث وما قبله خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيـب فـي حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه أيضا إشارة إلى أن حبهم إيمان وبغضهم كفر لأن بغضهم إذا كان بغضا له كان كفرا بلا نزاع لخبر (لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه) . وهذا يدل على كمال قربهم منه من حيث أنزلهم مـنزلة نفسـه حتى كأن أذاهم واقع عليه وفيه أيضا أن محبة من أحبه النبي كآله وأصحابه رضي ا تعالى عنهم علامة على محـبة رسول ا كما أن محبته علامة على محبة ا تعالى وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم علامة على بغـض رسول ا وعدواته وسبه وبغضه وعداوته وسبه علامة على بغض ا تعالى وعداوته وسبه فمن أحب شيئا أحب من يحـب وأبغض من يبغض قال ا تعالى (لا تجد قوما يؤمنون با واليوم الآخر يوادون من حاد ا ورسوله) المجادلة ٢٢ فحـب أولـئك أعنـي آلـه وأزواجه وذرياته وأصحابه من الواجبات المتعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات ومن محبتهم توقـيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بالمشي على سنتهم وآدابهم وأخلاقهم والعمل بأقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال ومزيد الثناء عليهم وحسنه بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد أثنى ا عليهم في آيات كثيرة من كتابه المجيد ومـن أثنى ا عليه فهو واجب الثناء ومنه الاستغفار لهم . قالت عائشة رضي ا تعالى عنها أمروا بأن يستغفروا لأصحاب محمد فسبوهم . رواه مسلم وغيره على أن فائدة المستغفر عائد أكثرها إليه إذ يحصل بذلك مزيد الثواب . قال سهل بن عبد ا التستري . وناهيك به علما وزهدا ومعرفة وجلالة لم يؤمن برسول ا من لم يوقر أصحابه . ومما يوجب أيضا الإمساك عما

شـجر أي وقـع بينهم من الاختلاف والإضراب صفحا عن أخبار المؤرخين سيما جهلة الروافض وضلال الشيعة والمبتدعين القادحين في أحد منهم فقد قال (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا) . والواجب أيضا على كل من سمع شيئا من ذلك أن يتثبت فيه ولا ينسـبه إلـى أحدهـم بمجرد رؤيته في كتاب أو سماعه من شخص بل لا بد أن يبحث عنه حتى يصح عنده نسبته إلى أحدهم فحينـئذ الواجـب أن يلـتمس لهم أحسن التأويلات وأصوب المخارج إذ هم أهل لذلك كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود من مآثرهم مما يطول إيراده وقد مر لذلك منه جملة في بعضهم . وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات وأمـا سبهم والطعن فيهم فإن خالف دليلا قطعيا كقذف عائشة رضي ا عنها أو إنكار صحبة أبيها كان كفرا وإن كان بخلاف ذلك كان بدعة وفسقا . ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي ا عنهما من الحروب فلم يكن لمـنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على حقيتها لعلي كما مر فلم تهج الفتنة بسببها وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معـه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه فامتنع علي ظنا منه أن تسليمهم إليهم على الفور مع كثرة عشـائرهم واختلاطهم بعسكر علي يؤدي إلى اضطراب وتزلزل في أمر الخلافة التي بها انتظام كلمة أهل الإسلام سيما وهي فـي ابتدائها لم يستحكم الأمر فيها فرأى علي رضي ا عنه أن تأخير تسليمهم أصوب إلى أن يرسخ قدمه في الخلافة ويتحقق التمكن من الأمور فيها على وجهها ويتم له انتظام شملها واتفاق كلمة المسلمين ثم بعد ذلك يلتقطهم واحدا فواحدا ويسلمهم إليهم ويـدل لذلك أن بعض قتلته عزم على الخروج على علي ومقاتلته لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان وأيضا فالذين تمالؤا على قتل عثمان كانوا جموعا كثيرة كما علم مما قدمته في قصة محاصرتهم له إلى أن قتله بعضهم جمع من أهل مصر قـيل سـبعمائة وقـيل ألف وقيل خمسمائة وجمع من الكوفة وجمع من البصرة وغيرهم قدموا كلهم المدينة وجـرى منهم ما جرى بل ورد أنهم هم وعشائرهم نحو من عشرة آلاف فهذا هو الحامل لعلي رضي ا عنه على الكف عن تسـليمهم لـتعذره كما عرفت ويحتمل أن عليا رضي ا عنه رأى أن قتلة عثمان بغاة حملهم على قتله تأويل فاسد استحلوا به دمـه رضـي ا تعـالى عنه لإنكارهم عليه أمورا كجعله مروان ابن عمه كاتبا له ورده إلى المدينة بعد أن طرده النبي منها وتقديمه أقاربه في ولاية الأعمال وقضية محمد بن أبي بكر رضي ا عنهما السابقة في مبحث خلافة عثمان مفصلة ظنوا أنها مبـيحة لما فعلوه جهلا منهم وخطأ والباغي إذا انقاد إلى الإمام العدل لا يؤاخذ بما أتلفه في حال الحرب عن تأويل دما كان أو مالا كما هو المرجح من قول الشافعي رضي ا عنه وبه قال جماعة آخرون من العلماء وهذا الاحتمال وإن أمكن لكن ما قبله أولى بالاعتماد منه فإن الذي ذهب إليه كثيرون من العلماء أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة وإنما كانوا ظلمة وعتاة لعدم الاعتداد بشـبههم ولأنهـم أصـروا على الباطل بعد كشف الشبهة وإيضاح الحق لهم وليس كل من انتحل شبهة يصير بها مجتهدا لأن الشـبهة تعـرض للقاصـر عن درجة الاجتهاد ولا ينافي هذا ما هو المقرر في مذهب الشافعي رضي ا عنه من أن من لهم شوكة دون تأويل لا يضمنون ما أتلفوه في حال القتال كالبغاة لأن قتل السيد عثمان رضي ا عنه لم يكن في قتال فإنه لم يقاتل بـل نهى عن القتال حتى إن أبا هريرة رضي ا عنه لما أراده قال له عثمان عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت بسيفك إنما تـراد نفسـي وسـأقي المسلمين بنفسي كما أخرجه ابن عبد البر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة . ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أيضا أن معاوية رضي ا عنه لم يكن في أيام علي خليفة وإنما كان من الملوك وغاية اجتهاده أنه كان له أجر واحد على اجتهاده وأما علي رضي ا عنه فكان له أجران أجر على اجتهاده وأجر على إصابته بل عشرة أجور لحديث (إذا اجتهد المجـتهد فأصـاب فله عشرة أجور) واختلفوا في إمامة معاوية بعد موت علي رضي ا عنهما فقيل صار إماما وخليفة لأن البـيعة قد تمت له وقيل لم يصر إماما لحديث أبي داود والترمذي والنسائي (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا) . وقد انقضـت الثلاثون بوفاة علي وأنت خبير بما قدمته أن الثلاثين لم تتم بموت علي وبيانه أنه توفي في رمضان سنة أربعين من الهجـرة . والأكثرون على أن وفاته سابع عشر ووفاة النبي ثاني عشر ربيع الأول فبينهما دون الثلاثين بنحو ستة أشهر وتمت الثلاثين بمدة خلافة الحسن بن علي رضي ا عنهما فإذا تقرر ذلك فالذي ينبغي كما قاله غير واحد من المحققين أن يحمل قول مـن قـال بإمامة معاوية عند وفاة علي على ما تقرر من وفاته بنحو نصف سنة لما سلم له الحسن الخلافة والمانعون لإمامته

يقولـون لا يعـتد بتسليم الحسن الأمر إليه لأنه لم يسلمه إليه إلا للضرورة لعلمه بأنه أعني معاوية لا يسلم الأمر للحسن وأنه قاصـد للقتال والسفك إن لم يسلم الحسن الأمر إليه فلم يترك الأمر إليه إلا صونا لدماء المسلمين وأك رد ما وجه به هؤلاء ما ذكـر بأن الحسن كان هو الإمام الحق والخليفة الصدق وكان معه من العدة والعدد ما يقاوم من مع معاوية فلم يكن نزوله عن الخلافـة وتسليمه الأمر لمعاوية اضطراريا بل كان اختياريا كما يدل عليه ما مر في قصة نزوله من أنه اشترط عليه شروطا كثـيرة فالـتزمها ووفى له بها وأيضا فقد مر عن صحيح البخاري أن معاوية هو السائل للحسن في الصلح ومما يدل على ما ذكـرته حديث البخاري السابق عن أبي بكرة قال رأيت رسول ا على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مـرة وعلـيه أخرى ويقول (إن ابني هذا سيد ولعل ا أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) . فانظر إلى ترجيه الإصـلاح بـه وهو لا يترجى إلا الأمر الحق الموافق للواقع بترجيه الإصلاح من الحسن يدل على صحة نزوله لمعاوية عن الخلافة وإلا لو كان الحسن باقيا على خلافته بعد نزوله عنها لم يقع بنزوله إصلاح ولم يحمد الحسن على ذلك ولم يترج مجرد الـنزول مـن غير أن يترتب عليه فائدته الشرعية ووجوب طاعته على الكافة وهي استقلال المنزول له بالأمر وصحة خلافته ونفاذ تصرفه ووجوب طاعته على الكافة وقيامه بأمور المسلمين فكان ترجيه لوقوع الإصلاح بين أولئك الفئتين العظيمتين من المسلمين بالحسن فيه دلالة أي دلالة على صحة ما فعله الحسن وعلى أنه مختار فيه وعلى أن تلك الفوائد الشرعية وهي صحة خلافـة معاويـة وقيامه بأمور المسلمين وتصرفه فيها بسائر ما تقتضيه الخلافة مترتبة على ذلك الصلح فالحق ثبوت الخلافة لمعاويـة مـن حينـئذ وأنه بعد ذلك خليفة حق وإمام صدق كيف وقد أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصـحابي عـن النبي أنه قال لمعاوية (اللهم اجعله هاديا مهديا) . وأخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية سمعت رسـول ا يقول (اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب) . وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عـن عـبد الملك ابن عمير قال قال معاوية ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول ا (يا معاوية إذا ملكت فأحسن) . فـتأمل دعـاء النبـي له في الحديث الأول بأن ا يجعله هاديا مهديا والحديث حسن كما علمت فهو مما يحتج به على فضل معاويـة وأنـه لا ذم يلحقه بتلك الحروب لما علمت أنها كانت مبنية على اجتهاد وأنه لم يكن له إلا أجر واحد لأن المجتهد إذا أخطـأ لا مـلام عليه ولا ذم يلحقه بسبب ذلك لأنه معذور ولذا كتب له أجر . ومما يدل لفضله أيضا الدعاء في الحديث الثاني بـأن يعلم ذلك ويوقى العذاب ولا شك أن دعاءه مستجاب فعلمنا منه أنه لا عقاب على معاوية فيما فعل من تلك الحروب بل له الأجر كما تقرر . وقد سمى النبي فئته المسلمين وساواهم بفئة الحسن في وصف الإسلام فدل على بقاء حرمة الإسلام للفريقين وأنهـم لـم يخرجوا بتلك الحروب عن الإسلام وأنهم فيه علىحد سواء فلا فسق ولا نقص يلحق أحدهما لما قررناه من أن كلا منهما متأول تأويلا غير قطعي البطلان وفئة معاوية وإن كانت هي الباغية لكنه بغي لا فسق به لأنه إنما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه . وتأمل أنه أخبر معاوية بأنه يملك وأمره بالإحسان تجد في الحديث إشارة إلى صحة خلافته وأنها حق بعد تمامها له بنزول الحسن له عنها فإن أمره بالإحسان المترتب على الملك يدل على حقية ملكه وخلافته وصحة تصرفه ونفوذ أفعاله من حيـث صحة الخلافة له من حيث التغلب لأن المتغلب فاسق معاقب لا يستحق أن يبشر ولا يؤمر بالإحسان فيما تغلب عليه بل إنما يستحق الزجر والمقت والإعلام بقبيح أفعاله وفساد أحواله . فلو كان معاوية متغلبا لأشار له النبي إلى ذلك أو صرح له به فلما لم يشر له فضلا عن أن يصرح إلا بما يدل على حقية ما هو عليه علمنا أنه بعد نزول الحسن له خليفة حق وإمام صدق . ويشـير إلى ذلك كلام الإمام أحمد فقد أخرج البيهقي وابن عساكر عن إبراهيم بن سويد الأرمني قال قلت لأحمد ابن حنبل من الخلفـاء قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . قلت فمعاوية قال لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي . فأفهم كلامه أن معاوية بعد زمان علي أي وبعد نزول الحسن له أحق الناس بالخلافة . وأما ما أخرجه ابن ابي شيبة في المصنف عن سعيد بـن جمهان قال قلت لسفينة إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم . فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من أشر الملوك وأول الملـوك معاوية . فلا يتوهم منه أن لا خلافة لمعاوية لأن معناه أن خلافته وإن كانت صحيحة إلا أنه غاب عليها مشابهة الملك لأنهـا خرجـت عن سنن خلافة الخلفاء الراشدين في كثير من الأمور فهي حقة وصحيحة من حين نزول الحسن له واجتماع

الناس أهل الحل والعقد عليه وتلك من حيث إنه وقع فيها أمور ناشئة عن اجتهادات غير مطابقة للواقع لا يأثم بها المجتهد لكنها تؤخـر عـن درجات ذوي الاجتهادات الصحيحة المطابقة للواقع وهم الخلفاء الأربعة والحسن رضي ا عنهم فمن أطلق على ولاية معاوية أنها ملك أراد من حيث ما وقع في خلالها من تلك الاجتهادات التي ذكرناها ومن أطلق عليها أنها خلافة أراد انه بـنزول الحسن له واجتماع أهل الحل والعقد عليه صار خليفة حق مطاعا يجب له من حيث الطواعية والانقياد ما يجب للخلفاء الراشـدين قـبله . ولا يقال بنظير ذلك فيمن بعده لأن أولئك ليسوا من أهل الاجتهاد بل منهم عصاة فسقة ولا يعدون من جملة الخلفاء بوجه بل من جملة الملوك بل من أشرهم إلا عمر بن عبد العزيز فإنه ملحق بالخلفاء الراشدين وكذلك ابن الزبير . وأما مـا يستبيحه بعض المبتدعة من سبه ولعنه فله فيه اسوة أي أسوة بالشيخين وعثمان وأكثر الصحابة فلا يلتفت لذلك ولا يعول علـيه فإنـه لم يصدر إلا عن قوم حمقى جهلاء أغبياء طغام لا يبالي ا بهم في أي واد هلكوا فلعنهم ا وخذلهم أقبح اللعنة والخـذلان وأقـام على رؤوسهم من سيوف أهل السنة وحججهم المؤيدة بأوضح الدلائل والبرهان ما يقمعهم عن الخوض في تنقـيص أولئك الأئمة الأعيان ولقد استعمل معاوية عمر وعثمان رضي ا عنهم وكفاه ذلك شرفا وذلك أن أبا بكر رضي ا عـنه لمـا بعث الجيوش إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان فلما مات أخوه يزيد استخلفه على دمشق فأقره ثم أقره عمر ثم عثمان وجمع له الشام كله فأقام أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة . قال كعب الأحبار لم يملك أحد هذه الأمة مـا ملك معاوية . قال الذهبي توفي كعب قبل أن يستخلف معاوية وصدق كعب فيما نقله فإن معاوية بقي خليفة عشرين سنة لا يـنازعه أحد الأمر في الأرض بخلاف غيره ممن بعده فإنه كان لهم مخالف وخرج عن أمرهم بعض الممالك . انتهى . وفي إخـبار كعب بذلك قبل استخلاف معاوية دليل على أن خلافته منصوص عليها في بعض كتب ا المنزلة فإن كعبا كان حبرها فله من الاطلاع عليها والإحاطة بأحكامها ما فاق سائر أحبار أهل الكتاب وفي هذا من التقوية لشرف معاوية وحقية خلافته بعد نـزول الحسن له ما لا يخفى وكان نزوله له عنها واستقراره فيها من ربيع الآخر أوجمادى الأولى سنة إحدى وأربعين فسمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الأمة فيه على خليفة واحد . واعلم أن اهل السنة اختلفوا في تكفير يزيد بن معاوية وولي عهده من بعده فقالت طائفة إنه كافر لقول سبط ابن الجوزي وغيره المشهور أنه لماجاء رأس الحسين رضي ا عنه جمع أهل الشام وجعـل ينكت رأسه بالخيزران وينشد ابيات ابن الزبعرى . (ليت أشياخي ببدر شهدوا %) الأبيات المعروفة وزاد فيها بيتين مشـتملين على صريح الكفر . وقال ابن الجوزي فيما حكاه سبطه عنه ليس العجب من قتال ابن زياد للحسين وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثنايا الحسين وحمله آل رسول ا سبايا على أقتاب الجمال . وذكر أشياء من قبيح ما اشتهر عنه ورده الرأس إلى المدينة وقد تغيرت ريحه ثم قال وما كان مقصوده إلا الفضيحة وإظهار الرأس أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج لـيس بإجمـاع المسلمين أن الخوارج والبغاة يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهلية وأضغان بدرية لاحـترم الرأس لما وصل إليه وكفنه ودفنه وأحسن إلى آل رسول ا . انتهى . وقالت طائفة ليس بكافر فإن الأسباب الموجبة للكفـر لم يثبت عندنا منها شيء والأصل بقاؤه على إسلامه حتى يعلم ما يخرجه عنه وما سبق أنه المشهور يعارضه ما حكي أن يزيد لما وصل إليه رأس الحسين قال رحمك ا يا حسين لقد قتلك رجل لم يعرف حق الأرحام . وتنكر لابن زياد وقال قد زرع لـي العداوة في قلب البر والفاجر ورد نساء الحسين ومن بقي من بنيه مع رأسه إلى المدينة ليدفن الرأس بها وأنت خبير بأنه لم يثبت موجب واحدة من المقالتين والأصل أنه مسلم فنأخذ بذلك الأصل حتى يثبت عندنا ما يوجب الإخراج عنه ومن ثم قـال جماعـة مـن المحققين إن الطريقة الثابتة القويمة في شأنه التوقف فيه وتفويض أمره إلى ا سبحانه وتعالى لأنه العالم بالخفـيات والمطلع على مكنونات السرائر وهواجس الضمائر فلا نتعرض لتكفيره أصلا لأن هذا هو الأحرى والأسلم . وعلى القول بأنه مسلم فهو فاسق شرير سكير جائر كما أخبر به النبي فقد أخرج أبو يعلى في مسنده بسند لكنه ضعيف عن أبي عبيدة قـال قـال رسـول ا (لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد) وأخرج الرويانـي في مسنده عن أبي ذر قال سمعت النبي يقول (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد) . وفي هذين الحديثيـن دليل أي دليل لما قدمته أن معاوية كانت خلافته ليست كخلافة من بعده من بني أمية فإنه أخبر أن أول من يثلم أمر

أمته ويبدل سنته يزيد فافهم أن معاوية لم يثلم ولم يبدل وهو كذلك لما مر أنه مجتهد ويؤيد ذلك ما فعله الإمام المهدي كما عبر بـه ابن سيرين وغيره عن عمر بن عبد العزيز بأن رجلا نال من معاوية بحضرته فضربه ثلاثة أسواط مع ضربه لمن سمى ابـنه يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطا كما سيأتي فتأمل فرقان ما بينهما . وكان مع أبي هريرة رضي ا عنه علم من النبي بمـا مـر عنه في يزيد فإنه كان يدعو اللهم إني أعوذ بك من رأس الستين وإمارة الصبيان . فاستجاب ا له وتوفاه سنة تسع وخمسـين وكـان وفاة معاوية وولاية ابنه سنة ستين فعلم أبو هريرة بولاية يزيد في هذه السنة فاستعاذ منها لما علمه من قبيح أحواله بواسطة إعلام الصادق المصدوق بذلك . وقال نوفل بن أبي الفرات كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد فقال قـال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية . فقال تقول أمير المؤمنين فأمر به فضرب عشرين سوطا . ولإسرافه في المعاصي خلعه أهـل المدينة فقد أخرج الواقدي من طرق أن عبد ا بن حنظلة بن الغسيل قال وا ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمي بالحجـارة مـن السماء أن كان رجلا ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة . وقال الذهبي ولما فعـل يـزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات اشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك ا في عمره . وأشار بقوله ما فعل إلى ما وقع منه سنة ثلاث وستين فإنه بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فأرسل لهم جيشا عظيما وأمرهم بقتالهم فجاؤا إليهم وكانت وقعة الحرة على باب طيبة وما أدراك ما وقعة الحرة . ذكرها الحسن مرة فقال ما كـاد ينجو منهم واحد قتل فيها خلق كثير من الصحابة ومن غيرهم فإنا وإنا إليه راجعون . وبعد اتفاقهم على فسقه اختلفوا فـي جـواز لعنه بخصوص اسمه فأجازه قوم منهم ابن الجوزي ونقله عن أحمد وغيره فإنه قال في كتابه المسمى بالرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد سألني سائل عن يزيد بن معاوية فقال له يكفي ما به فقال أيجوز لعنه فقلت قد أجازه العلماء الورعـون منهم أحمد ابن حنبل فإنه ذكر في حق يزيد ما يزيد على اللعنة ثم روى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى الفراء أنـه روى في كتابه المعتمد في الأصول بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال قلت لأبي إن قوما ينسبوننا إلى تولي يزيد . فقـال يا بني وهل يتولى يزيد أحد يؤمن با ولم لا يلعن من لعنه ا في كتابه فقلت وأين لعن ا يزيد في كتابه فقال في قوله تعـالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم (أولئك الذين لعنهم ا فأصمهم وأعمى أبصارهم) محمـد ٢٢ ٢٣ فهـل يكون فساد أعظم من القتل وفي رواية فقال يا بني ما أقول في رجل لعنه ا في كتابه فذكره . قال ابن الجوزي وصنف القاضي أبو يعلى كتابا ذكر فيه بيان من يستحق اللعن وذكر منهم يزيد ثم ذكر حديث (من أخاف أهل المدينة ظلمـا أخافـه ا وعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين) . ولا خلاف أن يزيد غزا المدينة بجيش وأخاف أهلها . انتهى . والحديـث الـذي ذكره رواه مسلم . ووقع من ذلك الجيش من القتل والفساد العظيم والسبي وإباحة المدينة ما هو مشهور حتى فض نحو ثلاثمائة بكر وقتل من الصحابة نحو ذلك ومن قراء القرآن نحو سبع مائة نفس وأبيحت المدينة أياما وبطلت الجماعة من المسجد النبوي أياما وأخيفت أهل المدينة أياما فلم يمكن أحدا دخول مسجدها حتى دخلته الكلاب والذئاب وبالت على منبره تصـديقا لمـا أخبر به النبي . ولم يرض أمير ذلك الجيش إلا بأن يبايعوه ليزيد على أنهم خول له إن شاء باع وإن شاء أعتق فذكـر له بعضـهم البيعة على كتاب ا وسنة رسوله فضرب عنقه وذلك في وقعة الحرة السابقة . ثم سار جيشه هذا إلى قتال ابـن الزبـير فـرموا الكعبة بالمنجنيق وأحرقوها بالنار فأي شيء أعظم من هذه القبائح التي وقعت في زمنه ناشئة عنه وهي مصداق الحديث السابق (لا يزال أمر أمتي قائما بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد) . وقال آخرون لا يجوز لعـنه إذ لم يثبت عندنا ما يقتضيه وبه أفتى الغزالي وأطال في الانتصار له وهذا هو اللائق بقواعد أئمتنا وبما صرحوا به من أنـه لا يجوز أن يلعن شخص بخصوصه إلا إن علم موته على الكفر كأبي جهل وأبي لهب وأما من لم يعلم فيه ذلك فلا يجوز لعـنه حـتى إن الكافر الحي المعين لا يجوز لعنه لأن اللعن هو الطرد عن رحمة ا المستلزم لليأس منها وذلك إنما يليق بمن علم موته على الكفر وأما من لم يعلم فيه ذلك فلا وإن كان كافرا في الحالة الظاهرة لاحتمال أن يختم له بالحسنى فيموت على الإسلام وصرحوا أيضا بأنه لا يجوز لعن فاسق مسلم معين وإذا علمت أنهم صرحوا بذلك علمت أنهم مصرحون بأنه لا يجوز لعـن يـزيد وإن كان فاسقا خبيثا ولو سلمنا أنه أمر بقتل الحسين وسر به لأن ذلك حيث لم يكن عن استحلال أو كان عنه لكن

بـتأويل ولو باطلا وهو فسق لا كفر على أن أمره بقتله وسروره به لم يثبت صدوره عنه من وجه صحيح . بل كما حكي عنه ذلك حكي عنه ضده كما قدمته وأما ما استدل به أحمد على جواز لعنه من قوله تعالى (أولئك الذين دل لعنهم ا) محمد ٢٣ ومـا اسـتدل به غيره من قوله في حديث مسلم (وعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين) فلا دلالة فيهما لجواز لعن يزيد بخصوص اسمه والكلام إنما هو فيه وإنما الذي عليه جواز لعنه لا بذلك الخصوص وهذا جائز بلا نزاع ومن ثم حكي الاتفاق علـى أنـه يجوز لعن من قتل الحسين رضي ا عنه أو أمر بقتله أو أجازه أو رضي به من غير تسمية ليزيد كما يجوز لعن شـارب الخمر ونحوه من غير تعيين وهذا هو الذي في الآية والحديث إذ ليس فيهما تعرض للعن أحد بخصوص اسمه بل لمن قطـع رحمه ومن أخاف أهل المدينة فيجوز اتفاقا أن يقال لعن ا من قطع رحمه ومن أخاف أهل المدينة ظلما . وإذا جاز هذا اتفاقـا لكونه ليس فيه تسمية أحد بخصوصه فكيف يستدل به أحمد وغيره على جواز لعن شخص معين بخصوصه مع وضوح الفـرق بيـن المقامين فاتضح أنه لا يجوز لعنه بخصوصه وأنه لا دلالة في الآية والحديث للجواز . ثم رأيت ابن الصلاح من أكابر أئمتنا الفقهاء والمحدثين قال في فتاويه لما سئل عمن يلعنه لكونه أمر بقتل الحسين رضي ا عنه لم يصح عندنا أنه أمر بقتله رضي ا عنه والمحفوظ أن الآمر بقتاله المفضي إلى قتله كرمه ا إنما هو عبيد ا بن زياد والي العراق إذ ذاك . وأما سـب يزيد ولعنه فليس ذلك من شأن المؤمنين وإن صح أنه قتله أو أمر بقتله . وقد ورد في الحديث المحفوظ أن (لعن المسلم كقـتله) وقاتل الحسين رضي ا عنه لا يكفر بذلك وإنما ارتكب إثما عظيما وإنما يكفر بالقتل قاتل نبي من الأنبياء . والناس فـي يزيد ثلاث فرق فرقة تتولاه وتحبه وفرقة تسبه وتلعنه وفرقة متوسطة في ذلك لا تتولاه ولا تلعنه وتسلك به مسلك سائر ملـوك الإسلام وخلفائهم غير الراشدين في ذلك وهذه الفرقة هي المصيبة ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين ويعلم قواعـد الشريعة المطهرة . جعلنا ا من أخيار أهلها آمين . انتهى لفظه بحروفه وهو نص فيما ذكرته . وفي الأنوار منكتب أئمتـنا المتأخرين والباغون ليسوا بفسقة ولا كفرة ولكنهم مخطئون فيما يفعلونه ويذهبون إليه ولا يجوز الطعن في معاوية لأنه من كبار الصحابة ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره فإنه من جملة المؤمنين وأمره إلى مشيئة ا إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه قاله الغزالي والمتولي وغيرهما . قال الغزالي وغيره ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصـحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين تلقى الأئمة الدين عنهم رواية ونحـن تلقيناه من الأئمة دراية فالطاعن فيهم مطعون طاعن في نفسه ودينه . قال ابن الصلاح والنووي الصحابة كلهم عدول وكـان للنبـي مائة ألف وأربعة عشر ألف صحابي عند موته والقرآن والأخبار مصرحان بعدالتهم وجلالتهم ولما جرى بينهم محـامل لا يحتمل ذكرها هذا الكتاب . انتهى ملخصا . وما ذكره من حرمة رواية قتل الحسين وما بعدها لا ينافي ماذكرته في هـذا الكتاب لأن هذا البيان الحق الذي يجب اعتقاده من جلالة الصحابة وبراءتهم من كل نقص بخلاف ما يفعله الوعاظ الجهلة فـإنهم يـأتون بالأخـبار الكاذبة الموضوعة ونحوها ولا يبينون المحامل والحق الذي يجب اعتقاده فيوقعون العامة في بغض الصحابة وتنقيصهم بخلاف ما ذكرناه فإنه لغاية إجلالهم وتنزيههم هذا . وقد بتر عمر يزيد لسوء ما فعله واستجابة لدعوة أبيه فإنـه لـيم علىعهـده إليه فخطب وقال اللهم إن كنت إنما عهدت ليزيد لما رأيت من فعله فبلغه ما أملته وأعنه وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده وأنه ليس لما صنعت به أهلا فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك . فكان كذلك لأن ولايته كانت سنة ستين ومات سنة أربع وستين لكن عن ولد شاب صالح عهد إليه فاستمر مريضا إلى أن مات ولم يخرج إلى الناس ولا صلى بهم ولا أدخل نفسه في شيء من الأمور وكانت مدة خلافته أربعين يوما وقيل شهرين وقيل ثلاثة شهور ومات عن إحدى وعشرين سنة وقيل عشرين . ومن صلاحه الظاهر أنه لما ولي العهد صعد المنبر فقال إن هذه الخلافة حبل ا وإن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومـن هو أحق به منه علي بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهينا بذنوبه ثم قلد أبي الأمر وكـان غـير أهل له ونازع ابن بنت رسول ا فقصف عمره وانبتر عقبه وصار في قبره رهيبا بذنوبه ثم بكى وقال إن من أعظـم الأمـور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئيس منقلبه وقد قتل عترة رسول ا وأباح الحرم وخرب الكعبة ولم أذق حلاوة الخلافـة فلا أتقلد مرارتها فشأنكم أمركم وا لئن كانت الدنيا خيرا فقد نلنا منها حظا ولئن كانت شرا فكفى ذرية أبي سفيان ما

أصـابوا منها ثم تغيب في منزله حتى مات بعد أربعين يوما على ما مر فرحمه ا حيث أنصف من أبيه وعرف الأمر لأهله كما عرفه عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الصالح رضي ا عنه فقد مر عنه أنه ضرب من سمى يزيد أمير المؤمنين عشـرين سـوطا ولعظيم صلاحه وعدله وجميل أحواله ومآثره قال سفيان الثوري كما أخرجه عنه أبو داود في سننه الخلفاء الراشدون خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز . وإنما لم يعد الحسن وابن الزبير مع صلاحية كل منهما أن يكون منهم بل مر النص على أن الحسن منهم لقصر مدة الحسن ولأن كلا منهما لم يتم له من نفاذ الكلمة واجتماع الأمة ما تم لعمر بن عبد العزيز . وعن ابن المسيب أنه قال إنما الخلفاء ثلاثة أبو بكر وعمر وعمر . فقال له حبيب هذا أبو بكر وعمر قد عرفناهما فمن عمر قال إن عشت أدركته وإن مت كان بعدك . هذا مع كون ابن المسيب مات قبل خلافة عمر والظاهر أنه اطلـع على ذلك من بعض أخصاء الصحابة الذين أخبرهم النبي بكثير ما يكون بعده كأبي هريرة وحذيفة وكذا يقال فيما يأتي عـن عمـر مـن التبشير بعمر . وورد من طرق أن الذئاب في أيام خلافته رعت مع الشاة فلم تعد إلا ليلة موته . وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان يبشر به ويقول من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلا . أخرجه الترمذي في تاريخه وكـان بوجهه عمر بن عبد العزيز شجة ضربته دابة في جبهته وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول إن كنت أشج بني أمـية إنـك لسعيد فصدق ظن أبيه فيه . وأخرج ابن سعد أن عمر بن الخطاب قال ليت شعري من ذو الشين من ولدي يملؤها عدلا كما ملئت جورا . وأخرج ابن عمر قال كنا نتحدث أن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر فكان بلال بن عبد ا بن عمير بوجهه شامة وكانوا يرون أنه هو حتى جاء ا بعمر بن عبد العزيز . وأخرج البيهقي وغيره مـن طرق عن أنس ما صليت وراء إمام بعد رسول ا خير من هذا الفتى . يعني عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة مـن جهـة الولـيد بن عبد الملك فإنه لما ولي الخلافة بعهد أبيه إليه بها أمر عمر عليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسـعين . وأخـرج ابن عساكر عن إبراهيم بن أبي عيلة قال دخلنا على عمر بن عبد العزيز يوم العيد والناس يسلمون عليه ويقولـون تقبل ا منا ومنك يا أمير المؤمنين فيرد عليهم ولا ينكر عليهم . قال بعض الحفاظ الفقهاء من المتأخرين وهذا أصل حسـن للتهنـئة بالعيد والعام والشهر . انتهى . وهو كما قال فإن عمر بن عبد العزيز كان من أوعية العلم والدين وأئمة الهدى والحـق كمـا يعلـم ذلـك من طالع مناقبه الجليلة ومآثره العلية وأحواله السنية وقد استوفى كثيرا منها أبو نعيم وابن عساكر وغيرهما . ولولا خوف الإطالة والانتشار لذكرت منها غررا مستكثرة لكن فيما أشرت إليه كفاية . ولنختم الكتاب بحكاية جليلة نفيسـة فـيها فوائد غريبة وهي أن أبا نعيم أخرج بسند صحيح عن رياح بن عبيدة قال خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشـيخ يـتوكأ على يده فقلت في نفسي إن هذا الشيخ جاف فلما صلى ودخل لحقته فقلت أصلح ا الأمير من الشيخ الذي كان يـتكىء علـى يدك قال يا رياح رأيته قلت نعم قال ما أحسبك إلا رجلا صالحا ذاك أخي الخضر أتاني فأعلمني أني سألي أمر هـذه الأمـة وأنـي سأعدل فيها . فرحمه ا ورضي عنه . وأنا أسأل ا المنان الوهاب أن يلحقني بعباده الصالحين وأوليائه العارفيـن وأحبائه المقربين وأن يميتني على محبتهم ويحشرني في زمرتهم وأن يديم لي خدمة جناب آل محمد وصحبه ويمن علـي برضـاه وحبه ويجعلني من الهادين المهديين أئمة أهل السنة والجماعة العلماء والحكماء السادة القادة العاملين إنه أكرم كـريم وأرحـم رحيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد رب العالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد رب العالمين . والحمد الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا ا والحمـد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا سرا وعلنا يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك حمدا طيبا مباركا فـيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيـت ولا معطـي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . والصلاة والسلام التامان الأكملان على أشرف خلقك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته عدد خلقك ورضا لنفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عـن ذكـرك وذكـره الغافلون . والحمد رب العالمين / تتمة في أبواب منتقاة من كتاب للحافظ السخاوي / / تتمة / . لما فرغـت مـن هذا الكتاب أعني الصواعق المحرقة رأيت بعد أربع عشرة سنة وقد كتب منه من النسخ ما لا أحصي ونقل إلى

أقاصي البلدان والأقاليم كأقصى المغرب وما وراء النهر سمرقند وبخارى وكشمير وغيرها والهند واليمن كتابا في مناقب أهل البيت فيه زيادات على ما مر لبعض الحفاظ من معاصري مشايخنا وهو الحافظ السخاوي رحمه ا وكان يمكن إلحاق زياداته لقلتها على حواشي النسخ لكن لتفرقها تعذر ذلك فأردت أن ألخص هذا الكتاب مع زيادات في ورقات إن أفردت فهي كافية في التنبـيه عـلـى كثير من مآثرهم وإن ضمت لهذا الكتاب فهي مؤكدة تارة ومؤسسة أخرى . فأقول اعلم أنه أشار في خطبة هذا الكـتاب إلىبعـض حط على ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للإمام الحافظ المحب الطبري بأن فيه كثيرا من الموضوع والمـنكر فضـلا عن الضعيف ثم نقل عن شيخه الحافظ العسقلاني أنه قال في حق المحب الطبري إنه كثير الوهم في عزوه للحديـث مـع كونه لم يكن في زمنه مثله ثم ذكر مقدمة في بيان فروع بني هاشم وفروع بني المطلب ولاحاجة لنا بذلك لأنه معروف مشهور أكثره ولأن الغرض إنما هو ذكر ما يختص بآل البيت المطهر . وفيه أبواب

باب وصية النبي

. قـال (ألا إن عيبتي التي آوي إليها أهل بيتي وإن كرشي الأنصار فاعفوا عن مسيئهم من واقبلوا محسنهم) حديث حسن . وفـي روايـة (ألا إن عيبتـي وكرشـي أهل بيتي والأنصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) أي إنهم جماعتي وأصـحابي الذيـن أثق بهم وأطلعهم على أسراري وأعتمد عليهم . وكرشي باطني وعيبتي ظاهري وجمالي . وهذا غاية في الـتعطف عليهم والوصية بهم ومعنى (وتجاوزوا عن مسيئهم) أقيلوهم عثراتهم فهو كحديث (أقيلوا ذوي الهيئات) . وصح من طرق عن ابن عباس رضي ا عنهما أنه فسر قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) الشورى ٢٣ بـأن المراد منه أنه ما من بطن من قريش إلا وللنبي إليها ولادة وقرابة قريبة . أي إن لم تؤمنوا بما جئت به وتبايعوني عليه فـلا أسـألكم مـالا وإنما أسألكم أن تحفظوا القرابة التي بيني وبينكم فلا تؤذوني ولا تنفروا الناس عني صلة للرحم التي بيني وبيـنكم إذ أنتم في الجاهلية كنتم تصلون الأرحام ولا تدعوا غيركم من العرب يكون أولى منكم بحفظي ونصرتي . وتبعه على ذلـك جماعة من تلامذته وغيرهم ولكن خالفه أجلهم تلميذه الإمام سعيد بن جبير ففسر بحضرته الآية بأن المراد قل لا أسألكم أيهـا الناس مالا على ما بلغته إليكم وإنما الذي أسالكموه أن تصلوا قرابتي وتودوني فيهم . وكان ابن جبير مع ذلك يفسر الآية بالوجـه الأول أيضـا وهو التحقيق لأنها صالحة لكل منهما لكن يؤيد الأول أن السورة مكية وقد رد ابن عباس على ابن جبير تفسـيره ولم يرجع إليه . وجاء من طريق ضعيفة أن ابن عباس فسرها بما فسر به ابن جبير ورفع ذلك إلى النبي فقال قالوا يا رسـول ا عـند نزول الآية من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال (علي وفاطمة وابناهما) . وفي طريق ضعيفة أيضـا لكن لها شاهد مختصر صحيح أن سبب نزول الآية افتخار الأنصار بآثارهم الحميدة في الإسلام على قريش فأتاهم النبي في مجالسهم فقال (ألم تكونوا أذلة فأعزكم ا بي) قالوا بلى يا رسول ا . قال (ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أو لم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك) . فما زال يقول لهم حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا ورسوله فنزلـت الآيـة . وفي طريق ضعيفة أيضا أن سبب نزولها أنه لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وليس في يده شيء فجمع له الأنصار مالا فقالوا يا رسول ا إنك ابن أختنا وقد هدانا ا بك وتنوبك نوائب وحقوق وليس معك سعة فجمعنا لك من أموالنا ما تستعين به عليها فنزلت . وكونه ابن أختهم جاء في الرواية الصحيحة لأن أم عبد المطلب من بني النجار منهم . وفي حديث سـنده حسن (ألا إن لكل نبي تركة ووضيعة وإن تركتي ووضيعتي الأنصار فاحفظوني فيهم) . ويؤيد ما مر من تفسير ابن جبـير أن الآيـة في الآل ماجاء عن علي كرم ا وجهه قال فينا آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرا الآية . وجاء ذلك عن زين العابدين أيضا فإنه لما قتل أبوه الحسين رضي ا عنه جيء به أسيرا فأقيم على درج دمشق فقال رجل من أهل الشـام الحمـد الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة . فقال له زين العابدين أقرأت القرآن قال نعم فبين له أن الآية فيهم وأنهم القربى فيها فقال وإنكم لأنتم هم قال نعم . أخرجه الطبراني . وأخرج الدولابي أن الحسن كرم ا وجهه قال في خطبته أنـا مـن أهل البيت الذين افترض ا مودتهم على كل مسلم فقال لنبينا (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقـترف حسـنة نزد له فيها حسنا) واقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت . وأورد المحب الطبري أنه قال (إن ا جعل أجري

علـيكم المـودة في أهل بيتي وإني سائلكم غدا عنهم) . وقد جاءت الوصية الصريحة بهم في عدة أحاديث منها حديث (إني تـارك فـيكم مـا إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أعظم من الآخر كتاب ا حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتـي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما) . قال الترمذي /حسن غريب/ وأخرجه آخرون ولم يصب ابن الجوزي في إيراده في العلل المتناهية كيف وفي صحيح مسلم و غيره في خطبته قرب رابغ مرجعه من حجة الوداع قبل وفاته بنحو شهر (إني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب ا فيه الهدى والنور) ثم قال (وأهل بيتي أذكركم ا فـي أهل بيتي أذكركم ا في أهل بيتي أذكركم ا في أهل بيتي) ثلاثا فقيل لزيد بن أرقم راويه من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته قال من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قيل ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضـي ا عـنهم . قـيل كل هؤلاء حرم الصدقة قال نعم . وفي رواية صحيحة (كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقليـن أحدهما آكد من الآخر كتاب ا عز وجل وعترتي أي بالمثناة فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي حوضي) وفي رواية (وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض سألت ربي ذلك لهما فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم) ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابيا الحاجة لنا إلى بسطها وفي روايـة آخـر ما تكلم به النبي (اخلفوني في أهلي) . وسماهما ثقلين إعظاما لقدرهما إذ يقال لكل خطير شريف ثقلا أو لأن العمـل بما أوجب ا من حقوقهما ثقيل جدا . ومنه قوله تعالى (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) المزمل ٥ أي له وزن وقدر لأنه لا يـؤدى إلا بتكلـيف ما يثقل . وسمي الإنس والجن ثقلين لاختصاصهما بكونهما قطان الأرض وبكونهما فضلا بالتمييز على سـائر الحيوان وفي هذه الأحاديث سيما قوله (انظروا كيف تخلفوني فيهما) و (أوصيكم بعترتي خيرا) و (أذكركم ا في اهـل بيتي) الحث الأكيد على مودتهم ومزيد الإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة كيف وهم أشـرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وعقيل وبنيه وبني جعفر وفي قوله (لا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلـم منكم) دليل على ان من تاهل منهم للمراتب العلية والوظائف الدينية كان مقدما علىغيره ويدل له التصريح بذلك في كل قـريش كما مر في الأحاديث الواردة فيهم . وإذا ثبت هذا لجملة قريش فأهل البيت النبوي الذين هم غرة فضلهم ومحتد فخرهم والسـبب في تميزهم على غيرهم بذلك أحرى وأحق وأولى . وسبق عن زيد بن أرقم أن نساءه من أهل بيته ثم قال ولكن أهل بيته إلى آخره ويؤخذ منه أنهم من أهل بيته بالمعنى الأعم دون الأخص وهم من حرمت عليه الصدقة ويؤيد ذلك خبر مسلم أنه خـرج ذات غـداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم الحسين فأدخله ثم فاطمة فأدخلها ثم علي فأدخله رضـي ا عنهم ثم قال (إنما يريد ا ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) الأحزاب ٣٣ وفي رواية (اللهم هؤلاء أهل بيتي) وفي أخرى أن أم سلمة أرادت أن تدخل معهم فقال بعد منعه لها (أنت على خير) وفي أخرى أنها قالت يا رسـول ا وأنـا فقال (وأنت) أي من أهل البيت العام بدليل الرواية الأخرى قالت وأنا قال (وأنت من أهلي) . وكذا قال لواثلة لما قال يا رسول ا وأنا فقال (أنت من أهلي) وروي أنه قال لعلي (سليمان منا آل البيت وهو ناصح فاتخذه لنفسك) فعـده مـنهم باعتبار صدق صحبته وعظيم قربه وولائه . وفي سند كل ما عدا رواية مسلم مقال . وفي رواية (أسامة منا آل البيت ظهرا لبطن) وروى أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي ا عنه أن الذين نزلت فيهم الآية النبي وعلي وفاطمة وابناهما رضي ا عنهم وقال (يا رب هذا عمي وصنوا أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه) فأمنت أسـكفه الـباب وحوائط البيت آمين آمين آمين . وحديث مسلم أصح من هذا وأهل البيت فيه غير أهله في حديث العباس وبنيه المذكـور لمـا مر أن له إطلاقين إطلاقا بالمعنى الأعم وهو ما يشتمل جميع الآل تارة والزوجات أخرى ومن صدق في ولائه ومحبـته أخـرى وإطلاقـا بالمعـنى الأخص وهم من ذكروا في خبر مسلم وقد صرح الحسن رضي ا عنه بذلك فإنه حين اسـتخلف وثـب علـيه رجل من بني أسد فطعنه وهو ساجد بخنجر لم يبلغ منه مبلغا ولذا عاش بعده عشر سنين فقال يا أهل العراق اتقوا ا فينا فإنا امراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال ا عز وجل فيهم (إنما يريد ا ليذهب عنكم الرجس

أهـل البيت ويطهركم تطهيرا) ولا زال يكرر ذلك حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يحن بكاء . وقال زين العابدين لبعض أهل الشام أما قرأت في الأحزاب (إنما يريد ا ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال ولأنتم هم قال نعـم . وقـول زيد بن أرقم أهل بيته من حرم الصدقة هو بضم المهملة وتخفيف الراء والمراد بالصدقة فيه وفسرهم الشافعي وغيره ببني هاشم والمطلب وعوضوا عنها خمس الخمس من الفيء والغنيمة المذكور في سورتي الأنفال والحشر إذ هم المراد بـذي القـربى فـيهما . قـال البيهقي وفي تخصيصه بني هاشم والمطلب بإعطائهم سهم ذوي القربى وقوله (إنما بنوا هاشم والمطلـب شـيء واحد) فضيلة أخرى وهي أنه حرم عليهم الصدقة وعوضهم عنها خمس الخمس فقال (إن الصدقة لا تحل لمحمـد ولا لآل محمـد) . قال وذلك يدل أيضا على أن آله الذين أمرنا بالصلاة عليهم معه هم الذين حرم ا عليهم الصدقة وعوضهم عنها خمس الخمس فالمسلمون من بني هاشم والمطلب يكونون داخلين في صلاتنا على آل نبينا في فرائضنا ونوافلنا وفيمـن أمرنا بحبهم . انتهى . وقصر مالك وأبو حنيفة رضي ا عنهما تحريم الزكاة على بني هاشم وعن أبي حنيفة جوازها لهـم مطلقـا . وقـال الطحـاوي إنهـم حرموا سهم ذوي القربى . وأبو يوسف تحل من بعضهم لبعض ومذهب أكثر الحنفية والشـافعي وأحمـد حـل أخذهم النفل . وهو رواية عن مالك وعنه حل أخذ الفرض دون التطوع لأن الذل فيه أكثر . وأسند المحب الطبري خبر (استوصوا بأهل بيتي خيرا فإني أخاصمكم عنهم غدا يوم القيامة ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخـل النار) . قال الحافظ السخاوي لم أقف له على أصل أعتمده وصح عن أبي بكر رضي ا عنه أنه قال ارقبوا محمدا أي احفظوا عهده ووده في أهل بيته / تتمة في أبواب منتاة من كتاب للحافظ السخاوي /

باب الحث على حبهم والقيام بواجب حقهم

. صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزي أنه قال (أحبوا ا لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب ا وأحبوا أهل بيتي لحبي) . وأخرج البيهقي وغيره (يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته ويكون أهلي أحب إليه مـن أهلـه وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته) . وصح أن العباس قال يا رسول ا إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها فغضب غضبا شديدا وقال (والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم ا ولرسوله) . وفي رواية لابن ماجة عن ابن عباس كنا نلقى قريشا وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم فذكرنا ذلك لرسول ا فقال (ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجال من أهل بيتي قطعوا حديثهم وا لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم ولقربتهم منـي) وفي أخرى عند أحمد وغيره (حتى يحبكم ا ولقرابتي) وفي أخرى للطبراني جاء العباس رضي ا عنه إلى النبي فقال إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت أي بقريش والعرب فقال (لا يبلغ الخير أو قال الإيمان عبد حتى يحبكم ولقرابتـي أتـرجوا سلهب أي حي من مراد شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب) . وفي أخرى للطبراني أيضا (يا بني هاشـم إني قد سألت ا عز وجل لكم أن يجعلكم رحماء نجباء وسألته أن يهدي ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم) . وإن العباس رضي ا عنه أتى النبي فقال يا رسول ا إني انتهيت إلى قوم يتحدثون فلما رأوني سكتوا لا يؤمن أحدكم حتى يحبكم لحبـي أيرجون أن يدخلوا الجنة بشفاعتي وما ذاك إلا أنهم يبغضونا فقال (أو قد فعلوها والذي نفسي بيده ولا يرجوها بنو عبد المطلب) وفي حديث بسند ضعيف أنه خرج مغضبا فرقى المنبر فحمد ا وأثنى عليه ثم قال (ما بال رجال يؤذوني في أهل بيتـي والـذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي رحمي) . وفي رواية للبيهقي وغيره وبعضها سـنده ضـعيف وبعضها سنده واه أن نسوة عيرن بنت أبي لهب بأبيها فغضب واشتد غضبه فصعد المنبر ثم قال (أيها الناس مالي أوذى في أهلي فوا إن شفاعتي لتنال قرابتي) وفي رواية (ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا ومن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى ا) وفي أخرى (ما بال رجال يؤذونني في قرابتي ألا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى ا تبارك وتعالى) . وروى الطبراني أن أم هانىء أخت علي رضي ا عنهما بدا قرطاها فقال لها عمـر إن محمـدا لا يغني عنك من ا شيئا . فجاءت إليه فأخبرته فقال (تزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي وإن شفاعتي تـنال صـداء وحكمـا) . أي وهما قبيلتان من عرب اليمن . وروى البزار أن صفية عمة رسول ا توفي لها ابن فصاحت

فصـبرها النبي فخرجت ساكتة فقال لها عمر فأمر بلالا فنادى بالصلاة فصعد المنبر ثم قال (ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا ونسبي وسببي فإنها موصولة في الدنيا والآخرة) . الحديث بطوله وفيه ضعفاء . وصـح أنـه قال على المنبر (ما بال رجال يقولون إن رحم رسول ا لا تنفع قومه يوم القيامة وا إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرطكم على الحوض) . ولا ينافي هذه الأحاديث ما في الصحيحين وغيرهما أنه لما نزل قوله تعـالى (وأنـذر عشـيرتك) خرج فجمع قومه ثم عم وخص بقوله (لا أغني عنكم من ا شيئا) حتى قال (يا فاطمة بنت محمـد) إمـا لأن هذه الرواية محمولة على من مات كافرا أو أنها خرجت مخرج التغليظ والتنفير أو أنها قبل علمه بأنه يشفع عمومـا وخصوصا . وجاء عن الحسن رضي ا عنه أنه قال لرجل يغلوا فيهم ويحكم أحبونا ا فإن أطعنا ا فأحبونا وإن عصـينا ا فأبغضونا . فقال له الرجل إنكم ذوو قرابة رسول ا وأهل بيته . فقال ويحكم لو كان ا نافعنا بقرابة رسول ا مـن غـير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا وإني أخاف أن يضاعف للعاصي منها العذاب ضعفين . وورد (إنما سـميت ابنتي فاطمة لأن ا فطمها ومحبيها عن النار) . وأخرج أبو الفرج الأصبهاني أن عبد ا بن الحسن بن علي رضي ا عنهم دخل يوما على عمر بن عبد العزيز وهو حدث السن وله وفرة فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ثم أخذ بعكـنة مـن عكنه فغمزها حتى أوجعه وقال أذكرها عندك للشفاعة فلما خرج ليم على ما فعل به فقال حدثني الثقة حتى كأني أسـمعه من رسول ا (إنما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها) وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها . قـالوا فمـا غمـزك بطنه وقولك ما قلت فقال غنه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعة ورجوت أن أكون في شفاعة هذا . وروى الطبرانـي بسند ضعيف أنه قال (الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي ا وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بـيده لا يـنفع أحـد عمله إلا بمعرفة حقنا) . وأخرج الطبراني أنه قال لعلي كرم ا وجهه (أنت وشيعتك) . أي أهل بيتك ومحـبوكم الذيـن لـم يبتدعوا بسب أصحابي ولا بغير ذاك (تردون علي الحوض رواة مرويين مبيضة وجوكم وإن عدوكم يـردون علي ظماء مقمحين) . وفي رواية (إن ا قد غفر لشيعتك ولمحبي شيعتك) . وروى الترمذي أنه قال (اللهم اغفر للعـباس ولولـده مغفـرة ظاهـرة وباطنة مغفرة لا تغادر ذنبا اللهم اخلفه في ولده) . وكذا دعا رسول ا بالمغفرة للأنصار ولأبـنائهم وأبـناء أبنائهم ولمن أحبهم وروى المحب الطبري حديث (لا يحبنا اهل البيت إلا مؤمن تقي ولا يبغضنا إلا منافق شقي) . وأخرج الديلمي (من أحب ا أحب القرآن ومن احب القرآن أحبني ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي) وحديث (أحـبوا أهلـي وأحبوا عليا فإن من أبغض أحدا من أهلي فقد حرم شفاعتي) . قال ابن عدي وابن الجوزي موضوع وحديث (حب آل محمد يوما خير من عبادة سنة) وحديث (حبي وحب آل بيتي نافع في سبع مواطن أهوالها عظيمة) وحديث (معرفة آل محمـد بـراءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب) . قال الحافظ السخاوي وأحسـب الثلاثة غير صحيحة الإسناد وحديث (أنا شجرة وفاطمة حملها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرها والمحبون أهل بيتي ورقها وكلنا في الجنة حقا حقا) . وحديث (إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب والذنوب وجوههم كالقمر ليلة البدر) /موضوعات/ . وحديث (من مات على حب آل محمد مات شهيدا مغفورا له تائبا مؤمنا مستكمل الإيمـان يبشره ملك الموت بالجنة ومنكر ونكير يزفانه إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها وفتح له بابان إلى الجنة ومـات على السنة والجماعة ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة ا) . أخرجه مبسوطا الثعلبي في تفسيره قال الحافظ السخاوي وآثار الوضع كما قال شيخنا أي الحافظ ابن حجر لائحة عليه . وحديث (من أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه كنت أنا وهو في عليين ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه وكف يده فهو في الدرجة التي تليها ومن أحبـنا بقلبه وكف عنا لسانه ويده فهو في الدرجة التي تليها) في سنده غال في الرفض وهالك كذاب . وأخرج الطبراني وأبو الشـيخ حديث (إن ا عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ ا دينه ودنياه ومن لم يحفظهن لم يحفظ ا دينه ولا دنياه) قلـت وما هن قال (حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي) . وأخرج أبو الشيخ أيضا والديلمي (من لم يعرف حق عترتي

والأنصـار والعرب فهو لإحدى ثلاث إما منافق وإما لزنية وإما حملت به أمه في غير طهر) / باب مشروعية الصلاة عليهم تبعا للصلاة على مشرفهم

باب مشروعية الصلاة عليهم تبعا للصلاة على مشرفهم

. صح يا رسول ا كيف الصلاة عليكم أهل البيت قال (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلـى آل إبراهيم) الحديث . وفي بقية الروايات كيف نصلي عليك يا رسول ا قال (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمـد) الحديـث . ويستفاد من الرواية الأولى أن أهل البيت من جملة الآل أو هم الآل لكن صح ما يصرح بأنهم بنو هاشم والمطلـب وهم أعم من أهل البيت ومر أن أهل البيت قد يراد بهم الآل وأعم منهم . ومنه حديث أبي داود (من سره أن يكتال بالمكـيال الأوفـى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وأهل بيته كما صليت علـى إبراهـيم إنك حميد مجيد) . وجاء بسند ضعيف عن واثلة قال قال رسول ا لما جمع فاطمة وعليا والحسن والحسين رضـي ا عـنهم تحت ثوبه (اللهم قد جعلت صلاتك ومغفرتك ورحمتك ورضوانك على إبراهيم وآل إبراهيم إنهم مني وأنا مـنهم فـاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علي وعليهم) وقال واثلة وكنت واقفا على الباب فقلت وعلي بأبي أنت وأمـي يـا رسول ا فقال (اللهم وعلى واثلة) . وأخرج الدارقطني والبيهقي حديث (ومن صلى صلاة ولم يصل فيها علي وعلـى أهـل بيتي لم تقبل منه) . وكأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي رضي ا عنه إن الصلاة على الآل من واجبات الصـلاة كالصلاة عليه لكنه /ضعيف/ فمستنده الأمر في الحديث المتفق عليه (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) والأمر للوجوب حقيقة على الأصلح وبقي لهذه الأحاديث تتمات وطرق بينتها في كتابي الدر المنضود

باب دعائه بالبركة في هذا النسل الكريم

. روى النسـائي في عمل اليوم والليلة أن نفرا من الأنصار قالوا لعلي رضي ا عنه لو كانت عندك فاطمة فدخل رضي ا عـنه علـى النبي يعني ليخطبها فسلم علي فقال (ما حاجة ابن أبي طالب) قال ذكرت فاطمة بنت رسول ا . قال (مرحبا وأهـلا) لـم يزده عليها فخرج إلى الرهط من الأنصار وهم ينتظرونه فقالوا ما وراءك قال ما أدري غير أنه قال لي مرحبا وأهلا قالوا يكفيك من رسول ا أحدهما قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب . فلما كان بعد ذلك بعدما زوجه قال (يا علي لا بد للعـرس من وليمة) . قال سعد رضي ا عنه عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار آصعا من ذرة قال فلما كان ليلة البناء قال (لا تحدث شيئا حتى تلقاني) فدعا بماء فتوضا منه ثم أفرغه على علي وفاطمة رضي ا عنهما وقال (اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما) . ورواه آخرون مع حذف بعضه / باب بشارتهم الجنة

باب بشارتهم بالجنة

. مر في الباب الثاني عدة أحاديث في أن لهم منه شفاعة مخصوصة عن ابن مسعود رضي ا عنه قال قال رسول ا (إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم ا ذريتها على النار) أخرجه تمام في فوائده والبزار والطبراني بلفظ (فحرمها ا وذريتها على الـنار) . وجاء عن علي بسند ضعيف قال شكوت إلى رسول ا حسدا في الناس فقال (أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذرياتنا خلف أزواجنا) . وفي رواية سندها ضعيف جـدا أنـه قال لعلي (إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذراريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشـيعتنا عـن أيماننا وشمائلنا) . وروى ابن السدي والديلمي في مسنده (نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلـي وجعفـر ابـنا أبـي طالب والحسن والحسين والمهدي) . وصح أنه قال (وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم) . وجاء بسند رواته ثقات أنه قال لفاطمة (إن ا غير معذبك ولا ولدك) وفي رواية أنه قال لعمه العباس (يا عباس إن ا غير معذبك ولا أحد من ولدك) وفي رواية (يا عم سترك ا وذريتك من النار) . وروى المحـب الطـبري والديلمي وولده بلا إسناد حديث (سألت ربي أن لا يدخل النار أحدا من أهل بيتي فأعطاني ذلك) . وروى المحب عن علي رضي ا عنه قال سمعت رسول ا يقول (اللهم إنهم عترة رسولك فهب مسيئهم لمحسنهم وهبهم لي ففعل)

قلت مافعل قال (فعله ربكم بكم ويفعله بمن بعدكم) . وفي حديث قال السخاوي لا يصح (يا علي إن ا قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فأبشر فإنك الأنزع البطين) . وروى أحمد أنه قال (يا معشر بني هاشم والذي بعثني بـالحق نبـيا لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم) . وفي حديث سنده ضعيف (أول من يرد علي حوضي أهل بيتي ومن أحبني من أمتي) . وصح (أول الناس يرد علي الحوض فقراء المهاجرين الشعث) . وأخرج الطبراني والدارقطني وغيرهما (أول من اشفع له من أمتي أهل بيتي الأقرب فالأقرب ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني ثم اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم) . وفـي رواية للبزار والطبراني وابن شاهين وغيرهم (أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف)

/ باب الأمان ببقائهم /

باب الأمان ببقائهم

. أخـرج جماعة بسند ضعيف خبر (النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي) . وفي رواية لأحمد وغيره (النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض) . (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف أي المؤدي لاستئصال الأمة فإذا خالفتها قبيلة من العـرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس) . وجاء من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا (مثل أهل بيتي) وفي رواية (إنما مثل أهـل بيتي) وفي أخرى (إن مثل أهل بيتي) وفي رواية (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومـن تخلف عنها غرق) . وفي رواية (من ركبها سلم ومن لم يركبها غرق وإن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسـرائل من دخله غفر له) . وجاء عن الحسين كرم ا وجهه من أطاع ا من ولدي واتبع كتاب ا وجبت طاعته . وعن ولـده زين العابدين رضي ا عنهما إنما شيعتنا من أطاع ا وعمل مثل أعمالنا . وعزا المحب الطبري لأبي سعيد في شرف النـبوة بـلا إسناد حديث (أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة و أغصانها في الدنيا فمن تمسك بها اتخذ إلى ربه سبيلا) . وأورد أيضـا بـلا إسـناد حديث (في كل خاف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتـأويل الجاهليـن . .) الحديـث . وأشهر منه الحديث المشهور (يحمل هذا العلم من كل خاف عدوله ينفون عنه . .) إلى آخره . وهذا هو مستند ابن عبد البر وغيره أن كل من حمل العلم ولم يتكلم فيه بجرح فهو عدل

باب خصوصياتهم الدالة على عظيم كراماتهم

. وجاء طرق بعضها رجاله موثقون أنه قال (كل سبب ونسب منقطع) وفي رواية (ينقطع يوم القيامة إلا) وفي رواية (ما خـلا سـببي ونسبي يوم القيامة وكل ولد أم) وفي رواية (وكل ولد أب فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم) . وهذا الحديث رواه عمر رضي ا عنه لعلي رضي ا عنهما لما خطب منه بنته أم كلثوم فاعتل بصغرها فقال إنـي لم أرد الباءة ولكني سمعت رسول ا يقول فذكره ثم قال فأحببت أن يكون لي من رسول ا سبب ونسب . ولما تزوجها قال للناس ألا تهنئوني سمعت رسول ا يقول فذكر الحديث . وفي رواية (كل سبب وصهر منقطع إلا سببي وصهري) وفي روايـة في سندها ضعف (لكل بني أم عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم) . وفي رواية (فأنا أبوهم وأنا عصبتهم) . وجاء من طرق يقوي بعضها بعضا خلافا لما زعمه ابن الجوزي (إن ا عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وإن ا تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب) . وفي هذه الأحاديث دليل ظاهر لما قاله جمع من محققي أئمتنا أن مـن خصائصه أن أولاد بناته ينسبون إليه في الكفاءة وغيرها أي حتى لا يكافىء بنت شريف ابن هاشمي غير شر يف وأولاد بنات غيره إنما ينسبون لآبائهم لا إلى آباء أمهاتهم . وفي البخاري أنه قال على المنبر وهو ينظر للناس مرة وللحسن مرة (إن ابني هذا سيد وسيصلح ا به بيت فئتين من المسلمين) . قال البيهقي وقد سماه النبي ابنه حين ولد وسمى إخوته بذلك . وعن الحسـن بسند حسن كنت مع النبي فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت منه تمرة فألقيتها في في فأخذها بلعابها ثم قال (إنا آل محمـد لا تحـل لنا الصدقة) . واخرج أبو داود والنسائي وابن ماجة وآخرون خبر (المهدي من عترتي من ولد فاطمة) وفي أخرى لأحمد وغيره (المهدي منا أهل البيت يصلحه ا في ليلة) وفي أخرى للطبراني (المهدي منا يختم الدين بنا كما

فـتح بـنا) . وروى أبو داود في سننه عن علي كرم ا وجهه أنه نظر إلى ابنه الحسن رضي ا عنه فقال إن ابني هذا سيد كمـا سماه النبي وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأض عدلا وفي رواية إن عيسـى يصـلي خلفـه . وصح عن ابن عباس رضي ا عنهما أنه قال منا أهل البيت أربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصـور ومنا المهدي ثم ذكر بعض وصف كل من الثلاثة الأول ثم قال وأما المهدي فإنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وتأمن البهائم والسباع وتلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة . وهذا كحديث (المهدي من ولد العباس عمـي) وكحديـث (هـذا أي العباس عمي أبو الخلفاء وإن من ولده السفاح والمنصور والمهدي يا عم بي فتح ا هذا الأمر ويخـتمه بـرجل من ولدك) . سند كل منهما ضعيف وعلى تقدير صحتهما لا ينافي كون المهدي من ولد فاطمة المذكور في الأحاديث التي هي أصح واكثر لأنه مع ذلك فيه شعبة من بني العباس كما أن فيه شعبة من بني الحسين وأما هو حقيقة فهو من ولد الحسن كما مر عن علي كرم ا وجهه . وأخرج ابن المبارك عن ابن عباس رضي ا عنهما قال المهدي اسمه محمد ابن عـبد ا ربعـة مشرب بحمرة يفرج ا به عن هذه الأمة كل كرب ويصرف بعدله كل جور ثم يلي الأمر من بعده اثنا عشر رجـلا ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين وآخر من غيرهم ثم يموت فيفسد الزمان وحديث (لا مهدي إلا عيسى ابن مـريم) معلول أو المراد لا مهدي كامل على الإطلاق إلا عيسى وجاء في رواية (أشبه الخلق به من أهل بيته ولده إبراهيم) وفي أخرى (فاطمة في الحديث والكلام والمشية) وفي أخرى صحيحة (الحسن) أي في الوجه والنصف الأعلى وفي أخرى (الحسـين) أي فيما بقي وعد المهدي ممن أشبهوه ل وهم كثيرون . أقواهم شبها جماعة من أهل البيت المطهر غلط قائله بما مـر أنه يشبهه خلقا لا خلقا . وأخرج الطبراني والخطيب حديث (يقوم الرجل لأخيه عن مقعده إلا بني هاشم فإنهم لا يقومون لأحـد) . وجاء عن ابن عباس /بسند ضعيف/ أنه قال نحن أهل البيت شجرة النبوة مختلف الملائكة وأهل بيت الرسالة وأهل بيت الرحمة ومعدن العلم . وعن علي بسند ضعيف أيضا قال نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء وحزبنا حزب ا عز وجل والفئة الباغية حزب الشيطان ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منا

باب إكرام الصحابة ومن بعدهم لأهل البيت

. صـح عـن أبي بكر رضي ا عنه أنه قال لعلي كرم ا وجهه والذي نفسي بيده لقرابة رسول ا أحب إلي ان أصل من قرابتي . وحلف عمر للعباس رضي ا عنهما إن إسلامه أحب إليه من إسلام أبيه لو أسلم لأن إسلام العباس أحب إلى رسول ا . وأتـى زيـن العابديـن ابن عباس فقال له مرحبا بالحبيب ابن الحبيب . وصلى زيد بن ثابت رضي ا عنه على جنازة فقربت له بغلة ليركبها فأخذ ابن عباس رضي ا عنهما بركابه فقال له خل عنك يا ابن عم رسول ا فقال هكذا أمرنا أن نفعل بالعلمـاء والكـبراء فقـبل زيد يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا . وأتى عبد ا بن حسن بن حسين عمر بن عبد العزيـز في حاجة فقال له إذا كانت اك حاجة فأرسل أو اكتب بها إلي فإني أستحيي من ا أن يراك على بابي . وقال أبو بكر بـن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي رضي ا عنهم في حاجة لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول ا ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي أن اقدمه عليهما . وكان ابن عباس إذا بلغه حديث عن صحابي ذهب إليه فإذا رآه قائلا توسد رداءه على بابه فتسفي الريح التراب على وجهه حتى يخرج فيقول ألا أرسلت إلي فآتيك . فيقول له ابن عباس أنا أحق أن آتيك . ودخلـت فاطمة بنت علي علىعمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فبالغ في إكرامها وقال وا ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم ولأنتم أحب إلي من أهلي . وعوتب أحمد في تقريبه لشيعي فقال سبحانه ا رجل أحب قوما من أهل بيت النبي وهو ثقة . وكان إذا جاءه شريف بل قرشي قدمه وخرج وراءه . وضرب جعفر بن سليمان والي المدينة مالكا حتى حمل مغشيا عليه فدخل عليه الناس فأفاق فقال أشهدكم أني قد جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى النبي فأستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي . ولما دخل المنصور المدينة مكن مالكا من القود من ضاربه فقال أعوذ با وا ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول ا . وقال رجل للباقر وهو بفناء الكعبة هل رأيت ا حيـث عـبدته فقال ما كنت أعبد شيئا لم أره . قال وكيف رأيته قال لم تره الأبصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقائق

الإيمـان . وزاد على ذلك ما أبهر السامعين فقال الرجل ا أعلم حيث يجعل رسالاته . وقارف الزهري ذنبا فهام على وجهه فقـال له زيـن العابدين قنوطك من رحمة ا التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك فقال الزهري ا أعلم حيث يجعل رسـالاته فـرجع إلى أهله وماله . وكان هشام بن إسماعيل يؤذي زين العابدين وأهل بيته وينال من علي فعزله الوليد وأوقفه للناس وكان أخوف ما عليه أهل البيت فمر عليهم فلم يتعرض له أحد منهم فنادى ا أعلم حيث يجعل رسالاته

باب مكافأته لمن أحسن إليهم

. أخـرج الطبراني حديث (من صنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يدا فلم يكافئه بها في الدنيا فعلي مكافأته غدا إذا لقيني) . وجـاء بسـند ضعيف (أربعة أنا لهم مشفع يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عندما اضـطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه) وفي رواية في سندها كذاب (من اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها إذا لقيني يوم القيامة وحرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي)

باب إشارته لما يحصل عليهم بعده من الشدة

. قـال (إن أهـل بيتـي سـيلقون بعدي من أمتي قتلا وتشريدا وإن أشد قومنا بغضا بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم) وصححه الحاكم واعترض بأن فيه من ضعفه الجمهور . وأخرج ابن ماجه أنه رأى فتية من بني هاشم فاغرورقت عيناه فسئل فقال (إنا أهل بيت اختار ا لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا) الحديث . وأخرج ابن عساكر (أول الناس هلاكا قريش وأول قريش هلاكا أهل بيتي) وفي رواية قيل له فما بقاء الناس بعدهم قال (بقاء الحمار إذا كسر صلبه) / باب التحذير من بغضهم وسبهم /

باب التحذير من بعضهم وسبهم

. مـر خـبر (من أبغض أحدا من أهل بيتي حرم شفاعتي) وحديث (لا يبغضنا إلا منافق شقي) وحديث (من مات على بغـض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة ا) . وقال الحسن من عادانا فلرسول ا عادى . وصح أنـه قال (والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله ا النار) . وروى أحمد وغيره (من أبغض أهل البيت فهو منافق) وفي رواية (بغض بني هاشم نفاق) . وجاء عن الحسن /بسند ضعيف/ إياك وبغضنا فإن رسول ا قال (لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار) . وفي رواية (من أبغضنا أهل البيت حشره ا يهوديا وإن شهد أن لا إله إلا ا) . ولكن سندها مظلم ومن ثم حكم ابن الجوزي كالعقيلي بوضعها . وصح أنه قال (يا بني عبد المطلب إنـي سألت ا لكم ثلاثا أن يثبت قائمكم وأن يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وسألت ا أن يجعلكم كرماء نجباء رحماء فلو أن رجلا صفن أي من الصفن وهو صف القدمين بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي ا وهو يبغض آل بيت محمد دخل النار) . وورد (من سب أهل بيتي فإنما يريد ا والإسلام ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة ا ومن آذاني في عترتي فقد آذى ا إن ا حرم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبهم يا أيها الناس إن قريشا أهل أمانة فمن بغاهم العواثر كبه ا عز وجل لمنخريه) مرتين (مني رد هوان قريش أهانه ا) (خمسة أو ستة لعنتهم وكل نبي مجاب الزائد في كتاب ا والمكـذب بقـدر ا والمستحل محارم ا والمستحل من عترتي ما حرم ا والتارك للسنة) / خاتمة في أمور مهمة / . أولها يتعين ترك الانتساب إليه إلا بحق . ففي البخاري (إن من أعظم الفرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يري عينه ما لم تـر) الحديث وروى أيضا (ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر) وروى أيضا (من ادعى إلى غير أبيه فالجنة حرام عليه) وفي رواية (فعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين) . وروى جماعة أحاديث أخر فيها أن ادعاء نسب بالباطل أو التـبري منه كذلك كفر أي للنعمة أو إن استحل أو يؤدي إليه ومن هنا توقف كثير من قضاة العدل عن الدخول في الأنساب ثـبوتا أو انـتفاء لا سـيما نسب أهل البيت الطاهر المطهر . وعجيب من قوم يبادرون إلى إثباته بأدنى قرينة وحجة موهمة يسـألون عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى ا بقلب سليم . ثانيهما اللائق بأهل البيت المكرم المطهر أن يجروا على طـريقة مشرفهم وسنته اعتقادا وعملا وعبادة وزهدا وتقوى ناظرين إلى قوله تعالى (إن أكرمكم عند ا أتقاكم) الحجرات

١٣ وإلـى قول مشرفهم وقد سئل أي الناس أكرم قال (أكرمهم عند ا أتقاهم) ثم قال (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسـلام إذا فقهوا) . وقال ابن عباس ليس أحد أكرم من أحد إلا بتقوى ا . وقال كما عند أحمد لأبي ذر (انظر فإنك لست بخـير مـن أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى ا) وله ولغيره (يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربـي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى خيركم عند ا أتقاكم) . وللطبراني (المسلمون إخوة لا فضل لأحد علـى أحـد إلا بالتقوى) . وصح على نزاع فيه أنه خطب الناس بمكة فكان من جملة خطبته (يا أيها الناس إن ا قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية أي بفتح أوله وكسره وتعاظمها أي عطف تفسير بآبائها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على ا ورجل شقي هين على ا إن ا يقول (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند ا أتقاكم إن ا عليم خبير) الحجرات ١٣) ثم قال (أقول قولي هذا وأستغفر ا لي ولكم) . وفي رواية سندها حسن (لينتهين أقـوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هو فحم جهنم أو ليكونن أهون على ا من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه أي يدحرجه عن ا قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب) . ولمسلم (إن ا لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) . ولأحمد إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم لـيس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو تقوى . ولابن جرير والعسكري (الناس لآدم وحواء إن ا لا يسألكم عن أحسابكم يـوم القيامة إلا عن أعمالكم إن أكرمكم عند ا أتقاكم) . ولابن لال والعسكري (الناس كلهم كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافـية) أي كلهـم متسـاوون في الصور وإنما يتفاوتون بالأعمال (فلا تصحبن أحدا لا يرى لك من الفضل ماترى له) . ولأبـي يعلى وغيره (كرم المؤمن دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه) . وقال عمر رضي ا عنه لمفتخر بآبائه بقوله أنا ابن بطحـاء مكـة كدائهـا وكدائها إن يكن لك دين مال فلك كرم وإن يكن لك عقل فلك مروءة وإن يكن لك فلك شرف وإلا أنت والحمار سواء . وصح حديث (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) . وروى الطبراني (إن أهل بيتي يرون أنهم أولى الناس بي وليس كذلك إن أولى الناس بي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا) . وروى الشيخان (إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما وليي ا صالح كذلك إن المؤمنين) . زاد البخاري تعليقا (ولكن لهم رحم سأبلها ببلالها) أي سأصلها بصلتها التي تنبغي لهـا . رواه الطبرانـي في معجمه الكبير بلفظ (إن لبني أبي طالب عندي رحما سأبلها ببلالها) وكذا وقعت هذه الزيادة عند مسـلم في صحيحه وهي محمولة على غير المسلم منهم وإلا فمنهم علي وجعفر رضي ا عنهما وهما من أخص الناس به لما لهما من السابقة والتقدم في الإسلام ونصرة الدين بل في حديث ورد موقوفا ومرفوعا (صالح المؤمنين علي كرم ا وجهه) . قـال الـنووي ومعنى الحديث عن وليي من كان صالحا وإن بعد مني نسبه . وقال غيره المعنى إنني لا أوالي أحدا بالقرابة وإنمـا أحب ا لما له من الحق الواجب على العباد وأحب صالح المؤمنين لوجه ا تعالى وأوالي من والي الإيمان والصلاح سـواء كانوا من ذوي رحمي أم لا ولكن أرعى لذوي الرحم حقهم فأصل رحمهم . وهذا يؤيد ما ورد (آل محمد كل تقي) . ومـن ثـم لما قال هاشمي لأبي العيناء تغض عني وأنت تصلي علي في كل صلاة في قولك اللهم صل على محمد وعلى آل محمـد قـال له إني أريد الطيبين الطاهرين ولست منهم . ورؤي أنصاري في النوم فقيل له ما فعل ا بك قال غفر لي . قيل بمـاذا قال بالنسبة التي بيني وبين النبي . قيل له أنت شريف قال لا . قيل فمن أين النسبة قال كنسبة الكلب إلى الراعي . قال ابـن العديـم راوي ذلك فأولته بانتسابه إلى الأنصار . وقال غيره أولته بانتسابه إلى العلم خصوصا علم الحديث لقوله (أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة) إذ هم أكثر الناس عليه صلاة . تنبيه تمسك بالآية والأحاديث السابقة لم يعتبر الكفاءة في النكاح واعتـبرها الجمهور . ولا شاهد فيما ذكر لأنه بالنسبة لما ينفع في الآخرة وليس كلامنا فيه إنما الكلام في أن النسب العلي هل يفـتخر به ذوو العقول في الدنيا أولا ولا شك في الافتخار به وأن من أجبرها وليها على نكاح غير مكافىء لها في النسب يعد ذلـك بخسـا لحقها وعارا عليها بل صلاح الذرية ينفع في الآخرة فقد صح عن ابن عباس رضي ا عنهما في قوله تعالى (ألحقنا بهم ذريتهم) الطور ٢١ أنه قال إن ا يرفع ذرية المؤمن معه في درجته يوم القيامة وإن كانوا دونه في العمل . وصح عـنه أيضا في قوله تعالى (وكان أبوهما صالحا) الكهف ٨٢ أنه قال حفظا بصلاح أبويهما وما ذكر عنهما صلاحا . وقال

سـعيد بن جبير يدخل الرجل الجنة فيقول أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجي فيقال له إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت أعمـل لـي ولهم فيقال لهم ادخلوا الجنة ثم قرأ (جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) الرعد ٢٣ فـإذا نفع الأب الصالح مع أنه السابع كما قيل في الآية عموم الذرية فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين بالنسبة إلى ذريته الطيبة الطاهرة المطهرة وقد قيل إن حمام الحرم إنما اكرم لأنه من ذرية حمامتين عششتا على غار ثور الذي اختفى فيه عند خروجه مـن مكـة للهجـرة . وقـد حكى التقي الفاسي عن بعض الأئمة أنه كان يبالغ في تعظيم شرفاء المدينة النبوية على مشرفهم ومشرفها أفضل الصلاة والسلام وسبب تعظيمه لهم أنه كان منهم شخص اسمه مطير مات فتوقف عن الصلاة عليه لكونه كان يلعب بالحمام فرأى النبي في النوم ومعه فاطمة الزهراء ابنته رضي ا تعالى عنها فأعرضت عنه فاستعطفها حتى أقبلت عليه وعاتبته قائلة له أما يسع جاهنا مطيرا . وحكى أيضا في ترجمة صاحب مكة السيد الشريف أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بـن علـي بن قتادة الحسني أنه لما مات امتنع الشيخ عفيف الدين الدلاصي من الصلاة عليه فرأى في المنام فاطمة رضي ا عـنها وهي بالمسجد الحرام والناس يسلمون عليها وأنه رام السلام عليها فأعرضت عنه ثلاث مرات فتحامل عليها وسألها عن سبب إعراضها عنه فقالت يموت ولدي ولا تصلي عليه فتأدب واعترف بظلمه بعدم الصلاة عليه . وحكى التقي المقريزي عن يعقـوب المغربـي أنـه كـان بالمدينة النبوية في رجب سنة سبع عشرة وثمانمائة فقال له الشيخ العابد محمد الفارسي وهما بالروضـة المكرمة إني كنت أبغض أشراف المدينة بني حسين لتظاهرهم بالرفض فرأيت وأنا نائم تجاه القبر الشريف رسول ا وهـو يقول يا فلان . باسمي مالي أراك تبغض أولادي فقلت حاش ما أكرههم وإنما كرهت ما رأيت من تعصبهم على أهـل السـنة فقـال لي مسألة فقهية أليس الولد العاق يلحق بالنسب فقلت بلى يا رسول ا . فقال هذا ولد عاق . فلما انتبهت صرت لا ألقى من بني الحسين أحدا إلا بالغت في إكرامه . وحكي أيضا عن الرئيس الشمس العمري قال سار الجمال محمود العجمـي المحتسـب ونوابـه وأتباعه وأنا معه إلى بيت السيد عبد الرحمن الطباطبي فاستأذن عليه فخرج وعظم عليه مجيء المحتسـب إليه فقال له يا سيدي حاللني . قال مماذا يا مولانا فقال إنك لماجلست البارحة عند السلطان الظاهر برقوق فوق عز ذلـك علـي وقلت في نفسي كيف يجلس هذا فوقي فلما كان الليل رأيت في منامي النبي فقال يا محمود أتأنف أن تجلس تحت ولـدي فـبكى الشريف عند ذلك وقال يا مولانا من أنا حتى يذكرني النبي وبكى الجماعة ثم سألوه الدعاء وانصرفوا . وحكى التقي بن فهد الحافظ الهاشمي المكي قال جاءني الشريف عقيل بن هميل وهو من الأمراء الهواشم فسألني عشاء فاعتذرت إليه ولـم أفعل فرأيت النبي في تلك الليلة أو في غيرها فأعرض عني فقلت كيف تعرض عني يا رسول ا وأنا خادم حديثك فقال كـيف لا أعرض عنك ويأتيك ولد من أولادي يطلب العشاء فلم تعشه قال فلما أصبحت جئت الشريف واعتذرت إليه وأحسنت إلـيه بما تيسر . وحكى الجمال عبد الغفار الأنصاري المعروف بابن نوح عن أم نجم الدين بن مطروح وكانت من الصالحات قالت حصل لنا غلاء بمكة أكل الناس فيه الجلود وكنا ثمانية عشر نفسا فكنا نعمل مقدار نصفقدح نكتفي به فجاءنا أربع عشرة قفـة من الدقيق ففرق زوجي عشرة . على أهل مكة وأبقى لنا أربعة فنام فانتبه يبكي فقلت له مابالك قال رأيت الساعة فاطمة الزهراء رضي ا عنها وهي تقول لي يا سراج تأكل البر وأولادي جياع فنهض وفرق ما بقي على الأشراف وبقينا بلا شيء ومـا كـنا نقدر على القيام من الجوع . وحكى المقريزي عن المعز بن العز قاضي الحنابلة وكان من جلساء الملك المؤيد أنه راى نفسـه كأنه بالمسجد النبوي وكأن القبر الشريف انفتح وخرج النبي وجلس على شفيره وعليه أكفانه وأشار إلي بيده فقمت إلـيه حـتى دنـوت منه فقال لي قل للمؤيد يفرج عن عجلان يعني ابن سعيد أمير المدينة وكان محبوسا سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة قال فصعدت للمؤيد وأخبرته وحلفت له ما رأيت عجلان هذا قط فلما انقضى المجلس قام بنفسه إلى مرماة النشاب ثم اسـتدعى عجلان من البرج وأفرج عنه وأحسن إليه . قال التقي المقريزي وعندي عدة حكايات صحيحة مثل هذا في حق بني الحسن وبني الحسين فإياك والوقيعة فيهم وإن كانوا على أي حالة لأن الولد ولد على كل حال صلح أو فجر . قال ومن غريب ما اتفق أن السلطان ولم يعينه كحل الشريف مدراج بن مقبل بن مختار بن محمد بن راجح بن إدريس بن حسن ابن أبي عزيز بـن قـتادة بـن إدريس بن مطاعن الحسيني حتى تفقأت حدقتاه وسالتا وورم دماغه وانتفخ وأنتن فتوجه بعد مدة من عماه إلى

المديـنة ووقف عند القبر المكرم وشكا ما به وبات تلك الليلة فرأى النبي فمسح عينيه بيده الشريفة فأصبح وهو يبصر وعيناه أحسن مما كانتا واشتهر ذلك في المدينة ثم قدم القاهرة فغضب السلطان ظنا منه أن من كحلوه حابوه فأقيمت عنده البينة العادلة بـأنهم شـاهدوا حدقتيه سائلتين وأنه قدم المدينة أعمى ثم أصبح يبصر وحكى رؤياه فسكن ما عند السلطان . وأخبرني بعض الأشـراف الصالحين ممن أجمع على صحبة نسبه وصلاحه وصلاح آبائه قال كنت بالمدينة الشريفة فرايت شريفا عند مكاس يـأكل مـن طعامـه ويلبس من ثيابه فاشتد إنكاري علىذلك الشريف وساء اعتقادي فيه فبت عقب ذلك فرأيت النبي جالسا في مجلـس حـافل والناس محيطون به صفا وراء صف وأنا من جملة الواقفين داخل الحلقة وإذا أنا أسمع قائلا يقول بصوت عال أحضـروا الصـحف . وإذا بأوراق على هيئة ما يكتب فيها مراسيم السلاطين جيء بها ووضعت بين يدي النبي ووقف إنسان بين يديه يعرضها على النبي ثم يعطيها لأربابها كل من طلع اسمه يعطى صحيفته قال فأول صحيفة عظيمة أخرجت وإذا بذلك الشـريف الذي أنكرت عليه ينادى باسمه فخرج منحشو الحلقة حتى انتهى بين يدي النبي فأمر النبي أن يعطى صحيفته فأخذها وولـى فـرحا مسـرورا . قال فذهب عن قلبي جميع ما كان فيه على ذلك الشريف واعتقدت فيه وعلمت بتقديمه على سائر الحاضـرين أي وبان أن أكله من طعام ذلك المكاس إنما كان للضرورة التي تحل أكل الميتة . ومن ذلك ما أخبرني به بعض أكابـر أشراف اليمن وصالحيهم لما وقع من أمير الحاج الفاجر المفسد المذموم المخذول ما سولت له نفسه الخبيثة من الهجوم على السيد الشريف صاحب مكة محمد أبي نمي زاد ترقيه وعلاوه ببيته بمنى يوم عيد النحر ليقتله هو وأولاده في ساعة واحدة أعـاذهم ا من ذلك فظفروا به وأرادوا قتله وجميع جنده لكنه أعني السيد أبا نمي خشي على الحجاج أن يقتلوا عن آخرهم فلا يفضـل منهم عقال فأمسك عن قتاله ثم ذهب ليلة النفر إلى مكة والناس في أمر مريج فلم يزدد ذلك الجبار إلا طغيانا فنادى أن الشـريف معـزول فلما سمعت الأعراب بذلك سقطوا على الحجاج ونهبوا منهم اموالا لا تعد وعزموا على نهب مكة بأسرها واستئصـال الحجـاج والأمـير وجنده فركب الشريف جزاه ا عن المسلمين خيرا وأثخن في الأعراب الجراح وقتل البعض فخمـدوا واستمر ذلك بمكة والناس في أمر مريج بحيث عطلت أكثر مناسك الحج والجماعات وقاسوا من الخوف والشدة ما لم يسـمع بمـثله ثـم رحل ذلك الجبار وهو يتوعد الشريف بأنه يسعى في باب السلطان في عزله وقتله وكان ذلك كله سنة ثمان وخمسـين وتسـعمائة قـال ذلك الشريف فخرجت من مكة في تلك الأيام إلى جدة وأنا في غاية الضيق والوجل على الشريف وأولاده والمسلمين فلما قربت من جدة قبيل الفجر نزلت أستريح ساعة حتى يفتح سورها فرأيت في النوم النبي ومعه علي كرم ا وجهـه وفي يده عصا معوجة الرأس وكأنه يضرب عن السيد الشريف أبي نمي ويقول لي أخبره بأنه لا يبالي بهؤلاء وأن ا ينصـره علـيهم . فما مضت إلا مدة يسيرة وإذا الخبر أتى من باب السلطان نصره ا وأيده بغاية الإجلال والتعظيم للسيد الشريف فنصره ا على ذلك المفسد ومن أغراه على ذلك وعاد أمر المسلمين إلى ما عهدوه من الأمن الذي لم يعهدوه في غير ولايته . وأخبرني بعض الناس أنه رأى يوم النحر في تلك الشدة السيد بركات والد أبي نمى وكان السيد بركات يترجم بالولاية راكبا فرسا عظيمة ومعه السيد الجليل عبد القادر الجيلاني على فرس أخرى فقال يا مولانا السيد بركات إلى أين أنت ذاهب في هـذه الهمـة العظيمة فقال إلى نصرة السيد أبي نمي . وكانت تلك الرؤية موافقة لهجوم ذلك الفاجر فخذله ا وخيبه . ورأى الـناس في هذه الوقعة العجيبة الغريبة من المنامات الشاهدة بسلامة السيد أبي نمي وأولاده ما لا يحصى فلله الحمد على ذلك . وأخـبرنا بعـض الناس أن بعض صلحاء اليمن حج بعياله في البحر فلما وصولا جدة فتشهم المكاسون حتى تحت ثياب النساء فاشتد غضبه فتوجه إلى ا في صاحب مكة السيد محمد بن بركات رحمه ا تعالى فرأى النبي وهو يعرض عنه فقال لم ذا يا رسول ا قال أما رأيت في الظلمة من هو أظلم من ابني هذا فانتبه مرعوبا وتاب إلى ا ألا يتعرض لأحد من الأشراف وإن فعل ما فعل . وحكى بعض الصالحين أن فاجرا بمصر أخذ شريفة قهرا ليفجر بها وكان أخص الناس بالسلطان وأقربهم عنده . قال فتحيرت لأن العشاء قد صليت ولم يبق إلا الأقدام على ذلك الأمر فتوسلت ببعض الصالحين فلم يمض إلا يسير وإذا الطلب جـاء إلـيه مـن السلطان فأخذوه وخرجت الشريفة سالمة وكان في تلك الأخذة هلاك ذلك الفاجر عاجلا ببركة تلك الشريفة . وحكـى لي بعض طلبة العلم أن إنسانا بمدينة فاس ثبت عليه القتل فأمر به القاضي ليقتل فأرسل السلطان وهو يقول للقاضي لا

تقـتله فإنـي رأيت النبي يقول لا تقتلوه . فقال القاضي لا بد من قتله فأراده في اليوم الثاني فأرسل السلطان يقول رأيت النبي قائلا ذلك ثانيا فلم يسمع القاضي وأراد قتله في اليوم الثالث فأرسل السلطان يقول رأيت النبي قائلا ذل ك ثالثا فغضب القاضي وقال لا نترك الشرع بالمنام وإن تكرر فذهب به ليقتل وإذا إنسان يبرز لولي الدم وقد كان الناس عجزوا فيه أن يعفوا فلم يعف فبمجرد أن كلمه في العفو عفا فبلغ السلطان فأمر بالرجل فأحضر إليه فقال اصدقني ما شأنك فقال نعم قتلت من أثبت علي قتله لكني كنت أنا وهو على شرب فأراد أن يفجر بشريفة فمنعته فلم يمتنع عنها إلا بقتله فقتلته دفعا عن الزنا بها . فقال له السلطان صدقت ولولا ذلك ما رأيت النبي ثلاث مرات وهو يقول لي لا تقتلوه . ثالثا اللائق بواجب حقهم وتعظيمهم وتوقيرهم والتأدب معهم أن ينزلوا منازلهم وأن يعرف لهم شرفهم وأن يتواضع لهم في المجالس فإن لحبهم وإكرامهم أثرا بينا . منه ما رواه النجم بـن فهـد والمقريـزي أن بعـض القراء كان إذا مر بقبر تمرلنك قرأ (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه) الحاقة ٣٠ ٣١ الآية وكررها قال فبينا أنا نائم رأيت النبي وهو جالس وتمرلنك إلى جانبه قال فنهرته وقلت إلى هنا يا عدو ا وأردت أن آخذ بيده وأقـيمه من جانب النبي فقال لي النبي دعه فإنه كان يحب ذريتي فانتبهت فزعا وتركت ما كنت أقرؤه على قبره في الخلوة . وأخـبر الجمـال المرشدي والشهاب الكوراني أن بعض أبناء تمرلنك أخبر أنه لما مرض تمرلنك مرض الموت اضطرب في بعـض الأيـام اضطرابا شديدا فاسود وجهه وتغير لونه ثم أفاق فذكروا له ذلك فقال إن ملائكة العذاب أتوني فجاء رسول ا فقـال لهـم اذهبوا عنه فإنه كان يحب ذريتي ويحسن إليهم فذهبوا . وإذا نفع حبهم هذا الظالم الذي لا اظلم منه فكيف بغيره . وينبغـي أن يـزاد في إكرام عالمهم وصالحهم فقد روى أبو نعيم حديث (إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى يجلس في مجالس الملوك) . وليحذر الإفراط في حبهم فقد قال كما روى أحمد بن منيع وأبو يعلى حديث (يا علي يدخل الـنار فـيك رجلان محب مفرط أي بتخفيف الراء ومبغض مفرط أي بتشديد الراء كلاهما في النار) . وما احسن قول زين العابديـن رضي ا عنه وعن أهل بيته يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا . وقال مرة أخـرى يـا أهـل العـراق أحبونا بحب الإسلام فما زال حبكم بنا حتى صار سبة . وأثنى قوم عليه رضي ا عنه فقال لهم ماأجرأكم أو أكذبكم على ا نحن من صالحي قومنا فحسبنا أن نكون من صالحي قومنا . وقال بعضهم سألته وجماعة من أهل البيـت جلـوس هـل فيكم من هو مفترض الطاعة قالوا من قال إن فينا هذا فهو وا كذاب . وقال الحسن بن الحسن بن علي رضـي ا عـنهم لرجل ممن يغلو فيهم ويحكم أحبونا فإن أطعنا ا فأحبونا وإن عصينا ا فأبغضونا قولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون ونحن نرضى به منكم . فائدة دخل زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي ا عنهم علىهشام بـن عبد الملك فسلم عليه بالخلافة وتكلم فخشي منه فقال أنت الراجي للخلافة المنتظر لها وكيف ترجوها وأنت ابن أمة فقال يا أمـير المؤمنين إن تعييرك إيامي بأمي ليس جوابا فإن شئت أجبتك وإن شئت أمسكت . قال بل أجب فما أنت وجوابك قال إنه لـيس أحد أعظم عند ا عز وجل من نبي بعثه ا رسولا فلو كانت أم الولد تقصر به عن بلوغ الأنبياء والرسل لم يبعث ا إسـماعيل بـن إبراهـيم عليهما السلام وكانت أمه مع أم إسحاق كأمي مع أمك ولم يمنعه ذلك أن يبعثه ا نبيا وكان عند ربه مرضـيا وكـان أبا للعرب وأبا لخير النبيين وخاتم المرسلين والنبوة أعظم من الخلافة وما علا رجل بأمه وهو ابن رسول ا وهو ابن علي بن أبي طالب ثم خرج مغضبا . ولما ولي السفاح ورد عليه رأس مروان بن محمد وهو آخر ملوك بني أمية من مصر لأنه هرب من الشام لمصر وأن عبد الحميد الطائي نبش هشاما بالرصافة وصلبه وحرقه بالنار خر ساجدا وقال الحمد قد قتلت بالحسين بن علي رضي ا عنهما مائتين من بني أمية وصلبت هشاما بزيد بن علي وقتلت مروان بأخي إبراهيم .

نقلت من كتاب المختار في مناقب الأخيار للشيخ الإمام العلامة أبي السعادات ابن الأثير رحمه ا تعالى عليه قال قال عبد ا بـن مسـعود رضي ا عنه إن أبا بكر الصديق رضي ا عنه خرج إلى اليمن قبل أن يبعث النبي قال فنزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس علما كثيرا وأتت عليه أربعمائة سنة إلا عشر سنين فلما رآني قال أحسبك حرميا . قـال أبو بكر قلت نعم أنا من أهل الحرم . قال وأحسبك تيميا قلت نعم وأنا من تيم بن مرة أنا عبد ا بن عثمان بن عامر . قال بقيت لي فيك واحدة . قلت ما هي قال تكشف لي عن بطنك . قلت لا أفعل أو تخبرني . قال أجد في العلم الصحيح الزكي

الصــادق أن نبيا يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل فأما الفتى فجواس غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فأبيض نحــيف على بطنه شامة وعلى فخذه شامة وعلى فخذه الأيسر علامة وما عليك أن تريني ما سألتك فقد تكاملت لي فيك الصفة إلا ما خفي علي . قال أبو بكر فكشفت له عن بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي فقال أنت هو ورب الكعبة وإني متقدم إليك فــي أمر فاحذره . قلت وما هو قال إياك والميل عن طريق الهدى وتمسك بالطريقة الوسطى وخف ا فيما خولك وأعطاك . فقــال أبــو بكر فقضيت في اليمن غرضي ثم أتيت الشيخ أودعه فقال أحامل أنت عني أبياتا قلتها في ذاك النبي قلت نعم فأنشد يقــول . (ألم تر أني قد وهنت معاشري % ونفسي وقد أصبحت في الحي ماهنا) . (حييت وفي الأيام للمرء عبرة % ثلاث مئيــن ثم تسعين آمنا) . وذكر أبياتا عدة منها . (وقد خمدت مني شرارة قوتي % وألفيت شيخا لا أطيق الشواحنا) . (فما زلــت أدعــو ا في كل حاضر % حللت به سرا وجهرا معالنا) . (فحي رسول ا عني فإنني % على دينه أحيا وإن كنت واكــنا) . وقال أبو بكر فحفظت وصيته وشعره وقدمت مكة . وبعث النبي فجاءني عقبة بن أبي معيط وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وصناديد قريش فقلت لهم هل نابتكم نائبة أو ظهر فيكم أمر قالوا يا أبا بكر أعظم الخطب وأجل النوائب يتيم أبي طالــب يزعم أنه نبي ولولا أنت ما انتظرنا فإذ قد جئت فأنت الغاية والكفاية . قال أبو بكر فصرفتهم على حس ومس وسألت عن النبي فقيل إنه في منزل خديجة فقرعت عليه الباب فخرج إلي فقلت يا محمد فقدت من منازل أهلك واتهموك بالفتنة وترك ديــن آبائك وأجدادك قال (يا أبا بكر إني رسول ا إليك وإلى الناس كلهم فآمن با) فقلت وما دليلك على ذاك قال (الشيخ الذي لقيته باليمن) فقلت فكم من مشايخ لقيت باليمن واشتريت وأخذت وأعطيت . قال (الشيخ الذي أفادك الأبيات) فقلت ومن خــبرك بها يا حبيبي قال (الملك العظيم الذي يأتي الأنبياء قبلي) . قلت مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا ا وأنك رسول ا . قال أبو بكر فانصرفت ولا بين لابتيها أشد سرورا من رسول ا . نقل من كتاب الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة قال ســفيان الثوري من فضل عليا على أبي بكر وعمر فقد عابهما وعاب من فضله عليهما . وقال جابر بن عبد ا قال لي محمد بــن علــي عليه السلام يا جابر بلغني أن أقواما بالعراق يتناولون أبا بكر وعمر ويزعمون أنهم يحبونا ويزعمون أني أمرتهم بذلك فبلغهم أني إلى ا منهم بريء والذي نفسي بيده لو وليت لتقربت بدمائهم إلى ا عز وجل . وقال سليمان كنت عند عبد ا بن الحسين بن حسن فقال له رجل أصلحك ا من أهل ملتنا أحد ينبغي أن نشهدك عليه بشرك قال نعم الرافضة أشهد أنهم مشــركون فكيف لا يكونون مشركين ولو سألتهم أأذنب النبي لقالوا نعم وقد غفر ا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو قلت لهم أأذنــب علــي رضي ا عنه لقالوا لا ومن قال ذلك عليه فقد كفر . وقال محمد بن علي بن الحسين من فضلنا على أبي بكر وعمــر فقد برىء من سنة جدنا ونحن خصماؤه عند ا . وقال علي بن أبي طالب رضي ا عنه قال النبي (سيأتي قوم لهم نــبز يقــال لهم الرافضة أين لقيتهم فاقتلهم فإنهم مشركون) قلت يا رسول ا وما العلامة فيهم قال (يقرظونك بما ليس فيك ويطعــنون علــى الســلف الأول) . وقال علي بن أبي طالب رضي ا عنه قال النبي (يخرج قبل قيام الساعة قوم يقال لهم الرافضــة بــرآء مــن الإســلام) . ثم يجب الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم وأعظمهم منزلة عند ا بعد النبيين والمرســلين وأحقهم بخلافة رسول ا أبو بكر الصديق عبد ا بن عثمان وهو عتيق ابن أبي قحافة رضي ا عنه ونعلم أنه مــات رسول ا ولم يكن على وجه الأرض أحد بالوصف الذي قدمنا ذكره غيره رحمة ا عليه ثم من بعده على هذا الترتيب والصفة أبو حفص عمر بن الخطاب رضي ا عنه وهو الفاروق ثم من بعدهما على هذا الترتيب والنعت عثمان بن عفان وهو أبو عبد ا وأبو عمرو ذو النورين ثم على هذا النعت والصفة من بعدهم أبو الحسن بن علي بن أبي طالب وهو الأنزع البطين صــهر رســول رب العالمين صلوات ا ورحمته وبركاته عليه وعليهم أجمعين فبحبهم ومعرفة فضلهم قام الدين وتمت السنة وعدلــت الحجة . وتشهد للعشرة بالجنة بلا شك ولا استثناء وهم أصحاب النبي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وســعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح فهؤلاء لا يتقدمهم أحد في الفضل والخير وتشهد لكل من شهد له رســول ا بالجــنة وأن حمــزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وتشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالرضوان والتوبة والرحمة من ا لهم . ثم بعد ذلك تشهد لعائشة رضي ا عنها بنت أبي بكر الصديق

رضـي ا عـنهما أنها الصديقة الطاهرة المبرأة من السماء على لسان جبريل إخبارا من ا متلوا في كتابه مثبتا في صدور الأمـة ومصـاحفها إلى يوم القيامة وأنها زوجة رسول ا فاضلة وأنها زوجته وصاحبته في الجنة وهي أم المؤمنين في الدنيا والآخـرة فمن شك في ذلك أو طعن فيه أو توقف عنه فقد كذب بكتاب ا وشك فيما جاء به رسول ا وزعم أنه من عند غير ا قـال ا تعالى (يعظكم ا أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين) النور ١٧ فمن أنكر هذا فقد بريء من الإيمان وتحب جميع أصحاب رسول ا على مراتبهم ومنازلهم أولا فأولا وتترحم على أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان أخي أم حبيبة زوجـة رسـول ا خال المؤمنين أجمعين كاتب الوحي وتذكر فضائله وتروي ما روى فيه عن رسول ا فقد قال ابن عمر رضـي ا عنهما كنا مع رسول ا فقال (يدخل عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة) فدخل معاوية رضي ا عنه فتعلم أن هـذا موضـعه ومنزلته ثم تحب في ا من أطاعه وإن كان بعيدا منك وخالف مرادك في الدنيا وتبغض في ا من عصاه ووالـى أعـداءه وإن كان قريبا منك ووافق هواك في دنياك . نقل من كتاب الغنية لطالبي الحق عز وجل تأليف الشيخ الإمام العـالم العلامـة القطب الرباني أبي صالح عبد القادر الجيلي نفعنا ا ببركته في الدنيا والآخرة وفيه وقد روي عن إمامنا أبي عـبد ا أحمد بن محمد بن حنبل رحمة ا عليه رواية أخرى أن خلافة أبي بكر رضي ا عنه ثبتت بالنص الجلي والإشارة وهـو مذهب الحسن البصري وجماعة من أصحاب الحديث رضي ا عنهم وجه هذه الرواية ما روي عن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي أنه قال (لما عرج بي سألت ربي عز وجل أن يجعل الخليفة من بعدي علي بن أبي طالب فقالت الملائكة يا محمـد إن ا يفعل ما يشاء الخليفة من بعدك أبو بكر) . وقال في حديث ابن عمر رضي ا عنهما (الذي بعدي أبو بكر لا يثبت بعدي إلا قليلا) . ومنه وأن لا يكاثر أهل البدع ولا يدانيهم ولا يسلم عليهم لأن إمامنا أحمد بن محمد بن حنبل رحمه ا عليه قال من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه لقول النبي (أفشوا السلام بينكم تحابوا) ولا يجالسهم ولا يقرب منهم ولا يهنيهم فـي الأعياد وأوقات السرور ولا يصل عليهم إذا ماتوا ولا يترحم عليهم إذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم في ا عز وجل معتقدا محتسـبا بذلك الثواب الجزيل والأجر الكبير . وروي عن النبي أنه قال (من نظر إلى صاحب بدعة بغضا له في ا ملأ ا قلـبه أمنا وإيمانا ومن انتهر صاحب بدعة آمنه ا يوم الفزع الأكبر ومن استحقر صاحب بدعة رفعه ا في الجنة مائة درجة ومن لقيه بالبشر أو بما يسره فقد استخف بما أنزل ا على محمد) . عن أبي المغيرة عن ابن عباس رضي ا عنهما أنه قال قال رسول ا (أبى ا عز وجل أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته) . وقال فضيل بن عياض رحمه ا تعالى من أحـب صـاحب بدعة أحبط ا عمله وأخرج نور الإيمان من قلبه وإذا علم ا عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت ا عز وجل أن يغفر له وإن قل عمله وذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ طريقا أخرى . وقال فضيل بن عياض رضي ا عـنه سمعت سفيان بن عيينة رضي ا عنه يقول من تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط ا عز وجل حتى يرجع وقد لعن النبـي المبـتدع فقال (من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة ا والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا) يعني بالصرف الفريضة وبالعدل النافلة / باب في التخيير والخلاف /

باب في التخيير والخلافة

. وكـان خـير الـناس بعده وبعد النبيين والمرسلين أبو بكر الصديق رضي ا عنه وقد تواترت بذلك الأحاديث المستفيضة الصحيحة التي لا تعتل المروية في الأمهات والأصول المستقيمة التي ليست بمعلولة ولا سقيمة . قال سبحانه (ولا يأتل أولوا الفضل) النور ٢٢ فنعته بالفضل ولا خلاف أن ذلك فيه رضوان ا عليه وقال سبحانه (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن) التوبة ٤٠ فشهدت له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة وحلاه بثاني اثنين كما قال علي كرم ا وجهه من يكون أفضل من اثنين ا ثالثهما وقال سبحانه (والذي جاء بالصدق وصدق به) الزمر ٣٣ لا خلاف أنه فيه رضي ا عنه وهـو قـول جعفر الصادق رضوان ا عليه . وقول علي رضي ا عنه في التفسير ظاهر أن الذي جاء بالصدق رسول ا والذي صدق به أبو بكر وأي منقبة أبلغ من هذا . ولما أخبرنا سبحانه وتعالى أنه لا يستوي السابقون ومن بعدهم بقوله سبحانه وتعـالى (لا يسـتوي مـنكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد ا

الحسنى) والخبر في البخاري مسطور أن عقبة بن أبي معيط وضع رداء رسول ا في عنقه وخنقه فأقبل أبو بكر يعدو حول الكعبة ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي ا قال فترك رسول ا وأقبلوا على أبي بكر فضربوه حتى لم يعرف أنفه من وجهه فكـان أول من جاهد وقاتل ونصر دين ا وفدى الشخص الذي به قام الدين وظهر وهو أول القوم إسلاما وذلك ظاهر جلي . وقـال جابر بن عبد ا الأنصاري كنا ذات يوم على باب رسول ا نتذاكر الفضائل فيما بيننا إذ أقبل علينا رسول ا فقال (أفـيكم أبـو بكـر) قالوا لا . قال (لا يفضلن أحد منكم على أبي بكر فإنه أفضلكم في الدنيا والآخرة) . وخبر أبي الدرداء المشهور قال رآني رسول ا وأنا أمشي أمام أبي بكر وقال (يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك ما طلعت الشمس ولا غربـت علـى أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر) ومن وجه آخر (أتمشي بين يدي من هو خير منك) فقلت يا رسول ا أبو بكر خير مني قال (ومن أهل مكة جميعا) قلت يا رسول ا أبو بكر خيروني ومن أهل مكة جميعا قال (ومن أهـل المديـنة جمـيعا) قلت يا رسول ا أبو بكر خير مني ومن أهل الحرمين قال ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بعد النبييـن والمرسـلين خيرا وأفضل من أبي بكر . ونذكر في كثير منها تخيير عمر بعده ثم عثمان ثم علي . فمن ذلك خبر أبي عقـال وقـد رواه مالك وقد سأل عليا كرم ا وجهه وهو على المنبر من خير الناس بعد رسول ا فقال أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم أنا وإلا فصمت أذناي إن لم أكن سمعته من رسول ا وإلا فعميت وأشار إلى عينيه إن لم أكن رأيته يعني رسول ا يقـول (ما طلعت الشمس ولا غربت على رجلين أعدل ولا أفضل) وروي (ولا أزكى ولا خيرا من أبي بكر وعمر) . وقد روى محمـد بن الحنفية قال سألت والدي عليا وأنا في حجره فقلت يا أبت من خير الناس بعد رسول ا فقال أبو بكر قلت ثم من قال ثم عمر ثم حملتني حداثة سني قلت ثم أنت يا أبتي فقال أبوك رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم . وخبر أبي هريرة عن رسول ا (أبو بكر وعمر خير أهل السماء وخير أهل الأرض وخير الأولين وخير الآخرين إلا النبيين والمرسلين) . وقـال (علي وفاطمة والحسن والحسين أهلي وأبو بكر وعمر أهل ا وأهل ا خير من أهلي) . وقال (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح) . وخبر عمار بن ياسر رضي ا عنه المشهور قال قلت يا رسول ا أخبرني عن فضائل عمر . فقـال (يا عمار لقد سألتني عما سألت عنه جبريل عليه السلام فقال لي يا محمد لو مكثت معك ما مكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما أحدثك في فضائل عمر ما نفدت وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر) . وقال (قال لي ربي عز وجل لـو كنـت متخذا بعد أبيك إبراهيم خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولو كنت متخذا بعدك حبيبا لاتخذت بعد أبيك إبراهيم خليلا ولو كنت متخذا بعدك حبيبا لاتخذت عمر حبيبا) . نقل ذلك من تفسير القرآن العظيم للبغوي رحمه ا تعالى في آخر سورة الحشر فـي قوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم) يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان بالمغفرة فقال (يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبـنا غـلا) غشا وحسدا وبغضا (للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) الحشر ١٠ فكل من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه ا بهذه الآية لأن ا رتب المؤمنين على ثلاثة منازل منازل المهاجرين ومنازل الأنصار ومنازل التابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين قال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار والإيمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه المنازل . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنبأنا أبو إسحاق الثعلبي أنبأنا عبد ا بن خليل حدثنا أحمد بن عبد ا بن سـليمان حدثـنا ابـن نمـير حدثـنا أبي عن إسماعيل بن إبراهيم عن عبد ا بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت أمرتم بالاستغفار لأصحاب النبي فسببتموهم سمعت نبيكم يقول (لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها) . قال مالك بن مغرور قال عامر بن شراحيل الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالوا أصـحاب موسى عليه السلام وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم فقالوا حواري عيسى عليه السلام وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهـم قـدم ولا تجتمع لهم كلمة . كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها ا بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حججهم أعاذنا ا

وإياكم من الأهواء المضلة . قال مالك بن أنس من تنقص أحدا أحدا من أصحاب رسول ا أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء ثم تلا (ماأفاء ا على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول) حتى أتى هذه الآية (للفقراء المهاجرين . . .) (والذين تبوؤا الدار والإيمان) (والذين جاؤوا من بعدهم) إلى قوله (رؤوف رحيم) الحشر ١٠ . نقل البغوي رحمه ا فـي قوله (ثاني اثنين) التوبة ٤٠ قال رسول ا لأبي بكر (أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض) . قال الحسن بـن الفضل من قال إن أبا بكر رضي ا عنه لم يكن صاحب رسول ا فهو كافر لإنكار نص القرآن وفي سائر الصحابة إذا أنكـر يكون مبتدعا لا كافرا . والحمد رب العالمين وصلى ا على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين .